العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام

# حداء كربلاء

تأليف
جعفر البياتي

وحدة الدراسات والنشر

العتبة العباسية المقدسة
قسم الشؤون الفكرية والثقافية
شعبة الإعلام
وحدة الدراسات والنشر
كربلاء المقدسة
ص.ب (٢٣٣)
هاتف: ٣٢٢٦٠٠، داخلي: ١٧٥-١٦٣

www.alkafeel.net
info@alkafeel.net

الكتاب: حداء كربلاء.
الكاتب: جعفر البياتي.
المراجعة اللغوية: لؤي عبد الرزاق الأسدي.
الناشر: قسم الشؤون الفكرية والثقافية. في العتبة العباسية المقدسة.
التصميم والإخراج الطباعي: علاء سعيد الأسدي.
رقم التسجيل في دار الكتب والوثائق في بغداد: ٥٨٠ لعام ٢٠١٢.
المطبعة: دار الضياء/ النجف الاشرف / ٠٧٨٠.
الطبعة: الأولى.
عدد النسخ: ٢٠٠٠.
ربيع الثاني ١٤٣٣هـ/ آذار ٢٠١٢م

بسم الله الرحمن الرحيم

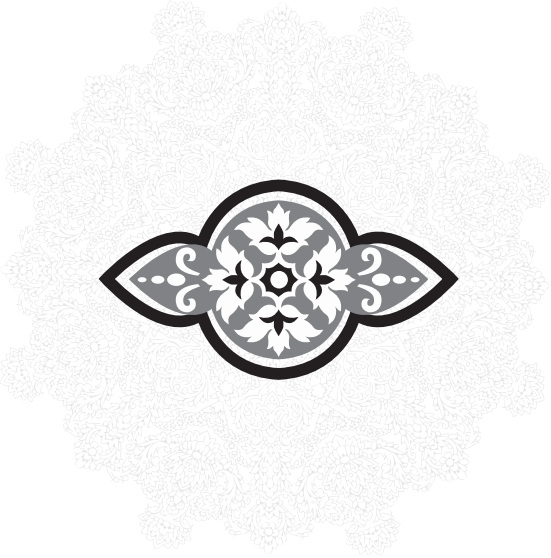

# تقديم

تهيّأت القافلة العظيمة، وبدأت المسير. وحدا بها حاديها يقطع المفاوز والمنازل منزلاً منزلاً.. حتّى وافى بها كربلاء، لتبدأ من هناك ملحمة العروج الملكوتي الدامي الصاعد إلى الله تعالى في غيب الغيوب.

بُورِكَت قافلة: حاديها سيّد شباب أهل الجنّة وزين السماوات والأرض، ورُكبانها أعزّاؤه من أهل بيته، وخُلَصاؤه من أصحابه وممّن التحق بهم في جَنَبات الطريق. قافلة لا أعزّ منها ولا أنفَس، ولا أروع منها ولا أقدس.

أراد الحسين صلوات الله عليه أن يجمع البشريّة دفعةً واحدة، ويمضيَ بها سريعاً في شجاعة فريدة مُحيِّرة لتجد نفسها وقد دخلت في حقيقة رضوان الله، يقودها حبيب الله وابن أحبائه.. الحسين بن رسول الله، الحسين بن عليّ وليّ الله، الحسين بن فاطمة أمة الله!

في المدينة، وفي مكّة عند اقتراب موسم الحجّ، طالما حرّض جماهيرَ المسلمين الذين نُكِسوا بعد رسول الله ﷺ أن يَتَنبّهوا ويَصْحوا، وأن يفارقوا هذا الإخلاد الثقيل إلى أرض الظلام. دعاهم أن هلمّوا معي، فأنا عازم على الذَّهاب إلى الله. إن بَقِيتم منكفئين هذا الانكفاء ازددتم انتكاساً وارتكاساً، فإنّكم لن تحصدوا مِن حكم بني أميّة ومَن سَيَلي بعدهم غيرَ الخَسار. إنّها فرصتكم يا قوم لتخفّوا إلى الله بأجنحة الحبّ والشوق لتعودوا إليه من جديد، باختيارٍ منكم هو اختيار الرجال الأحرار. سأحجّ بكم حجّاً لم يحجّه أحد.. تكونون أنتم فيه الأضاحي على «مِنى» كربلاء. ستذهبون إلى الله مصطبغين بلون الوفاء والإخلاص من دماء النحور والصدور، وستَطْوون في ساعة كلّ مراحل طريق العروج. ما أقصرها من مدّة، وما أسماها من غاية، وما أحبَّها من رحلة هي رحلة

الوصال!

ولبّى نداءَه القدسيّ مَن لبّى وهم قليل ـ، وظلّ في الأرض على عداوته مَن عاداه، وأشفق آخرون على أنفسهم فاختاروا السلامة. وحَنَّ غيرهم عليه، فصدرت من بعضهم «نصائح» باردة أن يُؤْثِرَ البقاء، ولا يمضيَ تلقاء الموعد الملكوتي في كربلاء! والتحق به في الطريق عدد من الناس، ثمّ سرعان ما انفضّوا عنه لمّا رأَوا أن الطريق سالك بهم إلى الشهادة لا رجعة عنها.. إنّها المبايعة على قطع الرقاب، لا على نوال الأسباب. وظلّت معه عصبة الوفاء قلّةً قليلة وصفوة مصفّاة، فاختاروا أن يمضوا معه في طريقه إلى الشوط الأخير.. حتّى عرجوا إلى الله أعلى وأغلى ما يكون الشهداء، وأنقى ما يكون الأصفياء.

ولقد صفّاهم الحسين صلوات الله عليه قبل ذلك ونقّاهم، وأدخلهم إذِ اختاروه في «النفس المطمئنّة»، فدخلوا عندئذ في حقيقة «عباد الرحمن»، وتبوّؤوا جنّة الله الخاصّة التي هي فوق درجات الجِنان، فكانوا هم الفائزين الظافرين ظفراً حسينيّاً ما كان يخطر لهم ببال، ولا توقّعه مَن تخلّف عنه من الرجال!

بثّ الحسين سلام الله عليه نداءه الموقظ، في مكّة والمدينة ومنازل الطريق وفي مضارب المسافرين، وفي كلّ مكان يبلغه صوته الحبيب. ونداؤه لأهل الأرض: «**أما مِن ناصرٍ فينصرنا؟!**»[1]، أجَل.. هل من أحد يخرج إلّي من هموم نفسه فينهض ويلتحم بالهمّ الأكبر على طريق النُّصرة والولاء؟! هل من حُرّ يَدَع لُماظةَ الدنيا لأهلها ويخفّ معي إلى الله والهاً وَلَهَ الصَّديان إلى عذب الماء؟!

---

(١) المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة للسيّد عبد الحسين شرف الدين الموسويّ: ٣٠٢، أعيان الشيعة ٢ : ٣١٩، الكنىٰ والألقاب للشيخ عبّاس القمّيّ١ : ٤٥.. وفي بعض النصوص: «**هل مِن ناصرٍ فينصرنا؟!**»، أو: «**ألا مِن ناصرٍ فينصرنا؟!**».

ولمّا وقعت الملحمة الكبرى في ظهيرة عاشوراء بانَ النصر بأوسع مداه، وبأرفع محتواه.. فإذا الذين جاؤوا للنصرة غَدَوا هم المنصورين، وإذا الذين تابعوا وبايعوا أمسَوا هم الفائزين! وتجلّى عندئذ المعنى العظيم المستكنّ في نداء سيّد الشهداء عليه السلام: «**أما من ناصر فينصرَنا؟!**»، غدت ترجمة عبارته الرقيقة الحانية: هل من أحد يلحق بي فأنصره؟ أنصره نصراً أبديّاً، وأفتح له الفتحَ الملكوتيَّ المُبين. فهاهنا نار التوحيد مجبولةٌ من الحبّ الأسمى والعشق الأرقى.. مَن اكتوى بها بلغ فتح الفتوح، حيث ما ثمّة إلّا الله تبارك وتعالى.

ولقد كان أبو عبد الله عليه السلام يومئ إلى هذا المعنى القدسيّ المكنون في عبارته التي خاطب بها بعض من تخلّفوا عنه في مكّة والمدينة: «**مَن لَحِقَ بِيَ استُشهِد، ومَن لم يَلْحَق بي لم يُدرِك الفتح**»[1].

***

القافلة ما تزال تطوي المسافات مارّةً بكلّ المنازل في الأرض، والحِداء الحسينيّ مستمرّ. ونداء الحادي ما يزال يتعالى في عمق العالم في كلّ لحظة وكلّ آن: «**أما من ناصر فينصرَنا؟!**»، أي: هل من أحد يريد النصرة فأنصره نصر الفتح العظيم؟

القافلة ماضية قُدُماً إلى كربلاء، وقائدها الحادي يعلو نداؤه في كلّ بقعة من الأرض وفي كلّ وقت. فها هي أرضُ كربلاء، وذا هو يومُ عاشوراء. وكربلاء العاشورائيّة بكلّ معانيها وكلّ أبعادها، وكلِّ مَن حضروها ويحضرونها على امتداد الأزمان نور من أبهى النور، وفوز من أرقى الفوز، وحياة أبديّة تموج بالحبّ والإخلاص والتسليم والوفاء.

---

(١) كامل الزيارات: ١٥٧ / ح ١٩٥، دلائل الإمامة: ١٨٨ / ح ١٠٧، نوادر المعجزات: ١١٠ / ح ٦، الخرائج والجرائح ٢ : ٧٧١ / ٧٧٢ / ح ٩٣، مثير الأحزان لابن نما: ٢٧، بحار الأنوار ٤٥ : ٨٧ / ح ٢٤.

ومن هنا كانت كربلاء الحسين قِبلةَ الموحِّدين الوالهين، ومَحجَّ العاشقين المتألّهين، يؤمّونها في الظاهر المحسوس، وفي الباطن المكنون، بعد أن تركوا وراءهم أثقال الأرض، وأقبلوا على الحسين صلوات الله وسلامه عليه يبتغون النصرة والشرف والفوز الذي ما له من نظير.

***

وهذا الكتاب عزيزي القارئ سياحة على ضفّة من ضفاف كربلاء، وفي أُفقٍ من آفاق عاشوراء. تُذكِّر بلمحات ميسَّرة وبِلُغة قريبة مأنوسة بما عساه أن يكون لنا باباً ندخل منه إلى حومة هذه الملحمة العظمى، لنطّلع بأدب الحضور على شيء من أنوار القافلة الحسينيّة، لعلّنا نسمع يوماً حداء كربلاء الذي لا يتوقّف ولا يكفّ عن النداء: أما مِن ناصرٍ فينصرَنا؟! ألا مِن ناصرٍ فينصرَنا؟! هل مِن ناصرٍ فينصُرَنا؟!

# مع القافلة الحسينية

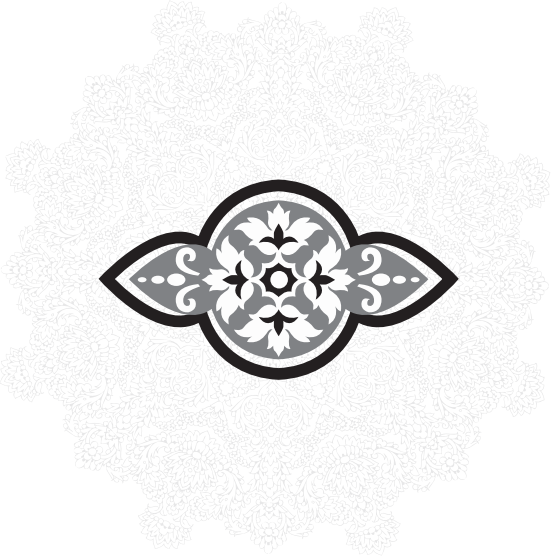

بَكِيتُ لرسم الـدارِ مِن عَرفاتِ ... وأَجريـتُ دَمـعَ العينِ بالعَبَراتِ
وفكَّ عُرى صبري وهاجتْ صبابتي ... رُسـومُ ديـارٍ أَقـفـرتْ وَعِـراتِ
مـدارسُ آيـاتٍ خلتْ مِـن تـلاوةٍ ... ومنزلُ وَحـيٍ مُقْفِرُ العَرَصاتِ
لآلِ رسـولِ الله بِالخِيفِ مِن مِنىً ... وبالركنِ والتعريف والجَمَراتِ
ديـارُ عـليٍّ والحـسـينِ وجعـفرٍ ... وحمـزةَ والسـجّـادِ ذي الثَّفِناتِ
ديـارٌ لعبدالله والـفـضـلِ صِـنـوِهِ ... نـجـيِّ رسـولِ الله في الخَـلَـواتِ
مـنـازلُ.. وحـيُ الله يـنـزلُ بينَها ... على أحمـدَ المذكـورِ في الـسُّـوَراتِ
مـنـازلُ قـومٍ يُهـتـدى بِهُـداهُـمُ ... فـتُـؤمَـنُ مِـنـهـم زلّـةُ الـعَـثَـراتِ
مـنـازلُ كـانـت للصلاةِ وللتُّقى ... وللصومِ والتطهيرِ والحسناتِ
مـنـازلُ.. جـبريـلُ الأمـينُ يَحلُّها ... مـن الله بالتسليم والـرَّحَـمـاتِ
مـنـازلُ وحـيِ الله مَـعـدِنُ عِلمِهِ ... سبيلُ رشـادٍ واضـحُ الـطُّـرُقـاتِ
ديـارٌ عَـفـاهـا جَـورُ كـلِّ مُـنـابِـذٍ ... ولم تـعـفُ لـلأيّـامِ والـسَّـنَـواتِ
أفـاطِـمُ لو خِلْتِ الحُسينَ مُجـدَّلاً ... وقـدْ مـاتَ عطشاناً بِشطِّ فُـراتِ
إذَنْ لَلَطَمْتِ الخـدَّ فاطمُ عندَهُ ... وأجرَيتِ دمعَ العينِ في الوَجناتِ
أفاطمُ قومي يا ابنةَ الخيرِ واندُبي ... نـجـومَ سـمـاواتٍ بـأرضِ فَـلاةِ
قـبـورٌ بـكـوفـانٍ وأخـرى بِطَيبةٍ ... وأخـرى بِـفَـخٍ نـالَهـا صَـلَـواتي
وقـبرٌ بـأرضِ الجُـوزجـانِ مَحلُّه ... وقـبرٌ بِـ «بـاخَمْـرا» لَـدى الغُرُباتِ

وقــبرٌ بــبــغــدادٍ لــنــفــسٍ زكــيّــةٍ تَضَمَّنها الـرحمـانُ في الغُرُفاتِ
فأمّا المُمِضّاتُ التي لستُ بالغاً مَبـالـغَـهـا مـنّـي بِـكُـنْـهِ صـفـاتِ
نفوسٌ لدى النهرينِ مِن أرضِ كربلا مُـعَـرَّسُـهـم فيها بـشـطٍّ فُـراتِ
تُوفُّوا عُطاشى بالفرات، فليتني تُوفِّيتُ فيهمْ قبلَ حينِ وَفـاتي[1]

***

أجل، أقفرتِ الديارُ بعد رحيلِ أبي عبد الله الحسين عليه السلام إلى ساحةِ الطفّ بكربلاء، وألّمّتْ بها وحشة، وحلَّتْ في النفوس لواعج، وغزا القلوبَ شوقٌ يهدُّها.. وقد كانت الديارُ مدارسَ آيات، إلّا أنّها بعد الحسين عليه السلام وأهلِ بيته الكرام، خَلَت من تلاوة، وأصبح منزلُ الوحي مُقفِراً مُوحِشاً لا يقوى أحدٌ على زيارته، وكيف يُزار وقد خلا مِنْ أهله!

ألّا لا تُــزانُ الــدارُ إلّا بأهلها على الدارِ من بعدِ الحسينِ سلامُ[2]

***

ثمّ كانت الفاجعة، الحسينُ وأهلُ بيته، والخِيَرةُ مِن أصحابه وعشيرته، صرعى مُجدَّلون، قد عاثتِ السيوفُ الكافرة في أجسادِهمُ الشريفة، ونامتِ السهامُ في الصدورِ والعيونِ لا تبرح عنها، ولثمتِ الرماحُ الأبدانَ العابدة بل انغمست فيها.

وكان مِن بعد ذلك سَبْيٌ إلى دار الفسق والجور في دمشق الشام، وكيف كان الرحيل؟! عيونُ الأخواتِ والزوجات والبنات، عيونُ اليتامى والأرامل تودّع أهلَها

---

(١) أبيات منتقاة من القصيدة التائيّة المعروفة لدعبل الخزاعيّ التي يذكر فيها ما أصاب آلَ البيت عليهم السلام من كوارث، وما ألمَّ بهم من رزايا وحوادث! في ١١٥ بيتاً المذكورة في ديوانه: ١٢٤، ١٤٥/ ٤١ المُخرَّجة عن: الأغاني ١٨ : ٤٤، وتاريخ دمشق ٥ : ٢٢٩، ونسمة السحر (خ)، وذُكرت تمام القصيدة أيضاً في كشف الغمّة ٢ : ١١٢/ ١١٧ في ١٢١ بيتاً مع اختلاف يسير في بعض الألفاظ وكذا في ترتيب بعض الأبيات.

(٢) مجموعة وَفَيات الأئمّة: ١٧٠.

وهم مقتَّلون مُلقَون نُثّراً على ساحة كربلاء، الدماءُ تسيح على الرمال، والأجساد تستقبل السماء تُصلّي، ولسانُ حالِها يقول: هل وَفَّينا؟

***

وا لَهفتاه على «زينب» صاحبةِ المصيبة العظمى، الجبلِ الذي ما انهار حتّى في أفجع المواقف، فسلامٌ على مَن تظافَرَت عليها المصائبُ والكُروب، وذاقَتْ من النوائبِ ما تذوبُ منها القلوب. سلامٌ على مَن تجرَّعتْ غُصصَ الآلامِ والمآسي، وما لا تَقْوى على احتمالها الجبالُ الرواسي، فأصبَحَت للبلايا قِبلتَها، ولِلرزايا كعبتَها. سلامٌ على مَن شاطرَتْ أُمَّها الزهراء، في ضُروبِ المِحنِ والأرزاء، ودارتْ عليها رَحى الكوارثِ والبلاء، يومَ كربلاء. سلامٌ على مَن عَجِبتْ مِنْ صبرِها ملائكةُ السماء، سلامٌ على مَنْ فُجِعتْ بِجَدِّها وأبيها، وأمِّها وبنيها، والخِيَرةِ مِن أهلها وذويها.

بعد هذا، ألا يحقُّ أن نَحزنَ على زينب بنت عليّ، التي ما فتحتْ عينيها على الدنيا حتّى أغمَضتْها راحلةً إلى الله تعالى، إلّا وهي من مصيبةٍ إلى أخرى، ومن فاجعةٍ كبيرةٍ إلى كُبرى. والله إنّا لنبكي: نبكي على زينبَ الكبرى وكُربتِها، نبكي على زينب الثَّكْلى وغُربتها، نبكي على زينب حُزناً لِمحنتها، نبكي على هضمِها مِن بعد عِزَّتِها، نبكي على المظلومةِ الغريبة، نبكي على المحزونةِ الكئيبة، نبكي على مَن داهَمَتْها الدنيا بالمشاهدِ الرهيبة، ولم تُشْبه مصيبتَها مُصيبة!

***

وكيف كان حال الحسين عليه السلام وقد غدر به أهلُ الكوفة؟! فمنهم مَن تخلّف عن وعدِه وعهده، ومنهم مَن خان الخيانةَ العظمى فانحاز إلى صفّ الكفر يَشهَر سيفَه يُقاتل به إمامَه، ويحارب به الولاية التي فَرَضها اللهُ على الناس كافّة.. فهي ولاية الله جلّ وعلا.

كيف كان حالُ أبي عبد الله الحسين وقدِ استُشهد ولدُه عليٌّ الأكبر، وإخوته:

العباسُ وعثمان وعبد الله ومحمّد، وابنُ أخيه القاسم، واستُشهد حبيبُ بنُ مظاهر وجون، وغيرهم من الأهل والأصحاب الذين قال فيهم ليلة عاشوراء: «**إنّي لا أعلم أصحاباً أَوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهلَ بيتٍ أبَرَّ ولا أوصلَ مِنْ أهلِ بيتي**» (١).

فكيف به عليه السلام وقد استُشهدوا جميعاً بين يديه يَسقون بدمائِهمُ الزاكيةِ شجرةَ الإسلام التي غَرَسها رسولُ الله صلى الله عليه وآله ؟!

لقد بقيَ عليه السلام وحيداً أمامَ آلافٍ من المُقاتِلة وهم على أُهْبةِ الاستعداد، ولكنّه عليه السلام أكثرُ مِنَ العدد، وأكبرُ من العُدَد، أحاطوا به فشدَّ عليه الرجّالة عن يمينه وشماله، فحمل عليهم حتّى ابْذَعَرُّوا عنه، وعليه قميصٌ من خَزٍ وهو معتَمّ.. يصِفُه عبدُ الله بن عمّار البارقيّ وهو أحد شهود المعركة قائلاً: فَوَ الله ما رأيتُ مكثوراً قطُّ قُتِل وُلْدُه وأهلُ بيته وأصحابه، أربطَ جأْشاً ولا أمضى جَناناً منه، ولا أجرأَ مقْدِماً، والله ما رأيتُ قَبلَه ولا بعدَه مِثلَه، إن كانت الرجّالةُ لَتنكشفُ عن يمينه وشماله انكشافَ المِعزى إذا شدّ فيها الذئب! (٢)

***

شجاعةٌ ورجولة، وحزمٌ وثبات، وإيمان وتقوى، وكان عليه السلام مِن رِفقِه حتّى بأعدائه، أن ينصح قاتليه وهو يعلم أنّهم قاتلوه، قائلاً لهم: «**أَعَلى قَتْلي تجتمعون؟! أَمَا والله لا تَقتلون بعدي عبداً مِن عباد الله أسخَطَ عليكم لقتلِه منّي، وأيمُ الله إنّي لأرجو أن يُكرمَني اللهُ بِهوانِكم، ثمّ ينتقمَ لي منكم من حيث لا تشعرون**» (٣).

فرشقُوه بالنِّبال.. فأصابَه سهمٌ في حَنكه فتفجَّر دمُه من فمِه، وقدِ اخترمه سهم،

(١) المسائل العكبريّة: ٧١، هـ ١، وفي آخره: الإرشاد: ٢١٤، وبحار الأنوار ٤٤ : ٣٩٢. ويُنظَر: تاريخ الأُمم والملوك للطبريّ ٤ : ٣١٧.

(٢) يُنظَر: البداية والنهاية ٨ : ٢٠٤، وكربلاء.. الثورة والمأساة: ٣٣٦.

(٣) لواعج الأشجان: ١٨٦.

ففارَ الدمُ فتلقّاهُ بيده، ثمّ رفعَها إلى السماء وقال: «**اللهمّ أَحْصِهم عَدَداً، واقتلْهم بَدَداً، ولا تَذَرْ على الأرض منهم أحداً**» (١).

نعم، فقد كتبوا له عليه السلام يستقدمونه إماماً عليهم ويخلعون إمرةَ يزيد الفاسق، فإذا بهم يَشهرون سيوفَهم في وجهه عليه السلام وَيُوجِّهون رَميتَهم إليه، فَنَصحهم فولَّوا وجوهَهم عن نصيحتهِ، واستتابَهم فأصرّوا إلّا أن يقتلوه تقرُّباً إلى يزيد. وإلى اللحظاتِ الأخيرة أراد الإمام الحسين عليه السلام ألّا يُصيبَهم الخزي أو تنزلَ عليهمُ المذلّة، فيبوؤُوا بسَخَطِ الله جلّ وعلا، فقال لهم: «**وَيْلكم! إن لم يكن لكم دِين، وكنتم لا تخافون يوم المَعاد، فكونُوا في أمرِ دنياكم أحراراً ذوي أحساب، إمنعُوا رَحْلي وأهلي من طغامِكم وجُهّالِكم**» (٢). إلّا أنَّهم أصمّوا آذانهم، وأصرّوا واستكبروا استكباراً، فكانت منهمُ الجريمةُ العظمى، حيث قتلوا ابنَ رسولِ الله صلى الله عليه وآله، ولم يكتفُوا حتّى مثّلوا بجسده المبارك، ورفعوا الرأسَ الشريف على الرُّمح، وسَبَوا عيالَه في رحيلٍ مُحزنٍ فجيع.

(١) ينظر: البداية والنهاية ٨ : ٢٠٣.

(٢) تاريخ الطبريّ ٤ : ٣٤٤، مقتل الحسين عليه السلام لأبي مخنف: ١٩٠.

بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلَاةِ إِنَّ اللهَ مَعَ الصَّابِرِينَ۞وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ يُقْتَلُ فِي سَبِيلِ اللهِ أَمْوَاتٌ بَلْ أَحْيَاءٌ وَلَكِنْ لَا تَشْعُرُونَ ۞ وَلَنَبْلُوَنَّكُمْ بِشَيْءٍ مِنَ الْخَوْفِ وَالْجُوعِ وَنَقْصٍ مِنَ الْأَمْوَالِ وَالْأَنْفُسِ وَالثَّمَرَاتِ وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ۞ الَّذِينَ إِذَا أَصَابَتْهُمْ مُصِيبَةٌ قَالُوا إِنَّا لِلهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ۞ أُولَئِكَ عَلَيْهِمْ صَلَوَاتٌ مِنْ رَبِّهِمْ وَرَحْمَةٌ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُهْتَدُونَ**﴾ (سورة البقرة: ١٥٣ ١٥٧).

صلوات الله ورحمتُه على الإمام السجّاد زين العابدين عليِّ بن الحسين، وصلوات الله ورحمتُه على زينب بنت عليّ بن أبي طالب، إذِ ابتُليا أشدَّ الابتلاء وأفجعَه، فكانا على أعلى درجات الصبر؛ لأنّهما على أعلى درجات الإيمان بالله تعالى، وإلّا فَمَن يُطيق تلك المشاهد الرهيبة في كربلاء، وفجيعةَ تلك المصيبة يومَ عاشوراء، حيث ابنُ رسول الله وابنُ أمير المؤمنين، وفاطمةَ سيدةِ نساء العالمين، طريحُ رمالِ كربلاء، مقطَّعُ الأعضاء! ومَن يُطيق زيارتَه في جُنح اللّيل لئلا يتشفّى الأعداء، بل مَن يطيق الحياةَ بعد هذه الكارثة الباكية المبكية، الرهيبة العجيبة، المُفْجعة؟! فكيف لا نبكي يا ربِّ كيف؟! واللهِ إنّا لَنبكي على زينب..

نَبكي على من عاينَتْ أشلاءَ الضحايا، مُجزَّرين على صعيد المنايا، ورأَتْ مصارعَ الشهداء مِن عشيرتها، وإخوتِها وبني عُمومتها، قد فرّق السيفُ بين الرؤوس منهم والأبدان، وحرارةُ الشمس قد غيّرَتْ منهمُ الألوان، وبينهم ريحانةُ المصطفى سيدُ شباب أهل الجنّة صريعاً على الرمضاء، فأجهَشَتْ بالبكاء، ونادَتْ بهذا الدعاء: «**إلهي،**

**تقبَّلْ منّا هذا القربان»** [١]، ثمّ انثَنَتْ شاكيةً وَجْدَها، إلى جَدِّها، وهي تقول: يا مُحمّداه، هذا حسينٌ بالعَراء، مُرَمَّلٌ بالدماء، مقطَّعُ الأعضاء، وبناتُكَ سبايا، وذُرّيّتُكَ مُقتَّلة!!

***

إنّ الموقفَ لصعبٌ مُستصعَب، إذ كيف تُطيق الأختُ أن ترى أخاها الطيّبَ الطاهر مُرمَّلاً بالدماء، مقطّعةً منه الأعضاء، وقد نالتْ من بدنه الشريف عشراتُ السِّهام والرماح والسيوف، وبقيَ مُسجّىً لا أحَد يحملُه أو يُغطّيه أو يدفنُه، وهو ابنُ رسول الله ﷺ وريحانتُه، وهو سيدُ شبابِ أهل الجنّة، وهو مِن أهل بيتِ النبوّة والعصمة، والطُّهْر والنجابة والكرامة! كيف تُطيق الأختُ رؤيتَه وهو على هذا الحال، وأينما قلّبتْ بصرَها مِن حوله رأتِ الكواكبَ من أهلها، فهذا أخوها العبّاس، وذاك ابنُ أخيها القاسم، وذلك ابنُ أخيها عليٌّ الأكبر، وذا عبدُ الله الرضيعُ الذبيح بسهمٍ لئيم، ورأتِ النجوم من عشيرتها وأصحاب أهل بيتها نُثَّراً كأنّهم يَطوفون حول شمس الجسدِ الحسينيّ المقدَّس.. والله إنّه لَموقفٌ يعرجُ بناظرِه إلى الموت لولا الإيمانُ وانتظارُ أداء التكليف، وإنّه لموقفٌ آخذٌ بالقلب وباعثٌ على همٍ لا ينقضي حتّى ينقضيَ العمر.

أمّـا الهـمـومُ فقد حـلَّـتْ بِوادينا ... واسْتوطنتْإذْرأتْحُسْنَالقِرىفينا
وهل ترى أحداً أحرى بصُحبتِها ... ممّنْ حوى الفضلَ والآدابَ والدِّينا
أَنّى يكونُ لأهلِ الفضل مِنْ فرحٍ ... وما صفا عيشُهم مِنْ لوعةٍ حينا
ألا ترى السادةَ النُّجْبَ الكرامَ بني ... سليلةِ المصطفَى الـغُـرَّ المَيامينا
أصابَهُم من بني حربِ الخُباثِ أذىً ... له السماواتُ والأَرْضون يبكينا[٢]

---

(١) ينظر: شجرة طوبىٰ ٢ : ٣٩٣، ومجموعة وفيات الأئمّة: ٤٥٠، والنصّ فيها: «اللهمّ تقبّل منّا هذا القليلَ من القُربان».

(٢) هذه الأبيات هي أوائل أبيات المرثيّة الثانية التي ذكرها المجلسّي في بحار الأنوار ٤٥ : ٢٦٩ لأحد تلامذة والده، وهو المرحوم محمّد رفيع بن مؤمن الجيلي، الذي سأله إيرادها في كتابه.

***

ثمّ لو بعدَ هذه الفاجعة.. حيث قُتل الأخُ والابن وابن الأخ والزوج، وقُتل الأب وابن العمّ، والمحبّ والصديق المُوالي.. لو بعدَ هذا وذاك عودةٌ إلى الدار ليشتغل المرءُ بهمِّه وحزنه.. لكن بعد هذا توديعٌ للأجساد الطاهرة تُترَك في صحراء كربلاء على رمالها، تُداعِبُ الرياحُ ثيابَها المُدمّاة، وبعد هذا مبيتٌ مُوحِشٌ قربَ أجساد الشهداء في ليلةٍ لا تُوصَف، كلّما أطلّتِ العينُ من الخيام لا ترى الأمُّ مِنْ ولدِها رجعة، ولا الزوجةُ لزوجها من عودة، ولا الأختُ من أخيها التفاتة، ولا العمّة من ابن أخيها نجْدةً ولا يَقَظة، الكلّ نيامٌ راحلون، الأرواحُ تألّقتْ، وظلّتِ الأبدانُ تمرّ عليها الرياحُ المُرْمِلة.

وبعد كلِّ هذه المصائب، ترحيل السبايا إلى ديار الأعداء، إلى مَن يتشوّق للتشفّي بقتل سيّد الشهداء، وهنا مصيبةٌ أخرى، بل كُبرى، حيث سفرٌ في أراضٍ وعرةٍ يتصفّح فيها العدوُّ والصديق، الوضيعُ والشريف، البعيد والقريب، وُجوهَ السبايا مُقادِين إلى زُمرة الفساد والطغيان، إلى عُبيد الله بن زياد وإلى يزيد بن معاوية، فكيف لا يبكي المسلمُ وحُرَمُ رسولِ الله تُهتك، وحريمُ رسول الله تُسبى، والله لَنبكي على زينب إذْ تنوء بِعِبْء المسؤولية العظمى، فالقافلةُ تحت وصايتها وهي سبيّةٌ معها! نبكي على من أبعَدَها الزمان، عنِ الأهلِ والأوطان، وطاف بها الأعداءُ سبيّةً في البلدان، وسَرَوا بها أسيرةً من الكوفة إلى الشام، بجمعٍ من الأرامل والأيتام!

***

وهل يبقى الحسين عليه السلام بعد شهادته بلا دفن؟! الروايات تذكر أنّ المعصوم لا يدفنُه إلّا معصوم، فقد دفنَ الإمام عليٌّ عليه السلام رسولَ الله صلى الله عليه وآله بعد أن غسّله وجهّزه، وكذلك دفن عليه السلام فاطمةَ سلام الله عليها، ودفن الحسنُ المجتبى أباه أمير المؤمنين عليهما السلام، ودفنَ الحسينُ أخاه الحسن عليهما السلام.. أمَّا الحسين عليه السلام فقد دفنه ابنه عليٌّ زين العابدين عليه السلام، وكان

أسيراً بأيدي الأعداء، لكنّه عليه السلام تمكّن من الخروج ليلاً مساءَ الثاني عشر من المحرّم من الكوفة فوصل إلى كربلاء صبيحةَ الثالث عشر منه، فدَفَنَ أباه الحسينَ عليه السلام، وصَحْبَه، برِفقةِ رهطٍ من بني أسد كانوا هناك، ولمّا فرغ من مُواراتهم جميعاً وعرّفهم بقبر الإمام الحسين عليه السلام وقبر أبي الفضل العبّاس عليه السلام والهاشميّين وقبور الأصحاب وحبيب بن مظاهر، عند ذلك عرّفهم بنفسه وطلب إليهم أن يقوموا بضيافة الزائرين ودلالتهم وتعريفهم، ثمّ ودّعهم عليه السلام وعاد إلى سجن عبيد الله بن زياد دون أن يشعر به الحرّاس، وكانت عمّته العقيلة زينب عليها السلام قد افتقَدَتْه تلك اللّيلة، فلمّا عاد أخبرها أنّه مضى لمواراة جثمانِ أبيه الحسين عليه السلام وأهل بيتِه وصَحبِه.

***

نعم، لقد دُفِن جسد أبي عبد الله الحسين عليه السلام في الثالث عشر من المحرّم، أي بعد شهادته بثلاثة أيّام، ولكنّ رأس الحسين بقيَ على أطراف الرماح وبأيدي الأعداء وبين يَدَي ابنِ زياد ثمّ يزيد لعنهما الله، حتّى أعاده الإمامُ زين العابدين عليه السلام إلى كربلاء عندما رجع من الأسر، فألحَقَه بالجسد الشريف، وذلك بعد أربعين يوماً من مقتله، أي في العشرين من صفر سنةَ إحدى وستّين للهجرة.

فسلامٌ على روح الحسين الطيّبة، وعلى جسده الطاهر الطيّب، وسلامٌ على دافنِه ومَدفنِه، وسلامٌ على تُربةٍ تشرّفت بملامسته، وكانت قد أبكَتْ رسولَ الله صلى الله عليه وآله، فحين دخَلَ عليه الإمام عليٌّ عليه السلام رأى عينَيهِ تَفيضان، فقال له: **ما لِعينَيك تفيضان، أَغْضَبَكَ أحد؟!** قال: **لا، بل كان عندي جَبرئيلُ فأخبرني أنّ الحسين يُقتَل بشاطئ الفرات**، فقال: **هل لك أن أُشِمَّك من تربته؟!** قلت: **نعم**. فمدَّ يدَه فأخذ قبضةً من ترابٍ فأعطانيها، **فلم أملِكْ عينَيَّ أنْ فاضتا، واسمُ الأرضِ «كربلاء»** [1].

(١) بحار الأنوار ٤٤ : ٢٤٧، ٢٤٨ / ح ٤٦، في الرؤية التي رأتها أُمّ الفضل لُبابة زوجة العبّاس.

فسلامٌ على كربلاء، وعلى أوّل ساكنيها من أهل بيتِ النبوّة، ومن الصحابةِ المخلصين الشهداء.. وصلّى الله على الأرواح الطيّبة التي حلَّتْ فيها.

وينظر: كشف الغمّة ٢ : ٢٧٠، ومثير الأحزان: ٩، ولواعج الأشجان: ٢٢، والمُصنَّف لابن أبي شيبة الكوفيّ ٨ : ٦٣٢ / ح ٢٥٩، والآحاد والمثاني ١ : ٢٠٨ / ٢٠٩ / ح ٤٢٧.

أهل البيت عليهم أفضل الصلاة والسلام؛ لأنّهم حججُ الله ونحن مضطرّونَ إلى هذه الحجج، ولأنّهم شهداءُ الله على خَلْقه وقد فرض سبحانه علينا طاعتَهم، ولأنّهم الهداةُ وولاةُ أمر الله وخزنةُ علمه وخلفاؤُه في أرضه، وأبوابه التي منها يُؤتى، وهم نورُه والعلامات والنجومُ والآيات، وهم أهلُ الذِّكر وأُولو الأمر، والراسخُون في العلم، وموضعُ محبّةِ الله.. فإنّ دينَنا لا يستقيم إلّا بالرجوع إليهم، والقلبُ المؤمن لا يَهوى غيرَهم، ولا يرجِع إلّا إذا كانت العودة إلى الحبيب، وقد فرض الله حبَّهم على الناس وجعل مودّتَهم عليهم السلام مسؤولاً عنها، فقال عزَّ مِنْ قائل: ﴿**قُلْ لَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ أَجْرًا إِلَّا الْمَوَدَّةَ فِي الْقُرْبَى**﴾[1]:

يـا آلَ بيـتِ رسـولِ الله حُبُّكُمُ  فـرضٌ مِـنَ الله في الـقـرآنِ أَنزلَهُ
كَفاكُمُ مِـن عظيمِ الشأنِ أَنَّكُمُ  منْ لم يُصَلِّ عليكُم لا صلاةَ لهُ[2]

***

ومحبّة أهل البيت عليهم السلام فضلاً عن أنّها ضرورةٌ عظمى مِن ضرورات الإيمان؛ لأنّها محبّةٌ لله، لِكونهم أحباءَه، ومحبّةٌ لرسول الله؛ لِكونهم أهلَ بيته وأودّاءَه هي أيضاً سعادةٌ في الدنيا ومَنجاةٌ في الآخرة، وبصيرةٌ في الحياة، وَحُسنُ ثوابٍ يومَ الحساب، قال الإمام

---

(١) سورة الشورى: ٢٣.

(٢) المراجعات: ٨٥ المراجعة ١١، وفيه: «مِن عظيمِ الفضل»، والنصّ والاجتهاد: ٨١، والغدير ٢ : ٣٠٣، وفيهما: «مِن عظيمِ القَدْرِ».

جعفر الصادق عليه السلام: «**إنّ حبَّنا أهلَ البيت لَيَحطُّ الذنوبَ عن العباد كما تَحطُّ الريحُ الشديدةُ الورقَ عن الشجر**»[١].

والمحبُّ إذا ألمَّ بحبيبه مكروهٌ حزِنَ وبكى، ودخل قلبَه الهمُّ والأذى، ولا تهنأ نفسُه إلّا إذا بثّتْ غمَّها، وذكرَتْ مُصيبتَها، وزارت ديارَ حبيبها، وجادت بأدمعها، هو ذا الشاعرُ يقول:

ما في المنازلِ حاجةٌ نَقضيها ... إلّا السلامُ وأدمعٌ نَذْريها
وتفجّعٌ للعينِ فيها حيثُ لا ... عيشٌ أُوازيهِ بعيشي فيها
أبكي المنازلَ وهْيَ لو تدري الذي ... بَعثَ البكاءَ لكنتُ أستبكيها
بالله يا دمعَ السحائبِ سَقِّها ... ولَئن بَخِلتَ فأدمعي تَسقيها
صَلُّوا على بنتِ النبيِّ محمّدٍ ... بعدَ الصلاةِ عَلَى النبيِّ أبيها
وابكوا دماءً لو تُشاهِد سَفْكَها ... في كربلاءَ لَما وَنَتْ تَبكيها
يا هَولَها بين العمائمِ واللُّهى ... تجري وأسيافُ العِدى تُجريها
تلك الدماءُ لَوَ انّها تُوقى إذنْ ... كانتْ دماءُ العالمينَ تَقيها
لو أنَّ منها قطرةً تُفدى إذنْ ... كنّا بنا وبغيرِنا نَفْديها[٢]

***

والحزنُ على الأحبّة شرفٌ عاطفيّ، إذ يكون الحزين ليّنَ القلب رقيقَ الإحساس، فإذا حَزِن على أحبّاء الله فهو على خير، وقد جاء في سيرةِ المصطفى صلى الله عليه وآله أنّه حَزِن على

(١) قرب الإسناد: ٣٩ / ح ١٢٦، ثواب الأعمال: ١٨٧/ ١٨٨، بشارة المصطفى: ٤١٦، بحار الأنوار ٢٧ : ٧٧ / ح ٩.

(٢) الغدير ٣ : ٣٦٧، وهي أبيات مختارة من قصيدة لأبي القاسم الصنوبريّ المتوفّ سنة ٣٣٤ هـ . من غير البيت السابع، وجاءت كلمة «بحث» بدل «بعث» المذكورة في البيت الثالث، و «سقنها» بدل «سقّها» الواردة في البيت الرابع.

زوجته الطيّبةِ المؤمنة خديجة عليها السلام بعد وفاتها حزناً شديداً، وسمّى عامَ وفاتِها ووفاةِ عمّه أبي طالب رضوان الله عليه بعام الحزن. وكذلك حَزِن صلوات الله عليه وآله على أصحابه بعد شهادتهم، بل بعد فراقهم، ومِن دلائل الحزن أنّه صلى الله عليه وآله قال بعد عودة جعفر بن أبي طالب رضي الله عنه من الحبشة: «ما أدري أنا بأَيِّهما أشدُّ فَرَحاً: أبِقدومِ جعفر، أم بفتح خيبر!»[1]. وبعد أن هاجر صلى الله عليه وآله إلى المدينة وقبل الوصول إليها نزل في قِباء ينتظر قدوم أخيه وحبيبه عليٍّ عليه السلام بعدَه، فقال له أحدُهم: انهضْ بنا إلى المدينة؛ فإنّ القومَ قد فرِحوا بقدومك، وهم يستريثون إقبالَك إليهم، فانطلقْ بنا ولا تُقِمْ هاهنا تنتظر عليّاً، فما أظنُّه يَقْدم إليك إلى شهر. فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله: «**كلا ما أسرعه، ولستُ أريمُ حتّى يَقْدِمَ ابنُ عمّي وأخي في الله عزَّ وجلّ وأَحبُّ أهلِ بيتي إليّ، فقد وقاني بنفسه من المشركين**»[2]، فبقي صلى الله عليه وآله خمسةَ عشَر يوماً، فوافى عليٌّ بعياله وقد تفطّرَتْ قدماه، فاعتنقه النبيّ صلى الله عليه وآله وبكى رحمةً لِما بقدمَيهِ من الورم، وشوقاً إلى لقائه.

فكيف لا يبكي الموحِّدُ المحبُّ لأهلِ البيت، وهو يتذكّرُ مصارعَهم مظلومين، قد دفَعَهُم الطغاة والأشقياء عن مقامِهم، وأزالوهم عن مراتبِهمُ التي رتّبهم اللهُ فيها بعد أن أسّسوا أساسَ الظلم والجور عليهم؟! وكيف لا يحزن المُوالي لأهل بيتِ النبيّ صلى الله عليه وآله وهو يسمع أو يقرأ أنّ الناس مهّدوا للكَفَرة بالتمكين من قتالِ الأئمّةِ ثمّ قتلِهم؟! وكيف لا يحزن المُوالي المؤمن وهو يتصوّر عترةَ النبيّ صلى الله عليه وآله وقد أوصى بهم وألزم الأمةَ بطاعتهم واتّباعِ أمرهم، يتصوّرهم مُقتَّلين مُطرّحين على الرمال بلا دفن، قد فرّق السيفُ بين الرؤوس منهم والأبدان، وحرارةُ الشمس قد غَيَّرت منهمُ الألوان؟!

---

(١) ينظر: تهذيب الأحكام ٣ : ١٨٦ / ح ٤٢٠، ومسالك الأفهام: ٢٧٩، وبحار الأنوار ٩١ : ٢١١ / ح ١٤، والسيرة النبويّة لابن كثير ٣ : ٤٨٣، و٤ : ١٣٥، والبداية والنهاية ٤ : ٢٩٢، و٥ : ٨٢.

(٢) الكافي ٨ : ٣٤٠ / ح ٥٣٦، والمحتضر: ٥٨، وبحار الأنوار ١٩ : ١١٦ / ح ٢.

***

وكيف لا يبكي قلبُ الموالي وهو يقرأ الزيارةَ الواردة عن الحجّةِ المهديّ صلوات الله عليه والمسمّاة بـ «زيارة الناحية المقدّسة»، حيث يقول فيها مخاطباً جدَّه الحسين عليه السلام: «.. **حتّى إذا الجَورُ مَدَّ باعَه، وأسفَرَ الظلمُ قِناعَه، ودعا الغيُّ أتْباعَه، وأنت في حَرَمِ جَدِّك قاطن، وللظالمينَ مُباين، جليسُ البيت والمحراب، معتزلٌ عن اللَّذّاتِ والشَّهوات، تُنكِرُ المنكَرَ بقلبِكَ ولسانك، على حسَبِ طاقتِك وإمكانك، ثمّ اقتضاكَ العِلمُ للإنكار، ولَزِمَك أنْ تجاهَد الفُجّار، فسِرْتَ في أولادِكَ وأهاليك، وشيعتِك ومُواليك، وصدَعتَ بالحقّ والبيّنة، ودعوتَ إلى الله بالحكمة والموعظة الحسنة، وأمرتَ بإقامةِ الحدود، والطاعةِ للمعبود، ونهَيتَ عن الخبائثِ والطغيان، وواجهوك بالظُّلْم والعُدوان، فجاهدتَهم بعدَ الإيعاز لهم، وتأكيدِ الحُجّةِ عليهم، فنكثوا ذِمامَك وبيعتَك، وأسخطوا ربَّك وجَدَّك، وبدأُوكَ بالحرب، فثَبتَّ للطعن والضرب، وطحنتَ جنودَ الفُجّار، واقتحمتَ قَسْطلَ الغبار، مُجالِداً بذي الفِقار، كأنّك عليٌّ المختار، فلمّا رأَوكَ ثابتَ الجأش غيرَ خائفٍ ولا خاشٍ، نصبوا لك غوائلَ مَكْرِهم، وقاتلوك بكيدِهم وشرِّهم، وأمَرَ اللّعينُ جنودَه، فمنعوكَ الماءَ وورودَه، وناجزوك القتال، وعاجَلُوك النِّزال، ورشقوك بالسهام والنِّبال، وبسطوا إليكَ أكفَّ الاصطلام، ولم يَرْعَوا لك ذِماماً، ولا راقبوا فيك آثاماً، في قتلِهم أولياءَك، ونهبِهم رِحالَك..**».

إلى أن يقول الإمام المهديّ عليه السلام يصف حالَ الإمام أبي عبد الله الحسين عليه السلام في ظهيرةِ عاشوراء: «**فأحدقوا بكَ مِن كلِّ الجهات، وأثخنوك بالجراح، وحالوا بَينَك وبين الرَّواح، ولم يبقَ لك ناصر، وأنت محتسِبٌ صابر، تذُبُّ عن نِسْوتِك وأولادِك، حتّى نَكَسُوك عن جَوادِك، فَهَوَيتَ إلى الأرض جريحاً، تَطَؤُكَ الخيولُ بِحَوافِرِها، وتَعلُوك الطُّغاةُ بِبَواتِرِها، قد رشَحَ للموتِ جَبينُك، واختلَفَتْ بالانقباضِ والانبساط شمالُك**

**ويمينُك، تُديرُ طَرْفاً خفيّاً إلى رَحْلِك وبيتِك... والشمرُ جالسٌ على صدرِك، مُولِغٌ... ورُفِعَ على القَنا رأسُك، وسُبيَ أهلُك كالعبيد، وصُفِّدوا في الحديد، فوقَ أقتابِ المَطيّات، يلفح وجوهَهم حَرُّ الهاجرات، يُساقون في البراري والفَلَوات..»**[1].

***

أجل، إنّها الفاجعة، وقد خَلَّفت وفاةُ رسول الله ﷺ حُزناً طويلاً في قلوبِ المُحبّين حتّى استُشهِدتِ الصدّيقةُ الزهراء ﷺ وهي كسيرةُ الصدر، يغلي قلبُها شوقاً إلى أبيها، فقد كانت تذهبُ إلى قبرِ المصطفى ﷺ تتناولُ قبضةً من تُربته وتشمُّها، ثمّ تجهش بالبكاء وتقول:

**مـاذا عـلى مَـنْ شَـمَّ تُـربـةَ أحمـدٍ ... ألّا يَـشـمَّ مَـدى الـزمـانِ غَوالِيا**
**صُـبَّـتْ عـلَيَّ مـصـائـبٌ لَـو أنَّـهـا ... صُبَّتْ عَلَى الأيّـامِ صِرْنَ لَيالِيا**[2]

وخرجت ﷺ مرةً إلى قبر النبيّ ﷺ وهي تعثر في أذيالها، ولا تُبصرُ شيئاً مِنْ عَبْرتِها، حتّى دَنَتْ من القبرِ الشريف فأُغميَ عليها، فتبادرتِ النساءُ إليها، ونضحْنَ الماءَ عليها، حتّى إذا أفاقَتْ أخذتْ تقول: «**أبتاه، رُفعَتْ قُوّتي، وخانَني جَلَدي، وشمتَ بي عَدوّي، والكمَدُ قاتلي**[3]. **أبتاه، مِنبَرُك بعدَك مُوحِش، ومحرابُك خالٍ من مناجاتِك، وقبرُك فَرِحٌ**

---

(١) المزار الكبير، لمحمّد بن المشهديّ: ٥٠٢، ٥٠٥، بحار الأنوار ١٠١ : ٢٣٩، ٢٤١ / ح ٣٨، و٣٢١، ٣٢٢ / ح ٨.

(٢) مناقب آل أبي طالب ١ : ٢٠٨، و فيه البيتان السابع و الثاني من قطعة ذات سبعة أبيات، مطلعها:

**قُـل للمغيَّبِ تحـتَ أطبـاق الثَّرى ... إن كنتَ تَسمعُ صرختي ونِدائيا**

ومنتهى المطلب ١ : ٤٦٦، ومغني المحتاج ١ : ٣٥٦، والغدير ٥ : ١٤٧، و٦ : ١٦٥، وكذا في عيون الأثر ٢ : ٤٣٤، وسبل الهدى والرشاد ١٢ : ٣٣٧. وفي مغني المحتاج و الغدير وعيون الأثر و سبل الهدى و الرشاد: «عُدنَ» بدل «صِرنَ».

(٣) بحار الأنوار ٤٣ : ١٧٥، واللمعة البيضاء: ٨٥٦، وبيت الأحزان: ١٦٤.

**بمُواراتِك، فوا أسفاه عليك، إلى أنْ أقْدِمَ عليك»**. ثمّ زفَرَتْ وأنّتْ أنّةً كادتْ روحُها أن تخرج معها! [١]

***

وشكا بعض شيوخِ أهل المدينة قائلين للإمام عليّ عليه السلام: إنّ فاطمةَ تبكي اللّيلَ والنهار، فلا أحدٌ منّا يهنأ بالنوم في اللّيل، وإنّا نطلب منك أنْ تسألَها إمّا أنْ تبكيَ ليلاً أو نهاراً، فقال عليه السلام: «**حُبّاً وكرامةً**». فلمّا أخبرها قالت: «**يَا أَبَا الحَسَنِ، مَا أَقَلَّ مَكْثِي بَيْنَهُمْ، وَمَا أَقْرَبَ مَغِيبِي مِن بَيْنِ أَظْهُرِهِم، فَوَ الله لا أَسْكُتُ لَيْلاً ولا نَهَاراً، أَو أَلْحَقَ بِأَبِي رَسُولِ الله**» [٢]. ثمّ بنى الإمامُ عليه السلام لها بيتاً في البقيع سُمِّي بـ «بيتِ الأحزان»، أخَذَت تصطحبُ الحسنَينِ إليه لِتبكيَ فيه نهاراً. واشتاقَتْ عليها السلام إلى سَماعِ صوتِ الأذان، وكان بلالٌ قد امتنعَ بعدَ وفاة النبيّ صلى الله عليه وآله، فأخذ في الأذان مجلجِلاً بصوته الجَهُوريّ: أَللهُ أكبر، فبكت فاطمة، وما أن بلغ قولَه: أشهدُ أنّ محمّداً رسولُ الله، حتّى شَهِقت وسقطتْ لوجهِها فأُغمي عليها، فقال الناسُ لبلال: أَمسِكْ يا بلال؛ فقد فارقت ابنةُ رسولِ الله الدنيا! فقطَعَ بلالٌ أذانَه ولم يُتمَّه، ولمّا أفاقت عليها السلام سألَتْه أنْ يُتمّ مِن حيث قطع، فأبى واعتذر، فأعفَتْه عن ذلك.

وقد وقف أمير المؤمنين عليٌّ صلوات الله عليه على قبرِ حبيبه رسولِ الله صلى الله عليه وآله فقال يُخاطبه: «**إنّ الصبرَ لَجميل إلّا عنك، وإنّ الجزعَ لقبيحٌ إلّا عليك، وإنّ المُصابَ بك لَجليل، وإنّه قبلَكَ وبعدَك لَجَلَل**» [٣].

وقد تُوفي رسولُ الله صلى الله عليه وآله بينَ أهله وذَويه، بل في حِجْر عليٍّ عليه السلام.. فكيف بمصيبةِ

---

(١) بحار الأنوار ٤٣ : ١٧٦ / ح ١٥.

(٢) بحار الأنوار ٤٣ : ١٧٧ / ح ١٥، اللمعة البيضاء: ٨٥٨، بيت الأحزان: ١٦٥.

(٣) نهج البلاغة: الحكمة ٢٩٢، عيون الحِكَم والمواعظ: ١٥٠، وبحار الأنوار ٨٢ : ١٣٤ / ح ١٨.

الحسين عليه السلام وقد فارقَ الدنيا غريباً مظلوماً صريعاً على الرمضاء، مُرمَّلاً بالدماء، مقطَّعَ الأعضاء؟!

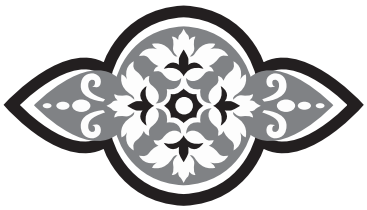

تـاللهِ إنْ كـانـت أُمـيّـةُ قـد أَتَـتْ قـتـلَ ابـنِ بـنـتِ نبيِّها مَظلوما
فـلـقـد أَتـــاهُ بـنـو أبـيـهِ بِـمِـثْـلِـهـا هـذا لَـعَـمْـرُكَ قـبرُه مَـهـدومـا
أسِـفـوا على ألّا يكونوا شاركُوا في قـتـلِـه، فـتَـتـبّـعـوُه رَمـيـما[1]

أجل، أبتِ النفوسُ الخبيثةُ إلّا انتقاماً من أهل الفضل والنعماء عليها، أبتْ إلّا الإساءةَ إلى المُحسنينَ إليها، فقد حمل النبيُّ ﷺ أعباءَ الرسالة وتحمّلَ مِن أجل إبلاغها إلى الناس كلَّ أذىً ليسعدوا بها في دُنياهم وأُخراهم، وقرأ على الملأ قولَه تعالى: ﴿**قُل لا أسألُكُم عَلَيهِ أَجْراً إلّا المودّةَ في القربى**﴾[2]، فما تُوفي ﷺ إلاّ وتعقّب المُنحرفون قُرباهُ بالقتلِ بالسيف والرمحِ تارة، وبالسُّمّ تارة! وأخفَوهم في القصور في إقامةٍ جبريّة ورقابةٍ دقيقةٍ تارة، وفي قعرِ السجون والزنزانات تارةً أخرى، وما تركوا أحداً حتّى ختموا حياتَه بالقتل.

ثمّ لخباثةِ نفوس الحاقدين أنّهم تعقّبوا حتّى القبورَ التي ضمَّت أبدانَ الأئمّةِ الأطهار عليهم السلام يُخفونها؛ لأنّها مهوى قلوبِ المؤمنين، تهفو إليها وتستلهم منها معاني الإسلام، ومنها قبرُ سيّدِ الشهداء أبي الأحرار الحسينِ بن عليٍّ سلام الله عليه، هدّموه

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٤٠٥، العوالم ـ الجزء الخاصّ بالإمام الحسين عليه السلام: ٧٢٩، شجرة طوبى ١ : ١٥٨، البداية والنهاية ١١ : ١٤٣. ويُنظَر: أمالي الصدوق: ٣٢٩، ومناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٢١، وبحار الأنوار ٤٥ : ٣٩٨ / خ ٦، وفيها جميعاً: «شايَعُوا» بدل «شاركوا» في البيت الثالث.

(٢) سورة الشورى: ٢٣.

عشرات المرّات، وأرادوا أن يُخفوا معالَمه، أو أرادوا أن يطفِئوا نورَ الله ولكنْ أبى الله إلّا أن يُظهِر نورَه ويُتمَّه ولو كره الكافرون والمشركون، فقد ظهَرَت لقبره الشريف كراماتٌ وعلاماتٌ دالّةٌ على عِظَمِ شأنِه عندَ الله سبحانه وتعالى.

***

قال ابن الأثير المؤرخ، وعالِمُ أهلِ السنّة، في كتابِه (الكامل): في سنة ٢٣٦ هـ أمرَ المتوكّلُ بهدم قبر الحسين عليه السلام، وهدمِ ما حوله من المنازل والدُّور، وأن يُبذَرَ ويُسقى موضعُ قبره، وأن يُمنَع الناس من إتيانه، فنادى بالناس في تلك الناحية: مَنْ وجدناه عند قبره بعد ثلاثةٍ حبسناه في المُطْبِق! فهرب الناس وتركوا زيارتَه، وخُرِّب وزُرع. وكان المتوكل شديدَ البُغض لعليّ بن أبي طالب عليه السلام ولأهل بيته، وكان يقصد مَنْ يبلغه عنه أنّه يتولّى علياً وأهله بأخذ المال والدم! [1]

وقال أبو الفرج الأصفهانيّ في كتابه (مقاتل الطالبين): وكان المتوكّل شديدَ الوَطْأةِ على آلِ أبي طالب، غليظاً على جماعتهم مهتمّاً بأمورهم، شديدَ الغَيظ والحقد عليهم، وسوءِ الظنّ والتهمةِ لهم.. فبلغَ فيهم ما لم يبلغْه أحدٌ من خلفاء بني العبّاس قَبلَه، وكان مِن ذلك أن كرب قبرَ الحسين عليه السلام وعفّى آثاره، وَوَضع على سائر طرق الزوّار مسالحَ لا يجدون أحداً زاره إلّا أَتَوه به فقتله أو أنهكه عقوبةً.. و[قد] بعث برجلٍ من أصحابه يُقال له «الدَّيْزج»، وكان يهوديّاً فأسلم، إلى قبر الحسين عليه السلام وأمره بكربِ قبره ومحوِه، وإخرابِ كلِّ ما حوله، فمضى ذلك وخرّب ما حوله، وهدّم البناء وكَرَب ما حوله نحو مائتَي جريب، فلمّا بلغ إلى قبره لم يتقدّم إليه أحد، فأحضر قوماً من اليهود فكربوه، وأجرى الماءَ حولَه، ووكّل به مسالحَ بين كلِّ مسلحتين ميل، لا يزوره زائرٌ إلّا أخذوه،

(١) الكامل في التاريخ ٧ : ٥٥ ذكر ما فعله المتوكّل بمشهد الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليه السلام.

ووُجِّه به إليه! [١]

وجاء في (أمالي الشيخ الطوسي) رضوان الله عليه: عن إبراهيم الدَّيزج قال: بَعَثني المتوكّلُ إلى كربلاء لتغيير قبرِ الحسين، وكتب معي إلى جعفر بن محمّد بن عمّار القاضي: أُعْلمُك أنّي قد بعثتُ إبراهيم الدَّيزج إلى كربلاء لينبش قبر الحسين، فإذا قرأتَ كتابي فقفْ على الأمر حتّى تعرف: فَعَلَ أو لم يفعلْ. قال الدَّيزج: فعرّفني جعفر بن محمّد بن عمّار ما كَتبَ به إليه، ففعلتُ ما أمرني به... ثمّ أتيتُه فقال لي: ما صنعت؟ فقلت: قد فعلتُ ما أمرتَ به فلم أرَ شيئاً ولم أجد شيئاً، فقال لي: أفلا عمّقتَه؟ قلت: قد فعلتُ فما رأيت. فكتبَ إلى السلطان أنَّ إبراهيم الدَّيزج قد نبش فلم يجد شيئاً، وأمَرتُه فَمخَره بالماء (أي أغرَقَه)، وكَرَبه بالبَقَر. قال أبو عليّ العماريّ: فحدّثني إبراهيم الدَّيزج، وسألتُه عن صورة الأمر، فقال لي: أتيتُ في خاصّةِ غلماني فقط، وإنّي نبشتُ فوجدتُ باريةً جديدةً وعليها بدن الحسين بن عليّ، ووجدتُ منه رائحةَ المسك، فتركتُ البارية على حالتها وبدن الحسين على البارية، وأمرتُ بطرح التراب عليه، وأطلقتُ عليه الماءَ وأمرتُ بالبقر لتَمخُرَه وتحرثه، فلم تطأْه البقر، وكانت إذا جاءت إلى الموضع رجعت عنه، فَحَلفْتُ لغلماني بالله وبالأَيمان المُغلَّظة لَئن ذَكَرَ أحدٌ هذا لأقتُلَنّه! [٢]

وفي حقيقة الأمر، لم يكن القصدُ أن يُقبرَ قبرُ الحسين عليه السلام أو تُمحى آثارُه، بل كان المرادُ مَحوَ ذكْرِ الحسين أو بالأحرى محْو ذكْرِ الرسول صلى الله عليه وآله؛ لأنّه صلوات الله عليه وآله كان يقول: «**حسينٌ منّي وأنا مِن حسين، أَحبَّ اللهَ مَنْ أحبَّ حسيناً**» [٣]. وقد رآه البرَاءُ

(١) مقاتل الطالبيّين: ٣٩٥/ ٣٩٦، أيّام المتوكّل.
(٢) أمالي الصدوق: ٣٢٦ / ح ٦٥٣.
(٣) شرح الأخبار ٣ : ٨٨ / ح ١٠١٥، و٣ : ١١٢ / ح ١٠٥٠، كامل الزيارات: ١١٦ / ح ١٢٦ و: ١١٧ / ح ١٢٧، الإرشاد ٢ : ١٢٧، العمدة: ٤٠٦ / ح ٨٣٩.

بن عازب وهو ﷺ يحمل الحسين عليه السلام ويقول: «**اَللّهمَّ إنّي أُحبُّه، فأَحِبَّه**»[١]. ومحاولة محوِ ذكْرِ النبيّ ﷺ هي محاولة خائبة لمحْو ذِكْر الله جلّ وعلا، إذنْ فالمسألةُ في أصلها كفرٌ وعودةٌ إلى الجاهليّة الأولى، وصرفُ الناس عن الإسلام وقد نهض به الإمام الحسين عليه السلام يُحْييه ويرفعه.

***

وكُتِب على الشيعة المحبّين لأهل البيت عليهم السلام في أزمانٍ طويلة أن يزوروا أئمّتَهم خِلسةً، وإلّا أُخِذوا فقُتِّلوا، يقتفون الآثار ويشمُّون التراب، حتّى إذا تناهى إلى مشامّهم وشمّوا عطراً عجيباً عَرَفوا أنّهم قد بلغوا القبرَ الشريف!

قال محمّد بن الحسين الأشنانيّ: بَعُدَ عهدي بالزيارة في تلك الأيّام خوفاً، ثمّ عَمِلْتُ على المخاطرةِ بنفسي فيها، وساعدني رجلٌ من العطّارين على ذلك، فخرجنا زائرين، نكْمنُ النهار ونسيرُ اللّيل.. حتّى أتينا نواحيَ الغاضريّة، وخرجنا منها نصفَ اللّيل فسِرْنا بين مسلحتَين وقد ناموا، حتّى أتينا القبر [قبرَ الحسين عليه السلام] فَخفِيَ علينا، فجعلنا نَشُمُّه ونتحرّى جهتَه، حتّى أتيناه وقد قُلِع الصندوق الذي كان حَوالَيه وأُحرِق، وأُجريَ الماءُ عليه، فانخسف موضعُ اللَّبِنِ وصار كالخندق، فزُرناه وأكْبَبْنا عليه فشَمَمْنا منه رائحةً ما شممتُ مثلَها قطُّ كشيءٍ من الطِّيب، فقلتُ للعطّار الذي كان معي: أيُّ رائحةٍ هذه؟! فقال: لا والله ما شممتُ مثلَها كشيءٍ من العطر! فودَّعْناه، وجعَلْنا حولَ القبر علاماتٍ في عِدّةِ مواضع، فلمّا قُتل المتوكّل اجتمَعْنا مع جماعةٍ من الطالبيّين والشيعة حتّى صرْنا إلى القبر، فأخرَجْنا تلك العلامات وأعدناه إلى ما كان عليه[٢].

***

(١) بحار الأنوار ٤٣ : ٣٦٤/ ح١٦، تاريخ مدينة دمشق ج١٣/ ح١٨٧، و١٨٨.
(٢) مقاتل الطالبيّين: ٣٩٦ أيّام المتوكّل.

وقد ظهرت آثارٌ وكراماتٌ لقبر الإمام الحسين سلام الله عليه، منها أنَّ الدَّيزج حدّث محمّدَ بن عبدالحميد عن قومٍ كانوا يُحيطون بالقبر يرمونَ من يتقدّم بالنشّاب، وقد مَرِض الدَّيزجُ بعد ذلك حتّى مات [٣]. ومنها أنَّ جريرَ بن عبد الحميد سأل يحيى ابنَ المُغيرة عن خبر الناس، فقال: تركتُ الرشيد وقد كرب قبر الحسين عليه السلام، وأمَرَ أن تُقطَع السِّدرةُ التي فيه، فقُطِعت! فرفع جريرٌ يديه وقال: اللهُ أكبر! جاءَنا فيه حديثٌ عن رسولِ الله صلى الله عليه وآله أنّه قال: «لَعَنَ اللهُ قاطعَ السِّدرة» ثلاثاً، فلم نقف على معناه حتّى الآن [٤]. نعم؛ لأنّ القصدَ بقطعهِ تغييرُ مصرعِ الحسين عليه السلام حتّى لا يَقفَ الناس عند قبره.

وحقّاً، لعن اللهُ هارونَ الرشيد، فمات مَخْزيّاً.

ومنها أيضاً: أنّ هارون المَعرّيّ وكان قائداً للسلطان قدِ اسودّ وجهُه سَواداً شديداً، مع أنّ بدنَه كلَّه أبيض شديدُ البياض، وإضافةً إلى اسوداد وجهِه حتّى أصبح كالقير، فقد كان يتفقّأُ رائحةً مُنْتِنةً كريهة. قال أبو عبد الله الباقطانيّ: ضمّني عبيدُ الله بن يحيى بن خاقان إليه، فلما أَنِس بي سألتُه عن سوادِ وجهه، فأبى أن يُخبِرني، ثمّ إنّه مرض مرضَه الذي مات فيه، فقعدتُ فسألتُه، فرأيتُه كأنّه يُحبّ أن يُكتَمَ عليه، فضَمِنتُ له الكتمانَ فحدّثني قائلاً: وجَّهني المتوكِّلُ أنا والدَّيزجَ لنبش قبر الحسين وإجراءِ الماء عليه، فلمّا عزَمْتُ على الخروج والمسيرِ إلى الناحية رأيتُ رسولَ الله في المنام فقال: «**لا تخرجْ مع الدَّيزج، ولا تفعَلْ ما أُمِرتُم به في قبر الحسين**»، فلمّا أصبحنا جاؤوا يستحثّونّي في المسير، فسرْتُ معهم حتّى وَفَينا كربلاء، وفعَلْنا ما أَمَرَنا به المتوكّل، فرأيتُ النبيَّ في المنام فقال: «ألم آمُرْك أن لا تخرجَ معهم، ولا تفعَل فِعلَهم؟! فَلَم تقبل حتّى فعلتَ ما فَعَلوا!» قال:

---

(٣) ينظر: أمالي الطوسّي: ٣٢٧ ٣٢٨ / ح ٦٥٥ قصّة إبراهيم الدَّيزَج ونبش قبر الحسين عليه السلام.

(٤) أمالي الطوسّي: ٣٢٥ / ح ٦٥١ المتوكِّل يأمر بتخريب قبر الحسين عليه السلام، بحار الأنوار ٤٥ : ٣٩٨ / ح ٧، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٧١٩ / ح ١ أبواب جور الخلفاء على قبره الشريف / ح ٢٧، ١ باب ما وقع من الرشيد على قبره عليه السلام.

ثمّ لَطَمني وتَفَلَ في وجهي، فصار وجهي مُسْوَدّاً كما ترى، وجسمي على حالته الأُولى![1]

وكذلك ستسوَدُّ كلُّ وجوهِ أعداء الحسين عليه السلام آجِلاً أم عاجلاً، وسيُقْبلون على جهنّمَ مخْزيّينَ أذلاء، لأنّهم عادَوْا ريحانةَ المصطفى صلى الله عليه وآله، وتعقّبوا آثارَهُ دفناً، فما كانتْ إلّا أنواراً تَهدي المُحبّين، وتُعمي عيونَ وقلوبَ المُبغضين، وتُسَوِّدُ وجوهَ الحاقدين. وصلّى الله على محمّد وآله الطيّبين الطاهرين.

(١) يُنظَر: أمالي الطوسّي: ٣٢٦/ ٣٢٧ / ح ٦٥٤، بحار الأنوار ٤٥ : ٣٩٥ / ح ٣.

محـــــرَّمٌ.. فـيـهِ الهَـنـا مُحَـــرَّمُ  الحــزنُ فــرضٌ والـبُـكـا مُحَـتَّـمُ

أجل، لا يرى المُحبُّ الموالي لمحمدٍ وآل محمّد صلوات الله عليهم أجمعين هناءً حين يعيش ذكرياتِ أحبائِه أهل البيت عليهم السلام، ذكرياتِ ظليمتهم وشهادتِهم على أيدي الطغاة والمنحرفين. إنّه لَيحزَنُ ويبكي حين يتأمّل مصارعَ خِيَرةِ الله وأصفيائِه، بعضُهم قضى بالسيف وبعضٌ قضى بالسمّ، بعدَ حياةٍ كلُّها عناء، بين سجونٍ وإيذاء، وأسْرٍ وتضييق.

***

وقد أراد الحاقدون أن يمحوا ذِكْرَ محمّدٍ وآلِ محمّد صلوات الله عليهم: مرّةً بالقتل، ومرّةً بالحبس، ومرّة أخرى بهدمِ قبورهم؛ لأنّها البيوتُ التي أذِنَ اللهُ أن تُرفعَ ويُذكرَ فيها اسمُه، ولأنّها مصادرُ النور، ومُنطَلَقُ الحركة نحو الجهاد، ولأنّها تحكي مظلوميّةَ أهل البيت، وظالميّةَ حكّامِ زمانهم ممّنِ استلُّوا سيوفهم ودسُّوا سمومَهم، لقتل ذرّيّةِ المصطفى صلى الله عليه وآله، ولكنْ أبى اللهُ إلّا أن يُتمّ نورَه ولو كَرِه الكافرون.

ومن هنا نقرأ في زيارتهم نخاطبهم: «يا مَوالِيَّ، فَلَو عاينكُمُ المصطفى وسِهامُ الأُمّة مُغرَقةٌ في أكبادِكُم، ورِماحُهم مُشرَعةٌ في نُحورِكُم، وسُيوفُها مُولَغةٌ في دمائِكُم، يَشفي أبناءُ العواهرِ غليلَ الفِسْقِ مِن وَرَعِكُم، وغيظَ الكُفْرِ مِن إيمانِكم، وأنتُم بين صريعٍ في المحراب قد فَلَق السيفُ هامتَه، وشهيدٍ فوقَ الجَنازة قد شُكَّتْ أكفانُه بالسِّهام، وقتيلٍ بالعَراء قد رُفِع فوقَ القناةِ رأسُه، ومُكبَّلٍ في السجن قد رُضَّت بالحديد أعضاؤُه، ومسمومٍ قد قُطِّعَت بِجُرَعِ السَّمِّ أمعاؤُه، وشَمْلُكُم عباديد، تُفْنيهمُ العبيدُ وأبناءُ العبيد! فَهَلِ المِحَنُ

يا سادتي إلّا التي لَزِمَتْكُم، والمصائبُ إلّا التي عَمَّتْكُم، والفجائعُ إلّا التي خَصَّتْكُم، والقوارعُ إلّا التي طَرَقَتْكُم؟! صلواتُ الله عليكم، وعلى أرواحِكم وأجسادِكم، ورحمةُ الله وبركاته. بأبي [أنتم] وأُمّي يا آلَ [بيتِ] المصطفى، إنّا لا نَملِكُ إلّا أن نطوفَ حولَ مشاهدِكم، ونُعزِّيَ فيها أرواحَكُم، على هذه المصائبِ العظيمةِ الحالّةِ بِفِنائِكُم، والرَّزايا الجليلةِ النازلةِ بساحتِكُم، التي أثْبَتَتْ في قلوبِ شيعتِكمُ القُروح، وأورثَتْ في أكبادِهمُ الجُروح، وزَرَعَت في صُدورِهمُ الغُصَص..»[1].

***

ظنَّ المتوكّلُ العباسيّ أنّه بتهديمِ قبر سيّد الشهداء عليه السلام قد ضيّع أثرَه على شيعته ومُحبّيه، ولكنّ اللهَ سبحانه أحدثَ علاماتٍ تُشير وتدلّ على مكانِ القبر، ومنها العطْرُ الزكيّ الذي يَفوح من تربته سلام الله عليه، وقد ذكرنا قصّة محمّد بن الحسين الأشنانيّ مع أحدِ العطّارين، وكيف أنّه عَرَف موضع القبرِ الشريف مِن مسْكٍ زاكٍ يفوح من الثرى الطاهر للقبر. ومن العلامات أنّ الحيواناتِ لا تُساق إلى موضعِ القبر، قال عبد الله بن رابية يروي عن أيّام المتوكّل العباسيّ: حَجَجتُ سنة ٢٤٧ هـ، فلمّا صدرتُ مِن الحجّ صرتُ إلى العراق فزُرتُ أمير المؤمنين عليَّ بن أبي طالب عليه السلام على حالٍ خفيّةٍ من السلطان، ثمّ توجّهتُ إلى زيارة قبرِ الحسين عليه السلام فإذا هو قد حُرِثت أرضه ومُخِر فيها الماء، وأُرسِلَت الثيرانُ العوامل في الأرض، فبِعَيني وبصري كنتُ أرى الثيران تُساق في الأرض فتنساق لهم، حتّى إذا حاذَتْ مكانَ القبر حادتْ عنه يميناً وشمالاً، فتُضرَب بالعصيّ الضربَ الشديد فلا ينفع ذلك فيها، ولا تَطأُ القبرَ بوجهٍ ولا سبب، فما أمكنني الزيارة، فتوجّهتُ إلى بغداد وأنا أقول:

تـاللهِ إن كـانـت أُمـيّـةُ قـد أتَـتْ  قَـتْـلَ ابـنِ بـنـتِ نبيِّها مظلوما

(١) المزار الكبير: ٣٩٨/ ٣٩٩ زيارة جامعة لسائر الأئمّة عليهم السلام.

فَلَقد أَتاك بنو أبيهِ مِثلَها هذا لَعَمْرُك قبرُه مَهْدوما
أسِفُوا على ألّا يكونوا شايعوا في قتلِهِ، فتَتَبّعُوهُ رَميما!

فلمّا قدِمتُ [إلى] بغداد سمعتُ الهايعة، فقلتُ: ما الخبر؟! قالوا: سقط الطائرُ (أي البريد) بقتل جعفر المتوكّل، فعَجِبتُ لذلك وقلتُ: إلهي، ليلةٌ بليلة![1]

وعن عمر بن الفَرَج الرَّخجيّ قال: أنفَذَني المتوكّل في تخريب قبر الحسين عليه السلام فصرتُ إلى الناحية، فأَمرتُ بالبقَر، فلمّا بلغَتْ قبرَ الحسين عليه السلام لم تَمَرَّ فيه عليه، فأخذتُ العَصا بيدي، فما زلتُ أضربها حتّى تكسَّرَت العصا في يدي، فَوَ اللهِ ما جازَتْ على قبره ولا تخَطَّتْه![2]

***

ومن هذه الروايات تظهر كرامةُ القبر الحسينيّ الشريف أوّلاً، وكثرةُ مَن أرسَلَه المتوكّلُ في مهمّةِ تخريبِ القبر، حتّى قيل بأنّه حاولَ ذلك سبعين مرّة. فكيف لا يحزنُ المُحبّ المُوالي وهو يرى خلفاءَ الجور يُسلِّطون اليهودَ المنحرفين وشُذّاد الآفاق ودَنيئي النفوس على قبر سيّدِ الشهداء وسيّد شباب أهل الجنّة ريحانة رسول الله، يعبثون به تخريباً، ويحاولون لمعالِمِهِ الإلهيّةِ تضييعاً؟! لكن حاشا لله يتركهم يمحون آثار آل رسول الله صلى الله عليه وآله، فقد أخبرت زينبُ العقيلة عليها السلام ابنَ أخيها عليَّ بن الحسين عليه السلام قُبَيلَ رحيلها عن أرضِ الطفّ قائلةً له وكان ينظرُ إلى أهلهِ مجزَّرين وبينهم الحسين مهجةُ الزهراء عليها السلام ـ: «ولقد أخذ اللهُ ميثاقَ أُناسٍ من هذه الأُمّة لا تعرفُهم فراعنةُ هذه الأرض وهم معروفون في أهل السماوات، أنّهم يجمعونَ هذه الأعضاءَ المُقطّعة والجسومَ المضرّجةَ، ويَنصبون لهذا الطفّ عَلَماً لقبر أبيك سيّدِ الشهداء لا يُدرَس أثرُه، ولا يعفو رسمُه على كرور

(١) أمالي الطوسّي: ٣٢٩ / ح ٦٥٧ حرث قبر الحسين عليه السلام في سنة ٢٤٧ هـ.
(٢) ينظر: أمالي الطوسّي: ٣٢٥ / ح ٦٥٢ و بحار الأنوار ٤٥ : ٣٩٨/ ٣٩٩ / ح ٨.

اللّيالي والأيّام، ولَيجتهدنّ أئمّةُ الكفر وأشياعُ الضّلال في محوِهِ وتطميسِه، فلا يَزدادُ أثرُه إلّا عُلُوّاً» (١).

***

كيف لا يحزن المؤمن والتاريخُ يَروي أنّ الجائرين والحاقدين قتلوا الحسينَ ﷺ فحرموا الأمّةَ مِن وجودِه المُباركِ بينها، ثمّ هدّموا قبرَه الشريفَ فحرموها من نَهْلِ القيم الكريمةِ والمعاني الإلهيّة العظيمة، فتركوا الأكباد حَرّى والقلوبَ تكتوي بالشوق، والنفوسَ يستوحشها الفراق المُمِضّ. وبعد تضييعِ القبر على زائريه نصَبَ الكَفرةُ مسالحَ حولَه لِيُلقوا القبضَ على كلِّ مَن يخطو نحو زيارةِ الإمام الحسين ﷺ، فكان أنْ قُتل من الشهداءِ كُثْرٌ بأيدي القتلة المجرمين، وكان لنا شهداء كُثرٌ ثاروا ينتقمون لدم الحسين ﷺ، وكان لنا شهداء ماتُوا حزناً وفجيعةً على سيّد الشهداء.. منهم رجلٌ اعتَمَلَ الشوقُ بقلبه حتّى أَقدَمَه على ركوبِ المخاطر في زيارةٍ لقبر الحسين ﷺ، عزم عليها ووطّن نفسَه أن يُلاقيَ مِنْ أجلِها كلَّ أمر، فأقبل، وإذا بمرتزقةِ خليفةِ الجور يعترضونه: إلى أين؟! فقال: إلى قبرِ الحسين. وكان القبرُ قد هُدّم حتّى غابَتْ معالمُه على الناس، فقالوا له: ومِن أين تعرف الطريقَ إليه؟ قال: الدليلُ عندي، لا عليكم من ذلك. فاحتالوا عليه بأمرٍ أرادوا أن يقتلوه به وهم ساخرون، فقالوا له: إن لم تعثَرْ على موضعِ القبر فإنّا قاتلوك! وكانوا يعرفون مكانَ قبرِ الحسين ﷺ، فقال لهم: قَبِلتُ بذلك. فأخذ يمشي رويداً رويداً، حتّى دلَّه قلبُه على القبر، وحين شمَّ عطْرَ الثرى الحسينيِّ المقدّسِ الشريف انكبَّ على القبر يبكي ويلثمُ التراب ويمرّغ وجهَه به، والحُرّاسُ يَرقبونه من بعيد، ويتعجّبون منه كيف اهتدى إلى قبرِ أبي عبد الله الحسين، ثمّ طال انتظارُهم له إذْ لم يرجِعْ ولم يَقُم من مكانه،

(١) كامل الزيارات: ٤٤٥ / ح٦٧٤، هـ ١، بحار الأنوار ٢٨ : ٥٧ / ح٢٣، و٤٥ : ١٧٩ / ١٨٠، العوالم الإمام الحسين ﷺ: ٣٦٢.

فأقبلوا عليه يحاولون إبعادَه أو قتلَه وهم متفكّهون، فإذا هو جسدٌ فاضت روحه، فقد مات حزناً وتفجّعاً على أبي عبد الله، وحُبّاً وشوقاً إليه حتّى التحقَ به.

أرادوا لِيُخْفوا قبرَه عن وَلِيِّهِ فَطِيبُ ترابِ القبرِ دَلّ على القبرِ[١]

***

لماذا لا يحزن المُوالي المحبّ، وهو يرى يدَ الظلم تَطالُ أحبّاءَ الله، وتتعقّب حتّى الآثارَ والمعالم، لتحرم المُحبَّ من الوصولِ إليها والتزوّدِ منها؟! وكيف لا يحزن وهو يرى الكفرةَ المَرَدة مغترّين يعبثون بمقدّراتِ الدين، ولا يقوى على ردِّهم أو صدّهم عمّا يرومون؟! وهل يُعقَل ألّا يحزنَ مُحبُّ محمّدٍ وآله وهو يراهم أو يسمع عنهم أنّهم شهداء مقتّلون هم وأصحابُهم؟! والله إنّه لَيحزنُ على الدين وأئمّتِه، وذلك الحزنُ منه عبادة، قال رسول الله ﷺ: «ما عُبِد اللهُ عزّ وجلّ على مِثْلِ طُول الحزْن»[٢]، وقال الإمام الصادق عليه السلام: «**نَفَسُ المهموم لنا المغتَمِّ لظُلْمِنا تسبيح، وهمُّه لأمرِنا عبادة**»[٣].

إنّ تاريخ مُحبّي أهلِ البيت كلُّه أحزانٌ وآلام، فكم قد قَتلتْ منهمُ السيوف، وكم أخفَت منهمُ السجون، وكم خنقتْ منهمُ السموم، وكم منهم قد شُرِّدوا ولُوحِقُوا وعُقِّبوا، وكم منهم قد نُهِبَت أموالُهم وسُبِيَتْ نساؤهم، واعتُديَ على حُرُماتهم وكرامتهم. ولم تسلَمْ من

---

(١) الدرّ النظيم: ٥٧٢، جواهر المطلب: ٣٠٠، وجاء في ترجمة الإمام الحسين عليه السلام: ٤٠٨، ٤٠٩/ ح٣٤٧، وتاريخ مدينة دمشق ١٤ : ٢٤٥، وفيهما: ... لمّا أُجريَ الماء على قبر الحسين نضب بعد أربعين يوماً وامتحى أثر القبر، فجاء أعرابيّ من بني أسد فجعل يأخذ قبضةً و يشمّها، حتّى وقع على قبر الحسين، فبكى وقال: بأبي وأُمّي، ما كان أطيبَك وأطيبَ تُربتَك ميتاً! ثمّ أنشأ يقول: «أرادوا لِيُخفوا...» البيت. وفيهما: «عدوِّه» بدل «وليِّه». ونُسِب البيت في تاريخ بغداد ١٣ : ٩٨ إلى مسلم بن الوليد.

(٢)مكارم الأخلاق: ٤٦٢ الفصل الخامس في موعظة رسول الله ﷺ لأبي ذرّ، بحار الأنوار ٧٧ : ٧٩ / ح ٢.

(٣)الكافي ٢ : ٢٢٦ / ح ١٦ باب المؤمن وعلاماته وصفاته، بحار الأنوار ٧٥ : ٨٣ / ح ٣٣.

أعداء الله حتّى الأجسادُ المقتولة، فقد قُطِع رأسُ الحسين ﷺ وحُمِل على الرمح من بلدٍ إلى آخر، وصُلبَ ميثمُ التمّار رضوان الله عليه على نخلةٍ ثلاثةَ أيّام وكان ما يزال حيّاً وبدون ما يُستَر، ثمّ قَطَع عبيدُ الله بن زياد لسانَه وقتلَه بعد تقطيعِ رجليه ويدَيه وصَلْبه، ولم يستطع أحدٌ دفنَه إلّا رجلٌ دفنَه خِلسةً. وكذلك زيد بنُ عليّ سلام الله عليه صُلِب منكوساً، وبعد أربع سنين من صَلبه أُخرِجَ فأُحرق ونُسِف في اليمّ! (١)

***

والقومُ خلفاء القوم، فإذا كان بنو أُميّة قد قتلوا الإمام الحسين ﷺ، فقد لاحَقَ بنو العبّاس قبره يُهدّمونه، وكذلك كان هذا الفعلُ الشنيع من قِبل بعض العثمانيّين. وفي الثامن من شوّال سنة ١٣٤٤ هـ هَدمَ الوهابيّون الحاقدون قبورَ أئمّةِ البقيع: الحسنِ بن عليّ، وعليّ بن الحسين، ومحمّد الباقر، وجعفر الصادق سلام الله عليهم (٢)، وقَبلَها في ليلة عيد الغدير أي ليلة الثامن عشر من شهر ذي الحجّة من عام ١٢١٦ هـ تحرّكوا نحو العراق فكانوا لا يمرّون بقريةٍ أو مدينةٍ إلّا وحوّلوها إلى تلالٍ من الجُثث وأنهارٍ من الدماء، ثمّ كسروا أبواب الحَرمِ الحسينيّ ونهَبوا ما فيه من الذهب والفضّة والهدايا الثمينة والفُرش والأبواب، وأضرموا النارَ في الصندوق الموضوعِ على المرقدِ الشريف بعد أن شرِبوا القهوةَ عليه مستخفّين، ثمّ قتلوا نحو خمسين مسلماً زائراً قربَ الضريح الحسينيّ، ونحو خمسمائةِ مسلمٍ زائرٍ في الصحنِ الشريف! (٣)

فكيف لا يحزن المسلم؟! إنّه لابدّ أن يحزن ولو كانت له ذرّةٌ من الغَيرةِ على الإسلام قد بَقِيت في وجدانه.

---

(١) يُنظَر: عمدة الطالب، لابن عنبة: ٢٥٧ / ٢٥٨.

(٢) يُنظَر: أعيان الشيعة ٤ : ٢٥٧، وأزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة: ١٦٨ / ٤.

(٣) يُنظَر: كشف الارتياب: ٢٠، ونقض فتاوى الوهّابيّة: ٤٢، وهذي هي الوهّابيّة: ١٣٩، وآراء علماء السنّة في الوهّابيّة: ٨٤.

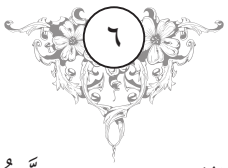


أَأَسْبَلْتَ دمعَ العينِ بالعَبَراتِ ... وبِتَّ تُقاسي شدّةَ الزَّفَراتِ
وتبكي لآثارٍ لآلِ محمّدٍ ... فقد ضاقَ منك الصدرُ بالحَسَراتِ
ألا فابْكِهِمْ حقّاً وبُلَّ عليهمُ ... عيوناً، لريبِ الدهرِ مُنسَكِباتِ
ولا تنسَ في يومِ الطفوفِ مُصابَهم ... وداهيةً مِنْ أعظمِ النَّكَباتِ
سَقَى اللهُ أجداثاً على أرضِ كربلا ... مرابيعَ أمطارٍ مِن المُزُناتِ
وصلّى على روحِ الحسينِ حبيبِهِ ... قتيلاً لدى النَّهْرَينِ بالفَلَواتِ
وقد رَفعُوا رأسَ الحسينِ عَلى القَنا ... وساقُوا نساءً وُلَّهاً خَفِراتِ[1]

تُوفّيَ رسولُ اللهﷺ على فراشه، وبين أحبّته وذَويه، بل فاضَتْ روحُه الطاهرةُ الشريفة ورأسُه في حِجْرِ عليٍّ عليه السلام وصيِّه وابنِ عمّه، مات في بيتِه وبين أهلِه، بينَ ذُرّيّتِهِ وأودّائه، ومع ذلك فقد فُجِعتِ الأُمّة أيّةَ فجيعة، وألمَّ بها الحزنُ مُدّةً طويلة، وللآن.. كلّما مرّتْ ذكرى وفاةِ المصطفى صلوات الله عليه وآله تتجدّدُ أحزانُ الأمّة بتذكّرِ فَقْدها له، حتّى أنّنا نقرأ في كلّ يوم سبتٍ في زيارة النبيّﷺ: «إنّا لله وإنّا إليهِ راجعون» ثلاثاً، ثمّ نقول: «أُصِبْنا بِكَ يا حبيبَ قُلوبِنا، فما أعظمَ المصيبةَ بكَ حيث انقطَعَ عنّا الوحيُ وحيثُ فَقَدْناك، فإنّا لله وإنّا إليهِ راجعون!»[2]. وحبُّ أهل البيت عليهم السلام هو حبّ لله تبارك وتعالى

---

(١) الأبيات لدعبل الخزاعي في ديوانه: ١٥٠/ القصيدة ٤٦ من غير البيت الأخير. وقد ذُكرت القصيدة مع البيت السابع في العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٥٧١/ ٥٧٢.

(٢) جمال الأسبوع للسيد ابن طاووس: ٣٨.

ولنبيّه المصطفى ﷺ، كذا حبّ أبنائه سلام الله عليهم هو حبٌّ لرسولِ الله الذي قال صلوات الله عليه وآله: «**الحسنُ والحسين ابناي، مَنْ أحبَّهما أحبّني، ومَنْ أحبّني أحبَّه الله، ومَن أحبَّه اللهُ أدخَلَه الجنّة**» (١).

وإذا كنّا نُحِبّ اللهَ كان مِن مصاديقِ هذا الحبّ أنْ نُحبَّ حبيبَه وحبيبَ حبيبِه، أن نُحبَّ المصطفى وأهلَ بيتِه، ومنهم أبو عبدالله الحسين عليه السلام. ومن مصاديق حبِّنا هذا أن نفرحَ لفرحهم، ونَحزنَ لحزنِهم، ونهتمّ بأمرِهم. قال أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: «**شيعتُنا، المتباذِلون في ولايتنا، المتحابُّون في مودّتِنا، المتزاورون في إحياءِ أمرِنا**» (٢)، وقال عليه السلام أيضاً: «**إنّ الله سبحانه وتعالى اطّلع إلى الأرض فاختارنا، واختارَ لنا شيعةً ينصُرونَنا، ويفرحون لفرحنا، ويحزنون لحزننا، ويبذلون أنفسَهم وأموالَهم فينا، فأُولئك مِنّا وإلينا، وهم معنا في الجِنان**»(٣).

والمُوالي المحِبُّ يحزن ويبكي إذا تَذكَّر واقعةَ الطفّ، وتأمَّلَ في مصيبةِ كربلاء، وما جرى يومَ عاشوراء، وما تَبِعه مِن آلامٍ جَرَتْ على أهل البيت عليهم السلام.. من القتل والنفي، والسَّبْي، والسجن، والإقامة الجبريّة، وإعمال السيف في أنصارهم ومُريديهم.

إنّ الحزنَ ظاهرةُ حبٍّ وولاءٍ للحسين عليه السلام، وهل يمكن أن تنزل نكبةٌ ومصيبةٌ بحبيبٍ لنا وعزيزٍ علينا ثمّ لا نبكي ولا نتأثّر؟! والحسين حبيبُ كلِّ مؤمن، وعزيزُ كلِّ مسلم، وقد أُصيبَ بأعظمِ المصائب وأفدح الكوارث؛ لأجل الحقّ والعدالة، دفاعاً عن الإيمان والإنسانيّة، فكيف لا نبكيه؟!

* * *

(١) المستدرك على الصحيحين ٣ : ١٦٦، كنز العمّال ١٢ : ١٢٠ / خ ٣٤٢٨٦.
(٢) الكافي ٢ : ٢٣٦ / ح ٢٤، بحار الأنوار ٦٥ : ٩٠ / ح ٤٦.
(٣) عيون الحِكم والمواعظ: ١٥٢.

إنّ البكاءَ على الإمام الحسين عليه السلام هو مواساةٌ لحزن النبيّ وأهل بيته عليهم أفضلُ الصلاة والسلام، وفيه ثوابٌ من الله عزّ وجلّ هو مِنْ أجزل الثواب، والبكاء فضلاً عن ذلك سُنّةٌ نبويّة شريفةٌ تنمُّ عن عاطفةٍ إنسانيّةٍ عالية، فقد بكى النبيُّ صلى الله عليه وآله يومَ تُوفّيَ عمُّه أبو طالب عليه السلام كما روى أبو داود والنَّسائيُّ وغيرُهما. وبكى صلى الله عليه وآله يومَ استُشهِد عمُّه حمزة عليه السلام في أُحُد، فعن ابن مسعود قال: ما رأينا رسولَ الله باكياً أَشدَّ مِن بكائه على حمزة، وَضَعه في القِبلة، ثمّ وقف على جَنازته وانتَحَب (أي شَهِق) حتّى بلغ به الغَشْي، يقول: يا عمَّ رسولِ الله يا حمزة، يا أَسَدَ الله وأسدَ رسولِه يا حمزة، يا فاعلَ الخيراتِ يا حمزة، يا كاشفَ الكُرُباتِ يا حمزة، يا ذابَّ عن وجهِ رسول الله ... [1]. وبكى صلى الله عليه وآله يومَ استُشهِد: ابنُ عمّه جعفرُ بنُ أبي طالب، وزيد بن حارثة، وعبد الله بن رَواحة في مُؤْتة، وقد أخرج البخاريّ في (أبواب الجنائز ص ١٤٨ من الجزء الأوّل من صحيحه) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نعى جعفراً وزيداً وابن رواحة وإنّ عينَيهِ لَتذرفان. وكذا بكى على ولَدِه إبراهيم، فلمّا قال له عبد الرحمان بن عوف: وأنت يا رسول الله! قال صلى الله عليه وآله: «يا ابنَ عَوف، إنّها رحمة»، ثمّ أَتْبعَها بأخرى أي بعبرةٍ أُخرى وقال: «إنّ العين تدمع، والقلبَ يحزن، ولا نقول إلّا ما يُرضي ربَّنا، وإنّا لِفراقِك يا إبراهيمُ لَمحزونون».

وبكى صلى الله عليه وآله وأبكى مَن حولَه يومَ زار قبرَ أمِّه آمنة [2]، ويومَ ماتتْ إحدى ربيباتِه فجلس على قبرها وعيناه تدمعان [3]. وقال النبيّ صلى الله عليه وآله يوم استُشهِد جعفر بن أبي طالب: «**على مِثْلِ جعفرٍ فَلْتَبكِ البواكي**» [4].

---

(١) ينابيع المودّة ٢ : ٢١٥ / ح ٦٢٠.

(٢) يُنظَر: ذكرى الشيعة: ٤٩، ومسكِّن الفؤاد: ٩٥، ومسند أحمد ٢ : ٤٤١، وصحيح مسلم ٣ : ٦٥، وسنن ابن ماجة ١ : ٥٠١ / خ ١٥٧٢، وسنن النسائيّ ٤ : ٩٠.

(٣) يُنظَر: الغدير ٨ : ٢٣١ مع هامشه.

(٤) بحار الأنوار ٢٢ : ٢٧٦/ ح٢٥، أنساب الأشراف: ٤٣، تاريخ اليعقوبي ٢ : ٦٥ و٦٦، ذخائر

ورُوي أنّ جنازةً مرّت على رسول الله ﷺ ومعها بواكٍ فنهرَهُنَّ عمر، فقال له رسولُ الله ﷺ: «**دَعْهُنَّ يا عمر! فإنَّ النفسَ مُصابة، والعينَ دامعة**»[1].

فكيف لا تُصاب نفوسُ الموالين وهي تُخبَر أنَّ حسيناً ماتَ ذبيحاً عطشاناً بعد أن قُتِل أهلُه وبَنُوه، وأحبّاؤُه وذَوُوه، وأصحابُه ومُريدوه، أمامَ عينَيه الشريفتين! وقُتِل وهو يعلم أنّ نساءَه وأطفالَه وعيالَه سيُسْبَون مِن بعده، فكيف لا تدمع العينُ وهي تَرى في قلبِ التاريخ:

بناتُ زيادٍ في القصورِ مَصُونةٌ ... وآلُ رسولِ الله في الفَلَواتِ
سأَبكيهِمُ ما ذَرَّ في الأرضِ شارقٌ ... ونادى منادي الخيرِ بالصَّلَواتِ
وما طَلَعت شمسٌ وحانَ غُروبُها ... وباللَّيلِ أبكيهِم، وبالغَدَواتِ
ديارُ رسولِ الله أصبَحْنَ بلْقَعاً ... وآلُ زيادٍ تَسْكُنُ الحُجُراتِ
وآلُ رسولِ الله تُسبى حَريمُهم ... وآلُ زيادٍ رَبَّةُ الحَجَلاتِ[2]!

***

حدّثَ مولىً لزين العابدين عليِّ بن الحسين عليه السلام أنّه عليه السلام برز يوماً إلى الصحراء، قال: فتَبِعتُه فوجدتُه قد سجد على حجارة خشنة، فوقفتُ وأنا أسمع شهيقه وبكاءَه، وأحصيتُ عليه ألفَ مرّة: لا إلهَ إلّا اللهُ حقّاً حقّا، لا إله إلّا اللهُ تَعبُّداً ورِقّا، لا إلهَ إلّا اللهُ إيماناً وصِدْقا. ثمّ رفع رأسَه من السجود وإنّ لحيتَه ووجهَه قد غُمِرا بالماء مِن دموع عينَيه، فقلتُ: يا سيّدي، أما آنَ لحُزنِك أن ينقضي، ولبكائِك أن يقلّ؟! فقال لي: «**وَيْحك! إنّ يعقوبَ بنَ إسحاق بن إبراهيم عليه السلام كان نبيّاً ابنَ نبيّ، كان له اثنا عشر ابناً، فغَيّب اللهُ**

---

العقبى: ٢١٨.

(١) الاستذكار ٣ : ٧١.

(٢) الأبيات لدعبل الخزاعي من قصيدته التائية الفاخرة ذات الـ ١١٥ بيتاً في ديوانه: ١٤٢/ القصيدة ٤١، وهي الأبيات ٩٣-٩٦ و٩٨.

**سبحانَه واحداً منهم، فشاب رأسُه مِن الحزن، واحْدَودبَ ظهرُه من الغَمّ، وذهب بصرُه من البكاء وابنُه حيٌّ في دار الدنيا! وأنا فقدتُ أبي وأخي، وسبعةَ عشرَ مِن أهل بيتي، صَرعى مقتولين، فكيف ينقضي حزني، ويقلُّ بكائي؟!»** (١).

إنّ البكاءَ خَصلةٌ إنسانيّة، وحالةٌ من الشعور العاطفيّ، ومصيبةُ الحسين عليه السلام هي في القمم من قضايا الإسلام، فيها استُبيح الدمُ الحرام في الشهر الحرام، وفيها سَلَّ المنافقون سيوفَهم على صاحب الإمامة الإلهيّة العظمى، يتقرّبون بذلك إلى الطاغية المُفسد «يزيد»، وينتظرون منه عِظامَ طعامِ مائدتِه الجهنّميّة!

ومن تلك القضايا أنّ بنات رسول الله صلى الله عليه وآله تُسبى، وأولاده يُقتَّلون، وأصحابُ أولادِه يُطعَنون. وقد عاش الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام بعد أبيه الحسين عليه السلام خمساً وثلاثين سنة، «وقد تضافرت الأخبار بأنّ السجّاد بكى على أبيه عليه السلام مُدّة حياته، وما وُضِعَ بين يديه طعامٌ ولا شراب إلاّ بكى وقال: **قُتِل ابن رسول الله جائعاً، قُتل ابن رسول الله عطشاناً!**» (٢). وذلكم الإمام الكاظم عليه السلام، كان إذا أهلَّ عليه شهرُ المحرّم لا يُرى ضاحكاً حتّى تمضيَ منه تسعةُ أيّام، فإذا كان اليومُ العاشر منه كانَ يومَ بكائِه ومُصيبتِه وحزنِه (٣). وذلكم الإمام الرضا عليه السلام يقول: «**إنّ يوم الحسين أقرَحَ جُفونَنا، وأسبَلَ دُموعَنا، وأذلَّ عزيزَنا، وأورثَنا الكَرْبَ والبلاء، إلى يومِ الانقضاء، فعلى مِثْلِ الحسين فَلْيبكِ الباكون**» (٤).

---

(١) مسكِّن الفؤاد: ٩٢ـ ٩٣، بحار الأنوار ٤٥ : ١٤٩، و ٨٢ : ١٦٦، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٤٤٩، لواعج الأشجان: ٢٤٦.

(٢) أعيان الشيعة ٢ : ٤٨٥.

(٣) يُنظَر: أمالي الصدوق: ١٩٠، ١٩١ / ح ١٩٩، وروضة الواعظين: ١٦٩، ووسائل الشيعة ١٤ : ٥٠٤، ٥٠٥ / ح ١٩٦٩٧.

(٤) إقبال الأعمال ٣ : ٣، بحار الأنوار ٤٤ : ٢٨٤ / ح ١٧، أعيان الشيعة ١ : ٥٨٦.

وحينما قالت أسماءُ بنت عُمَيس للنبيّ متعجِّبةً: إنّه وُلِدَ الساعة! أجابَها ﷺ لها: «يا أسماء، تَقتلُه الفئةُ الباغيةُ مِنْ بَعْدي، لا أنالَهُمُ اللهُ شفاعتي» (١). وبكاه ﷺ حينما أعطاه جبريلُ عليه السلام قبضةً من تُربته، ففاضَتْ عيناه (٢).

فإذا أردنا الثوابَ العظيم، وطلَبْنا التأسّيَ والمواساة، بَكَيْنا الحسينَ عليه السلام، ولكنْ إذا ارتَقَينا أكثرَ وَجَدْنا أنفسَنا تسمو عن طلب شيءٍ مقابل بكائها، بل وَجدْناها تبكي لا تريد غيرَ البكاء حبّاً وشرفاً، تبكي عفويّاً كلّما تَصوّرتْ فاجعةَ الطفّ، وكذا يقول الشاعر يخاطب مولاه الحسين عليه السلام:

تبكيكَ عَيني لا لأجلِ مَثُوبةٍ ... لكنّما عيني لأجلِكَ باكيَة
تَبتلّ مِنْكم كربلا بدمٍ ولا ... تَبتلُّ منّي بالدُّموعِ الجاريَة؟!(٣)

(١) مُسند زيد بن علي: ٤٦٨، روضة الواعظين: ١٥٤، بحار الأنوار ٤٣ : ٢٣٩ / ح ٢.
(٢) يُنظَر: مناقب الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ١ : ٢٥٣/ ح٧١٩، ومثير الأحزان: ٩.
(٣) المجالس الفاخرة: ١٣٧، الدرّ النضيد: ٣٥٨ من قصيدة للشيخ عبد الحسين الأعسم.

أُعـاتِـبُ عَـيـنـي إذا قـصّرتْ ... وأُفْـنـي دُمـوعـي إذا مـا جَـرَتْ
لِـذكـراكـمُ يـا بَـنـي المصطفى ... دمـوعـي عَـلَى الخـدِّ قـد سُـطِّرتْ
لكم وعليكم جَـفَـتْ غمْضَها ... جُفوني عـنِ النوم واستَشْعَرتْ
أُمـثِّـلُ أجـسـادَكـم بـالـعـراق ... وفـيـهـا الأسـنّـةُ قـد كُـسِّرتْ
أُمثِّلُكُمْ في عِـراصِ الطُّفوف ... بُـدوراً تُـكَـسَّـفُ إذْ أَقْـمَـرتْ
غَـدَتْ أرضُ يثربَ مِـنْ جمعِكُم ... كـخـطِّ الـصـحـيـفـةِ إذ أَقْـفَـرتْ
وأضـحَـتْ بِكُـم كـربـلا مُـغْـرِبـاً ... لِـزُهـرِ الـنُّـجـومِ إذا غُـوِّرَتْ
ولِـلـسـبـطِ فَـوقَ الـثَّـرى شَـيبةٌ ... بِفيضِ دمِ الـنَّـحرِ قـد عُـفِّرتْ!
ورأسُ الحـسـينِ أمـامَ الـرفـاق ... كـغُـرّةِ صُـبْـحٍ إذا أَسْـفَـرتْ[1]

***

مشاهدُ تَذوبُ منها القلوب، وتَفيض لها العيون، فهيَ مصارعُ آلِ محمّدﷺ، وهي مأساةٌ فَجعَتِ الأمّةَ على مدى الدهر، لا تُحاكيها إلّا أنّاتُ القلوب، ونوحاتُ الصدور، ومسارب الدموع، وإلّا فإنّ الواقفَ على حادثةِ الطفّ بلا دموعٍ ولا أحزانٍ إنّما هو مِن ذوي القلوب القاسية التي هي كالحجارة أو أشدّ قسوة!

وتعظيماً لشعائرِ الله تُقام مجالسُ الحزن والعزاء على مصائب سيّد شباب أهل الجنّة،

---

(١) من قصيدة ذات ١٢ بيتاً للزاهي، كما في: مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٦٦، وبحار الأنوار ٤٥ : ٢٤٧، ٢٤٨ / خ ٨، والعوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٥٥١، ٥٥٢ / خ ١٠.

فيبكي الباكون، كما بكى رسول الله ﷺ أحبّتَه: زوجتَه خديجة، وعمَّه أبا طالب، ووَلَده إبراهيم، وعمَّه حمزة، وابنَ عمّه جعفرَ بن أبي طالب، وأصحابَه.

ونحن نبكي ريحانةَ المصطفى ﷺ، سيّدَ الشهداء أبا عبد الله الحسين عليه السلام، استجابةً لما في قلوبنا من المودّة والولاء، وتعظيماً لشعائر الله تبارك وتعالى، وإكراماً للدماء الزاكية التي بها حُفِظ الدين، وأُنِير السبيلُ للمؤمنين، وتجديداً لبيعتنا للإمام الحسين عليه السلام إماماً مفروضَ الطاعة، كما قال ﷺ فيه وفي أخيه الحسن سلامُ الله عليهما: «**إبنايَ هذانِ إمامانِ قاما أو قَعدا**» (١).

وحزنُنا على الحسين وأئمة أهلِ البيت عليهم السلام، هو تعبيرٌ عن إقرارنا بإمامتهم، وسَخَطِنا على مَن دفعهم عن مقامهم، وأزالَهم عن مراتبِهمُ التي رتّبَهُم اللهُ فيها، وإعلانٌ عن غضبِنا على مَن قَتلَهم أو مهّد بالتمكينِ مِن قتالهم. وحزنُنا هو براءةٌ مِنّا إلى الله مِن قاتليهم وأتْباعِهم وأوليائِهم على ذلك. وبكاؤُنا هو استعظامٌ للجريمة الكبرى التي نَفّذها يزيد بن معاوية لعنه الله، بإقدامه على قتل وليّ الله، سِبْط رسول الله. وحزنُنا فضلاً عن استنكار للجناية التاريخيّة التي ارتكبها بنو أميّة هو استنكارٌ لكلِّ أعمال الطواغيت من بني العبّاس ومَن تَبِعَهم وتابعَهم على الانحراف عن الإسلام وقيمِهِ التي حَيِيَت بشهادة الإمام الحسين عليه السلام.

* * *

إنّ البكاءَ على الإمام الحسين عليه السلام لدى المُحبّ المُوالي هو قهريٌّ خارج عن الاختيار، لاسيّما إذا سَمِع أو تذكّر ما جرى على الحسين وأهل بيته في كربلاء من الفجائع. هذا،

---

(١) الإرشاد ٢ : ٣٠، الفصول المختارة: ٣٠٣، مناقب آل أبي طالب ٣ : ١٤١، الصوارم المهرقة: ٩٥، بحار الأنوار ١٦ : ٣٠٧، و ٢١ : ٢٧٩، و٣٥ : ٢٦٦، و٣٧ : ٧، و٤٣ : ٢٧٨، و١٠٨ : ٢٢٧.

وكان اللهُ سبحانه وتعالى قد أوصى بِقُربى النبيّ صلى الله عليه وآله وجَعَل سؤالَه الوحيد صلى الله عليه وآله هو مودّتَهم عليهم السلام، إذ قال عزَّ مِنْ قائل: ﴿**قُل لا أَسْأَلُكُم عَلَيهِ أَجْراً إلّا المَودّةَ فِي القُرْبى**﴾ (١).

وكان ينبغي أن تَحفَظَ الأُمةُ هذه المودّة، ولا تَنحازَ إلى توافه الدُّنيا فتُقبِلَ على إعمالِ السيف بِنحْرٍ طالما قبّله رسولُ الله صلى الله عليه وآله، وتُقْدِمَ على قتلِ سيّد شبابِ أهل الجنّة، أو على سَبْي وأسْرِ حريمِ رسول الله، وقتلِ الطفل الرضيع، وانتهاكِ كلِّ حُرمة للمصطفى صلى الله عليه وآله. ثمّ أَبعدَ هذا لا يبكي المؤمنُ المُوالي ولا يحزن؟!

دخل جعفرُ بن عثمان على الإمام الصادق عليه السلام، فقرّبه الإمامُ وأدناه، ثمّ قال له: «**يا جعفر، بَلَغَني أنّك تقول الشعرَ في الحسين وتُجيد**»، قال: نعم جُعِلتُ فداك، قال عليه السلام: قلْ. فأنشد جعفر يقول:

لِيَبْكِ عَلَى الإسلامِ مَنْ كانَ باكياً ... فقد ضُيِّعَتْ أحكامُه واستُحِلّتِ
غـداةَ حسينٌ لـلـرمـاحِ دَريـئـةً ... وقد نَهَلتْ منه السيوفُ وَعلَّتِ
وغُـودِر في الصحراءِ شِلْواً مُبدَّداً ... عليهِ عِتاقُ الطيرِ باتتْ وظَلَّتِ
فَـما نَـصَرَتْـه أُمّـةُ الـسُّـوءِ إذْ دعا ... لقد طاشتِ الأحلامُ منهم وضَلَّتِ
وما حَفِظَتْ قُربَى النبيِّ ولا رَعَتْ ... وزَلَّـتْ بِهـا أقدامُها واسْـتَـزَلّـتِ
أَذاقَـتْـه حَـرَّ الـقـتـلِ أُمّـةُ جَـدِّهِ ... فَـتَـبّـتْ أكـفُّ الـظـالـمينَ وشُـلَّـتِ
فـلا قَـدَّسَ الـرحـمـانُ أُمّـةَ جَـدِّهِ ... وإنْ هيَ صامَتْ لِلإلهِ وَصَلَّتِ
كما فَجَعَتْ بنتَ الرسول بِنَسْلِها ... وكانوا كُماةَ الحربِ حين استَقلّتِ

فبكى الصادق عليه السلام ومَن حولَه، حتّى صارتِ الدُّموعُ على وجهِه ولحيتِه، ثمّ قال: «**يا جعفر، والله لَقَد شَهِدَك الملائكةُ المقرّبون، وإنّهم لَهاهُنا يَسمعون قولَك في الحسين، ولقد بكَوا كما بَكَينا وأكثر، وقدْ أوجَبَ اللهُ تعالى لك يا جعفرُ في ساعتِك الجنّة وغفرَ**

(١) سورة الشورى: ٢٣.

**لك»**. ثمّ قال عليه السلام: «**ألا أَزيدُك؟!**» قال جعفر ابن عثمان: نعم يا سيدي، فقال عليه السلام: «**ما مِن أحدٍ قال في الحسين شِعراً، فبكى وأبكى، إلّا أوجَبَ اللهُ له الجنّة وغفر له**» (١).

* * *

لقد نَزَل غضبُ الله العظيم لِفاجعةِ الطفّ العظيمة، حتّى ظهر ذلك في المخلوقات بصورة: حُمرةِ السماء واسْودادِها وإظلامها ثلاثاً، وإمطارِها دماً وتُراباً أحمر، وانكسافِ شمسها حتّى رُئيت النُّجومُ نهاراً، وضَرْبِ الكواكب بعضِها ببعض، وتَفجُّرِ الأرضِ دماً عبيطاً، وانقلابِ تُرابها وحصاها دماً، وسيلانِ الدم على حِيطانِها، ونُبُوع الدم مِن شجرها، وانقلابِ الوِرْس رماداً، واللّحمِ علقماً! وقد أشار إلى ذلك ابنُ نُباتة وهو من علماء السُّنّة في كتابِ خُطَبِهِ المشهور، الذي وضَعَه لِيُقرأ على المنابر في الجُمعات ولا يزال يُقرأ على المنابر، حيث قال في الخطبة الثانية للمحرّم: أيُّها الناس، إنّ شهرَكم هذا استُشهِد فيه الحسينُ بنُ عليٍّ بن أبي طالب، فنال بذلك أعلى المفاخر والمراتب، وكان ذلك في أرضٍ يُقال لها «كربلاء»، أحلّ اللهُ بِقاتِلِه كلَّ كَرْبٍ وبلاء. إلى أن قال ابنُ نباتة: بَكَتْ لموتِهِ الأرضُ والسماوات، وأمطرت دماً، واظْلمّتِ الأفلاكُ مِن الكُسوف، واشتدّ سوادُ السماء، ودام ذلك ثلاثةَ أيّامٍ والكواكب في أفلاكها تَتهافت، وعَظُمتِ الأهوال حتّى ظُنّ أنّ القيامة قد قامتْ. ثمّ قال: كيف لا وهو ابنُ السيّدة فاطمة الزهرا، وسبطُ سيّدِ الخلائق دُنياً وأُخرى، وكان النبيّ صلى الله عليه وآله مِن حبّه في الحسين يُقبّل شفتَيه، ويَحمله كثيراً على كَتِفَيه، فكيف لو رآه مُلقىً على جَنْبَيه، شديدَ العطش والماءُ بين يَدَيه، وأطفالُه يَصيحون بالبكاء عَلَيه، لَصاح صلى الله عليه وآله وخَرَّ مغْشِيّاً عَلَيه! (٢)

* * *

(١) المجالس الفاخرة: ١٤١ـ ١٤٢. ويُنظَر: بحار الأنوار ٤٤ : ٢٨٢، ٢٨٣ / ح ١٦.

(٢) يُنظَر: المجالس الفاخرة: ٧٩، ٨٤ مع الهوامش.

وجاء في (الكامل في التاريخ) لابن الأثير وهو من علماء السنّة أيضاً يروي عن ابن عبّاس أنّه قال: رأيتُ النبيَّ ﷺ اللّيلةَ التي قُتِل فيها الحسين، وبيدِه قارورةٌ وهو يَجمع فيها دماً، فقلتُ: يا رسولَ الله، ما هذا؟! فقال: «هذهِ دماءُ الحسين وأصحابِه أرفعُها إلى الله تعالى!». فأصبح ابنُ عبّاس (بعد أن رأى هذه الرؤية) فأعلَمَ الناسَ بقتل الحسين، وقصَّ رُؤياه فوُجِد قد قُتل في ذلك اليوم [١].

وروى ابنُ شهر آشوب في (مناقب آلِ أبي طالب) عن: جامع الترمذيّ، وكتاب السدّيّ، وفضائل السمعانيّ، وكلُّهم من رواة السنّة، أنّ أُمَّ سلَمة أُمّ المؤمنين رضوان الله عليها قالت: رأيتُ رسولَ الله ﷺ في المنام وعلى رأسِه التراب، فقلت: ما لك يا رسولَ الله؟! فقال: «**شَهِدتُ قتلَ الحسين آنفاً!**» [٢].

أَجَل، إنّه الخَطْبُ الفادح، والمُصاب العظيم الجَلَل، وقد قال فيه محمّد بن إدريس الشافعيّ:

تَـزَلْـزَلَـتِ الـدنيـا لآلِ محـمّـدٍ ... وكـادَتْ لَهُـم صُـمُّ الجِبالِ تَـذوبُ
فَمَن مُبْلِغٌ عَنّي الحسينَ رسالةً ... وإن كَـرِهَـتْـهـا أنـفـسٌ وقُـلـوبُ
ذَبـيـحٌ بِـلا جُـرمٍ كـأنّ قميصَهُ ... صَبيغٌ بماءِ الأُرجُـوانِ خَضِيبُ [٣]

إذن، فلْتُسبَلِ الأجفان، ولْتُذْرِفِ الدموعُ قَطَراتِ الـولاءِ والشوق، ولْتُعاهِدِ القلوبُ الحزينة سيّدَها وإمامها الحسين عليه السلام على مُوالاتِه، والسَّيرِ في طريقه، طريقِ الله وطريقِ رسولِه.

---

(١) الكامل في التاريخ ٤ : ٩٣.

(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢١٣.

(٣) وهي أُوَل أبيات قصيدته ذات ٩ أبيات، كما في مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٦٩، وبحار الأنوار ٤٥ : ٢٥٣ / ح ١٢.

يا حـاديَ الـرَّكْـبِ أنِـخْ يا حادي ... مـا غـيرُ وادي الـطَّـفِّ لي بـوادِي
يَعتادُني شوقي إلى الطَّفِّ فكُنْ ... مُـشـارِكـي في شَـوقـيَ المُعـتـادِ
لله أرضُ الـطـفِّ أرضـاً إنّهـا ... أرضُ الهدى المعبودُ فيها الهادي
أرضٌ يَحـارُ الـطَّـرْفُ في حائرِها ... مَـهْـما بـدا فـالـنُّـورُ مِـنـهُ بـادِي
زَهْـوي بـحـبِّ المصطفى وآلِـهِ ... عَـلَى الأعـادي وعـلَى الحُسّـادِ
قـومٌ عـليٍّ مـنـهـمُ وابـنـاهُ أَفْـ ... ـديهِـمْ بـآبـائـي وبـالأَجْـدادِ
هـمُ الأُلى ليس لهـم في فَخْرِهم ... نِـدٌّ، وحـاشـاهُـمْ مِـنَ الأنـدادِ[1]

***

لا يستقرُّ للمُحبّ المُوالي جَنان حتّى يقتربَ مِن حبيبه أو يتقرّبَ إليه بعمل، فيجدَ روحَه في هناء، وإن كان بدنُه في عناء، ويجدَ نفسَه في سعادة، وإن ذرف الدموعَ أو تركَ أهلَه وبلاده. فمُحِبُّ الله يشتاقُ إلى بيت الله وتهفو روحُه إليه، ويَهوي قلبُه كلّما ذُكِر، وتحنُّ نفسُه كلَّ موسم. ومُحِبُّ النبيِّ ﷺ يشتاق لزيارته، والجلوسِ عنده في حضرته، وربّما لم يتمالَكْ نفسَه عن البكاء والنحيب حبّاً ومودّةً وشكوىً من الفراق. وكذا مُحِبُّ الأئمّةِ الأطهار الأخيار، تشكو روحُه الظَّمأَ إن لم تَزرْهُم، وكلّما ذكَرَ حنّ، فهَجَر مِن أجلِهِمُ العيالَ والوطن، وقطع المسافاتِ ليجلس قُربَ أبدانِهِمُ الطاهرة، وَيبلَّ غليلَه

(١) الأبيات لأحمد بن محمّد الضبّيّ الحلبيّ الأنطاكيّ، المعروف بالصنوبريّ (ت ٣٣٤ هـ)، من قصيدة ذات ٢١ بيتاً كما هي في ديوانه.

بدمعِ الاشتياق والولاء، وكيف لا، وهم أحبّاءُ الله وأوِدّاؤُه، وأنوارُه وأبوابه وأُمناؤُه. وزيارتُهم هدىً وشفاءٌ للقلوب، وعبادةٌ وتقرّبٌ إلى الله سبحانه وهو المحبوب، ومِن أحبّاء الله وأوِدّائه إمامُنا الحسين عليه السلام، الذي قال الشاعر لزائرِه:

سِرْ راشداً يا أيُّها السائرُ ... ما حارَ مَنْ مَقصدُه الحائرُ
ما حارَ مَنْ زارَ إمامَ الهُدى ... خيرَ مَزورٍ زارَه الزائرُ
مَن جَدُّه أطهرُ جَدٍّ ومَنْ ... أبوهُ لا شكَّ الأبُ الطاهرُ[1]

***

ربّما سأل سائل: هل تجوز زيارةُ القبور؟ أليس هذا العمل حراماً لكونه بدعةً في الدِّين؟

والجواب على هذا هو: إنّ زيارة القبور سُنّةٌ نبويّةٌ شريفةٌ ورَدَتْ في أفعالِ رسول الله صلى الله عليه وآله وأقوالِه، وللمثال نذكر: أنّه جاء في (سُنن ابن ماجة مج ١ باب ما جاء في زيارة القبور / ص ١١٣) قولُ النبيّ صلى الله عليه وآله: «**زُوروا القبور؛ فإنّها تُذكّرُكمُ الآخرة**».

وجاء في (سنن ابن ماجة) و (سنن الترمذيّ في أبواب الجنائز / مج ٣ ص ٢٧٤) روايةُ بُرَيدة بقول النبيّ صلى الله عليه وآله حول زيارة القبور: «**زُورُوها؛ فإنّها تُزَهِّد في الدنيا، وتُذكّرُ بالآخرة**». وفي ذلك يمكن مراجعة: (صحيح مسلم مج ٣ باب استئذان النبيّ ربَّه في زيارة قبر أُمّه ص ٦٥، ومج ٤ كتاب الجنائز، باب زيارة القبور ص ٧٣)، و(سنن أبي داود مج ٢ كتاب الجنائز ص ١٩٥)، كما جاء فيهما أيضاً قولُه صلى الله عليه وآله: «**اِستأذنتُ ربّي في أن أَزورَ قبرَها (أي قبرَ أُمّه) فأذِنَ لي، فَزُوروا القبور؛ فإنّها تُذكّركم الموت**».

كما ذكَرَت عائشة حسْبما ورد في (صحيح ابن ماجة مج ١ ص ١١٤) قائلة: إنّ رسول الله رخّص في زيارة القبور.

---

(١) الأبيات الثلاثة الأولى من قصيدة للصنوبري ذات ٢٠ بيتاً، كما في ديوانه.

وعلّم النبيّ ﷺ إحدى زوجاته ما يُقال عند دخولِ القبور حسبما ورد في (سنن النَّسائيّ مج ٣ ص ٧٦) و(صحيح مسلم مج ٣ ص ٦٤) بقوله: «**قولي: السلام على أهل الديار من المؤمنين والمسلمين، يَرحَمُ اللهُ المستقدِمين منّا والمستأخِرين، وإنّا إن شاءَ اللهُ بِكم لاحقون**».

هذا على سبيل المثال لا الحصر، وإلّا فإنّ كتب علماء السُّنّة والشيعة تزخر بعشرات، بل ومئات الروايات الصريحة الدالّة على جواز، بل على استحباب زيارة القبور، فهي سُنّةٌ نبويّة، وعملٌ يُذكِّر بالموت وبالآخرة ويُزهّدُ في الدنيا.

وفي الزيارة حِكَمٌ وفضائل ومعانٍ عظيمةٌ في حياةِ الزائر، إذْ من خلالها يُحِسّ بخشوعِ القلب وتوجّهِه إلى الله، ووَجَلِه من العاقبة السيّئة، فيجعله ذلك أكثرَ تقوى، وأخوفَ مِن ربّه عزّ وجلّ، وأجَدَّ في مسعى الخير. وإذا زار المرءُ قبورَ الأنبياء والأولياء عليهم السلام، استشعر التقديس لأحبّاء الله، واقترب من الاقتداء بهم، وتمثّلَ سيرتَهم فحنّ إلى ترجمتها في حياته، ونَهَل من القيم والأهداف الإلهيّة ما يجعله على طريق الهدى. وفي زيارة الإمام الحسين عليه السلام تصوّرٌ للمأساة الفاجعةِ التي حلّت ببيت النبوّة، حيث قُتِلَت ذرّيّةُ رسول الله ﷺ، وسُبِيَت نساؤُه، وأُسِرَ أطفالُه وعياله، وذُبِحَ وصيُّه وريحانته، هو وأولادُه وأصحابه. وزيارته فضلاً عن ذلك باعثٌ على التبرّي من أعداء الإسلام والمسلمين، وتقديسِ القيم الإلهيّة، ونُصرة الحقّ. ولهذا خاف أهلُ الباطل من تلك الزيارة، فمَنَعوا الموالين من الاقتراب من قبر الإمام الحسين عليه السلام، ومنهم المتوكّل العبّاسيّ ومَنِ استَنّ بسُنّته السيّئة، حتّى فَرضَ على الشيعة أن يُقتَل زائرٌ مِن كلِّ موكبٍ مقابلَ الإذْن له بالزيارة، وفَرضَ عليهم قطْعَ الأيدي مقابل الإذْنِ بالزيارة، وكذلك ضرائبَ ماليّة تضمّنتِ الذهبَ وغيرَه، وقدِ اتّفق أن جاءتِ امرأةٌ مُواليةٌ لتزور قبرَ سيّدِها وإمامِها الحسين عليه السلام، فاعترضتها المسالح لتقطعَ يَدها قبال السماح لها بالزيارة، فأعطت يدَها

اليُسرى، فلمّا طالبوها باليُمنى قالت لهم: لقد قطعتُموها في زيارةِ العام الماضي حينما أقبلتُ على سيّدي الحسين عليه السلام.

***

والزيارة هي تواصلٌ ووفاءٌ للمَزور، وقد أوصى بذلك المصطفى صلى الله عليه وآله قائلاً: «مَن زار قبري بعد موتي كان كمَنْ هاجر إليَّ في حياتي، فإن لم تستطيعوا فابعثوا إليَّ بالسلام؛ فإنّه يبلُغني» [١]. والزيارة حنيْن إلى أحبّاء الله، وهي تعبيرٌ عن حبِّ الله، وقد قال النبيُّ صلى الله عليه وآله لعليٍّ عليه السلام: «**يا أبا الحسن، إنّ اللهَ جعل قبرَك وقبرَ وُلْدِك بِقاعاً مِنْ بقاع الجنّة، وعرصاتٍ من عرصاتِها، وإنّ الله جَعَل قلوبَ نُجباءَ مِن خَلْقه، وصفوةٍ من عباده، تحِنُّ إليكم، وتحتمل المذلّةَ والأذى فيكم، فيُعمّرون قبورَكم ويُكثرونَ زيارتَها؛ تقرُّباً منهم إلى الله ومودّةً منهم لرسوله، أُولئك يا عليُّ المخصوصون بشفاعتي، والواردون حوضي، وهم زُوّاري وجيراني غداً في الجنّة**» [٢].

***

يقول المحدّث الفيضُ الكاشانيّ قُدِّس سرُّه في تعليل فضل الزيارة: ولعلّ السرَّ في فضل زيارتهم عليهم السلام على تلك العبادات، أنّ في زيارتهم صِلةً وبِرّاً لهم ولرسولِ الله صلى الله عليه وآله وأميرِ المؤمنين وفاطمة عليهم السلام، وشيعتِهم ومحبّيهم، بل لسائرِ النبيّين والوصيّين عليهم السلام، وإنّ فيها إدخالَ سرورٍ عليهم، وإجابةً لهم، وتجديدَ عهدٍ لولايتهم، وإحياءً لأمرهم، وتنديداً بأعدائهم، وفي ذلك كلِّهِ رجاءٌ لما عند الله الذي لا يَخيبُ مَن رجاه، وطلبٌ لرضاه سبحانه الذي يَرضى لِمَن أرضاه.

(١) كامل الزيارات: ٤٧ / ح ٢٢، تهذيب الأحكام ٦ : ٣ / ح ١، وسائل الشيعة ١٤ : ٣٣٧ / ح ١٩٣٤٤.

(٢) فرحة الغري: ١٠٤، بحار الأنوار ١٠٠ : ١٢١ / ١٢٢ / ح٢٢. ويُنظَر: المزار للمفيد: ٢٢٨ / ح ١٢.

أجل، إنّ الزيارة تعبيرٌ عن الولاء والمودّة والوفاء، استجابةً لقوله تعالى: ﴿**قُلْ لا أسألُكُم عَلَيه أَجْراً إلّا المَودّةَ في القربى**﴾ (سورة الشورى: ٢٣)، والإمامُ الحسين عليه السلام هو مِن أخصّ قُربى النبيّ صلى الله عليه وآله، فحبّاً لله ولرسوله تهفو نفوسُ الموالين إلى قبرِه الشريف، وتهوي أفئدتُهم إلى زيارتِه والاقتراب مِن جسده المقطَّع في سبيل الله. كما دعا إبراهيمُ الخليل عليه السلام بقوله: ﴿**ربَّنا إنّي أَسْكَنْتُ مِنْ ذُرِّيّتي بِوادٍ غَيرِ ذِي زَرْعٍ عِنْدَ بيتِكَ المُحَرَّمِ رَبَّنا لِيُقيمُوا الصَّلاةَ فاجْعَلْ أَفئدةً مِنَ الناسِ تَهْوِي إلَيهم..**﴾ (سورة إبراهيم: ٣٧). والأئمّة عليهم السلام هم مِن ذرّيّة إبراهيم عليه السلام ومنهم الإمام الحسين عليه السلام، أقاموا الصلاةَ والعدل، وفَدَوا كلمةَ الله بِنُفوسِهمُ الشريفة، رَفْعاً للضَّيمِ والحيف الذي ألحَقه الطغاةُ بالمسلمين، فكيف لا تَهوي أفئدةُ المسلمين الموالين إليهم؟! وكيف تُجفى قبورُهم، وزيارتُهم صِلةٌ لرسول الله صلى الله عليه وآله؟! وقد قال الإمام الصادق عليه السلام: «**لو أنَّ أحدَكم حجَّ دهرَه ثمّ لَم يَزُرِ الحسينَ بنَ عليّ عليه السلام لَكان تاركاً حقّاً مِنْ حقوقِ رسول الله صلى الله عليه وآله؛ لأنّ حقَّ الحسين عليه السلام فريضةٌ من الله واجبةٌ على كلّ مسلم**»[1]، وقال عليه السلام لِسَدير: «**يا سدير، تَزورُ قبرَ الحسين عليه السلام في كلِّ يوم؟** قال: جُعِلتُ فداك، لا. قال: **ما أجفاكم!..**»[2].

(١) كامل الزيارات: ٢٣٨ / ح ٣٥٥، تهذيب الأحكام ٦ : ٤٢ / ح ٨٧، وسائل الشريعة ١٤ : ٤٢٨ / ح ١٩٥٢٤.

(٢) الكافي ٤ : ٥٨٩/ ح٨، كامل الزيارات: ٤٨١ / ح٧٣٥، و٤٨٧ / ح٧٤٣، و٤٨٩ / ح ٧٤٨، مَن لا يحضره الفقيه ٢ : ٥٩٩ / ح٣٢٠٣، تهذيب الأحكام ٦ : ١١٦ / ح ٢٠٥.

٩

وممّـا شجى قلبي وأَسبـلَ عَبرتي  مَحـارِمُ مِـنْ آلِ النبيِّ استُحِلّتِ
وَمفجوعةٌ بالطَّفِّ عنها سجُوفُها  كِعابٌ كقرنِ الشمسِ لمّـا تبدَّتِ
ورَبّـاتُ خِـدْرٍ مِـنْ ذُؤابـةِ هاشمٍ  هَتَفْنَ بِدعوى خيرِ حَيٍ ومَيّتِ
أَردُّ يـداً منّـي إذا مـا ذكَـرْتُهـا  على كَبِدٍ حَـرّى وقلبٍ مُفَتَّتِ[1]

***

يشتاق المُحبُّ إلى الدنوِّ مِن محبوبه، يُجاوره ويُجالسه فيَهنأ بذلك غايةَ الهناء، ويَسعَدُ المُوالي إذا اقترب من وليّه، تنبسطُ عنده جَوانحه، ويُغمَر قلبُه بالسعادة ونفسُه بالعزِّ والكرامة، وضميرُه بالاستقرار والسكون. وعلامةُ المحبّ أنّه يشتاقُ حتّى إلى البكاء، ويسعى نحو محبوبِه لا يألُو عن جُهدٍ إلّا بَذَله للوصول إليه، ولِزيارتِه والحضور عنده. وزيارةُ الإمام الحسين عليه السلام هي صلةٌ لرسولِ الله صلى الله عليه وآله وأهلِ بيته جميعاً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن كان لنا مُحِبّاً فلْيرغَبْ في زيارةِ قبر الحسين، فمَن كان للحسين عليه السلام مُحِبّاً عَرَفْناه بالحبِّ لنا أهلَ البيت، وكان مِن أهلِ الجنّة، ومَن لم يكن للحسين عليه السلام زَوّاراً كان ناقصَ الإيمان**»[2].

---

(١) الأبيات من قصيدة للحسن بن الضحّاك، وقد نُقلت بصورٍ مختلفة في المصادر. يُنظَر: مثير الأحزان: ٥٨، والفَرَج بعد الشدّة ١ : ٧٤، وتاريخ الإسلام للذهبي ١٥ : ٢٣٥.

(٢) كامل الزيارات: ٣٥٦ / ح ٦١٣، بحار الأنوار ١٠١ : ٤ / ح ١٦، وسائل الشيعة ١٤ : ٤٣٢ / ح ١٩٥٣٥.

وزيارةُ قبر الحسين سلام الله عليه أمارةٌ على الخير، إذا كان الزائرُ مشتاقاً متلهِّفاً، باذلاً جُهدَه ومالَه للوصول والتواصل، مُطالِعاً ببصرِه على مَدِّه ينتظر أن يرى قبّةَ الحسينِ عليه السلام، فتَحْتَها يكون الدعاءُ مستجاباً كما أخبر رسول الله صلى الله عليه وآله ـ، يتأمّلُ ويطالع الطريق، ولا يبرد قلبهُ حتّى يرى القِبابَ النيّرةَ الساطعة، وهناك يحلُو لَه البكاء، وانبساطُ الأشواق، إلى مَشوقٍ مِن مشتاق. إنّ ذلك علامةُ ولاءٍ وودّ، وقد أراد الله بصاحبها خيراً، قال الإمام الصادق عليه السلام: «**مَن أراد اللهُ به الخيرَ قَذَفَ في قلبِهِ حُبَّ الحسين عليه السلام وحُبَّ زيارتِه، ومَن أراد اللهُ به السوءَ قَذَفَ في قلبه بُغضَ الحسين عليه السلام وبُغضَ زيارته**»(١).

***

إنّ زيارةَ قبورِ الأبطال والعظماء، وأضرحةِ الشهداء، سيرةٌ عقلائيّة، وسُنّةٌ إنسانيّة، لا تَخصُّ قوماً أو أُمّةً أو طائفة، كما إنّ زيارةَ قبورِ الأنبياء والأولياء محبوبةٌ عقلاً وشرعاً، جاءت بها السُّننُ النبويّة الشريفة، ومارسها الصحابةُ بعد النبيِّ صلى الله عليه وآله استناناً بسُنّته. كذلك زيارةُ مرقد الإمام الحسين عليه السلام بكربلاء، وهو سيّدُ الشهداء الأحرار، والمَثَلُ الأعلى لرجال الإصلاح والفداء في العالَم، الذي أنقَذَ أُمّتَه من خطر المحوِ والزوال، وأنقذ الإسلامَ العزيز من التحريف والتشويه، كلُّ ذلك بدمِه ونفسه، وأولادِه وأهله، وخيرة أحبّائه وأصحابه. وقد أخَذَت واقعةُ الطفّ ومواقفُ الحسين وأهلِ بيته وأصحابه بإعجاب المسلمين وغير المسلمين في الماضي والحاضر، حتّى قَدِم رجالٌ مِن أممٍ أُخَر وأديانٍ أُخَر يزورون ضريحَ الإمام الحسين عليه السلام ليقرأُوا عنده آياتِ الإعجاب والإكبار، وحتّى قال الكثيرون فيه كلماتٍ تَنمُّ عن تمجيدٍ له عليه السلام، واعتزازٍ بفدائه وشهامته، بل إنّ البعضَ اقتدى به، فقد قال «غاندي» الزعيمُ الهنديّ المعروف: لقد تعلَّمتُ من الحسين

(١) كامل الزيارات: ٢٦٩ / ح ٤١٧، بحار الأنوار ١٠١ : ٧٦ / ح ٢٨، وسائل الشريعة ١٤ : ٤٩٦ / ح ١٩٦٧٨.

كيفَ أكون مظلوماً فأنتصر.

* * *

إنّ في زيارتنا للإمام الحسين عليه السلام مكاسبَ روحيّة، وفوائدَ عقائديّةً وأخلاقيّة، وفضلاً عن ذلك فإنّ فيها ثواباً يرتقي بالإنسانِ العارف بحقّهِ عليه السلام، المُوالي له المقتدي به، إلى الرِّضوان والجنّة ودرجات الشرف، قال الإمام الصادق سلام الله عليه: «**مَن أتى الحسينَ عليه السلام عارفاً بحقِّه كَتَبَه اللهُ تعالى في أعلى عِلِّيّين**» (١).

كما أنّ في زيارته عليه السلام فوائدَ معنويّة، فهي تُقرِّب إلى الله عزّ وجلّ، قال الإمام الباقر عليه السلام: «**مُرُوا شيعتَنا بزيارةِ قبرِ الحسين عليه السلام؛ فإنَّ إتْيانَه يَزيدُ في الرزق، ويَمُدّ في العمر، ويدفعُ مدافعَ السُّوء، وإتيانُه مفترَضٌ على كلِّ مؤمنٍ يُقِرُّ له بالإمامةِ من الله**» (٢).

أَجَل، وقد يَفهم المؤمنُ المتبصّر أنّ زيارة قبرِ الإمام الحسين عليه السلام هي زيادةٌ في رزق الثواب، ودفعٌ لما يُوجِب سخَطَ الله، وامتدادٌ للخير. والمحبُّ المُوالي لا يَهنأُ إلّا بالتقرّب مِن محبوبه ووليّه، يجدُ قلبَه مُنْشدّاً إلى القبر الشريف، يشتاق إلى البكاء عنده وإلى الحديثِ جَنْبَه، وإلى تجديدِ العهد معه، وفي ذلك تَواصلٌ مع النبيِّ صلى الله عليه وآله وابنته الزهراء عليها السلام، ووصيِّه المرتضى وأولادِه الأئمّة الهداة صلوات الله عليهم، فإذا أَقَرّ بالإمامة، وعرض لأئمّتِه الولاية، فمِنَ المُسلَّم أن تهفوَ نفسُه إليهم، وتَطيرَ روحُه شوقاً نحوهم.

* * *

كيف لا نزور قبرَ الحسين عليه السلام وقد زارَتْه العقيلة المكرَّمة زينبُ بعدَ شهادته ليلاً؛

---

(١) كامل الزيارات: ٢٧٩ / ح ٤٣٩، مَن لا يحضره الفقيه ٢ : ٥٨١ / ح ٣١٧٣، وسائل الشريعة ١٤ : ٤١٧ / ح ١٩٤٩٢.

(٢) كامل الزيارات: ٢٨٤ / ح ٤٥٦، تهذيب الأحكام ٦ : ٤٢ / ح ٨٦، وسائل الشيعة ١٤ : ٤١٣ / ح ١٩٤٨٣.

لئلا يَشْمَتَ الأعداءُ بها وهي تبكي أخاها وتتفجّعُ عليه وتشكو إلى رسول الله ﷺ قوماً ادّعَوا أنّهم مِن أُمّةِ محمّدٍ ﷺ، ثمّ مالُوا على أولاده وذُرّيّته قَتْلاً وتمثيلاً بأجسادهم الطاهرة! أَجَل، زارتْ زينبُ ريحانةَ المصطفى سيّدَ شباب أهل الجنّة وهو صريعٌ على الرمضاء، فأجهَشَتْ بالبكاء، ونادَتْ بهذا الدعاء: «**اَللّهمّ تَقبَّلْ مِنّا هذا القُربان**»، ثمّ انثَنَتْ شاكيةً وَجْدَها، إلى جَدِّها، وهي تقول: «**يا محمّداه، صَلّى عليكَ مَليكُ السَّماء، هذا حُسَينٌ بالعَراء، مُرمَّلٌ بالدماء، مُقَطّعُ الأعضاء**» (١). وزاره الإمام السجّادُ ابنُه ﷺ، وسائرُ أهل بيتِه الأُسراء، وأحدَ عشَرَ طفلاً مِن أهل البيت ﷺ، اجتمع هؤلاءِ الزوّار وهُم أَسرى حُفاة قُيِّدوا بالأغلال ـ، فقصدوا زيارةَ الجسَدِ الشريف وهو مُلقىً على رمالِ صحراءِ كربلاء، فأَتَوا بجميع آدابِ الزيارة له وهم مُغْبَرُّون، جائعونَ ظامئون، عطاشى مَحْزُونون باكُون، فَسَلَّمُوا على النبيّ وعليّ وفاطمة عليهمُ الصلاةُ والسلام، ثمّ سَلَّموا على الحسين ﷺ، وكان أصلُ الزيارةِ لزينب، وباقي الزُّوّارِ يقرأونَ معها، أمّا السجّادُ عليُّ بنُ الحسين ﷺ، فبَعدَ أن كان عليلاً، أصبح غَليلاً، إذْ وضعوا الجامعةَ في عُنُقه وما مكّنوه مِن النزول عن ناقته، وكان يجودُ بنفسِه حتّى صار مُحتضِراً.

ولم يُكمل الزوّارُ زيارتَهم حتّى فَرّقَهم قتلَةُ الحسين ﷺ، فَرَّقوا بينَ الزائرِ المفجوع، ومَزورٍ ذي رأسٍ مقطوع! ثمّ زاره الإمامُ السجّاد ﷺ حين دفَنَه في اليومِ الثالث عشر من المحرّم لمّا انسلّ من سجنِ ابنِ زياد في الكوفة، فسلّم على والدهِ بسلامٍ خاصّ وكلماتٍ مخصوصة بعد أن دَفَنه، واضعاً كفَّه على القبرِ الشريف. كما زارَه بعد دَفنِه بأيّام عُقْبةُ بن عمْرو السَّهْميّ، ويُقال: إنّه أوّلُ شاعرٍ رثى الحسينَ ﷺ، حيث جاء ووقفَ على قبره، وأنشد:

مَـررْتُ على قـبرِ الحسين بكربلا ففاضَ عليهِ مِن دموعي غزيرُها

(١) مثير الأحزان: ٦٥، العوالم الجزء المتعلّق بالإمام الحسين ﷺ: ١٤٢.

فما زِلتُ أَرثيه وأبكي لِشَجْوِهِ ويُسعِدُ عيني دمعُها وزفيرُها
وبَكَّيتُ مِن بعدِ الحسينِ عصائباً أطافتْ به مِن جانبَيها قُبورُها
سلامٌ على أهلِ القُبورِ بكربلا وَقَلَّ لَها مِنّي سلامٌ يزورُها
سلامٌ بِآصالِ العَشِيِّ وبالضُّحى تُؤدّيهِ نكباءُ الرياحِ ومُورُها
ولا بَرحَ الوُفّادُ زُوّارُ قبرِهِ يَفوحُ عَلَيهم مِسْكُها وعَبيرُها[1]

***

أمّا أوّلُ مَن زار قبر الحسين عليه السلام من بُعدِ البلاد، فهو جابرُ بن عبد الله الأنصاريّ[2] أحد الصحابة الأجلاء لرسول الله صلى الله عليه وآله، وأَحدُ رواة حديثه، الذي عَظُم عليه نبأُ مقتل الحسين عليه السلام، فخرج مِن المدينة مُتوجِّهاً إلى كربلاء لزيارة قبر الحسين سلام الله عليه، وكان يومَها قد فَقَد بَصرَه، فاصطحب معه رجلاً يُقال له ابنُ عطيّة وغُلاماً له. وقد صادَفَ وصولُه إلى كربلاء يومَ التاسع عشر من صفر، أي قبل ورود أهل البيت عليهم السلام من الشام بيومٍ واحد.

عن الأعمش عن عطيّة العَوفيّ قال: خرجتُ مع جابر بن عبد الله الأنصاريّ زائرَين قبرَ الحسين بن عليّ بن أبي طالب عليهما السلام، فلما ورَدنا كربلاءَ دنا جابر من شاطئ الفرات فاغتسل، ثمّ ائْتَزَر بإزارٍ وارتدى آخَرَ، ثمّ فتح صرّة فيها سُعدٌ فنثرها على بدنه، ثمّ لم يَخطُ خطوةً إلّا ذكر الله تعالى، حتّى إذا دنا من القبر قال: ألمِسْنيه. فألمستُه فخرّ على القبر مغشيّاً عليه، فرشَشت عليه شيئاً من الماء، فلمّا أفاق قال: يا حسين ثلاثاً، ثمّ قال: حبيبٌ لا يجيب حبيبه، ثمّ قال: وأنّى لك بالجوابِ وقد شُحِطت أوداجُك على أثباجك، وفُرِّق بين بدنك ورأسك! فأشهدُ أنّك ابن خاتم النبيّين، وابن سيد المؤمنين

(١) أمالي المفيد: ٣٢٤ / ح ٩، أمالي الطوسي: ٩٣ / ح ١٤٣، و٢٣٦ / ح ٤١٧، وفيه في البيت الثالث «عصابةً» بدل «عصائباً»، ومناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٦٨.

(٢) يُنظَر: المجالس الفاخرة: ٢٧٤.

وابن حليف التقوى وسليل الهدى، وخامس أصحاب الكساء، وابن سيد النقباء، وابن فاطمة سيدةِ النساء، وما لَكَ لا تكون هكذا و قد غَذَتك كفُّ سيّد المرسلين، ورُبِّيت في حِجر المتّقين، ورضعت مِن ثدي الإيمان، وفُطمتَ بالإسلام، فطِبتَ حياً وطبتَ ميّتاً، غيرَ أنّ قلوب المؤمنين غيرُ طيّبةٍ لفراقك ولا شاكّةٍ في الخِيرة لك، فعليك سلام الله ورضوانه، وأشهد أنّك مضيت على ما مضى عليه أخوك يَحيَى بنُ زكريّا.

ثمّ جال ببصره حول القبر وقال: السلام عليكم أيتُها الأرواحُ التي حلّت بِفِناء الحسين وأناخت بِرَحله، أشهد أنّكم أقمتمُ الصلاة، وآتيتُمُ الزكاة، وأمرتُم بالمعروف ونهيتُم عن المنكر، وجاهدتم الملحدين، وعبدتم الله حتّى أتاكم اليقين، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبياً، لقد شاركناكم فيما دخلتُم فيه.

قال عطية: فقلت له: يا جابر، كيف ولم نهبط وادياً ولم نَعْلُ جبلاً، ولم نضرب بسيف، والقوم قد فُرِّق بين رؤوسهم وأبدانهم، وأُوتمت أولادهم وأُرملت أزواجهم!

فقال: يا عطية، سمعتُ حبيبي رسول الله ﷺ يقول: «**مَن أحبّ قوماً حُشِر معهم، ومَن أحبّ عملَ قوم أُشرك في عملهم**»، والذي بعث محمّداً بالحقّ نبيّاً، إنّ نيّتي ونيّة أصحابي على ما مضى عليه الحسين عليه السلام وأصحابه، خُذني إلى أبيات كوفان.

فلمّا صرنا في بعض الطريق قال: يا عطية، هل أُوصيك، وما أظنّ أنّني بعد هذه السفرة مُلاقيك! أحبِب محبَّ آل محمّدٍ ﷺ ما أحبّهم، وأبغِضْ مُبغضَ آل محمّد ما أبغضهم وإن كان صوّاماً قوّاماً، وارفق بمحبّ محمّدٍ وآل محمّد فإنّه إن تَزِلَّ له قدم بكثرةِ ذنوبه ثبتت له أُخرى بمحبّتهم، فإن محبَّهم يعود إلى الجنّة، ومُبغضهم يعود إلى النار [1].

ثمّ التقى جابرُ بن عبد الله الأنصاريّ في اليوم الثاني، أي في أربعين شهادةِ الإمام الحسين عليه السلام، الموافقِ للعشرين من صفر، إلتقى بالإمام السجّاد عليه السلام عند قبر الإمام

(١) بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: ٧٤، ٧٥.

الحسين عليه السلام، واستمع منه إلى واقعة الطفّ كيف جرتْ مآسيها وفجائعها عليهم، فكَثُر البكاءُ والعويل حول القبر الشريف، وأُقِيمَتِ المآتم من قِبَلِ أهل السَّواد والنواحي الذين كانوا قد توافَدوا لزيارة الحسين عليه السلام، وللسلامِ على ولَدِه عليٍّ السجاد عليه السلام وعلى بنات الرسالة، واستمرّوا على تلك الحال ثلاثةَ أيّام، ثمّ ارتحل الإمامُ السجّاد عليه السلام بالعائلةِ من كربلاء، مُواصِلاً سَيرَه نحوَ المدينة المنوّرة.

فسلامٌ على الحسين، ولن تهنَأَ لنا نفْسٌ حتّى نزورَ قبرَه الشريف، ونَلثِمَه ونُبلَّه بدموع الشوق والحزن والولاء.

دَعَوتُ الدمعَ فانسَكبَ انسكابا ونـاديـتُ الـسُّـلُـوَّ فَـما أجابـا
وهَـلْ لـكَ أنْ تُجيبَ فتىً حَزيناً رَأَت عيناهُ بـالـطَّفِّ اكتِئابا؟!
وكـيـفَ يَـمَـلُّ شـيـعـيٌّ مُـنـيـبٌ إلى الـطَّفِّ المَـجـيءَ أَوِ الذِّهابا
سأَخضِبُ وَجْنَتي بِدماءِ عَيني لِشَيبتِهِ وقـد نُـصِـلَـت خِضابا
وأَلـبـسُ ثـوبَ أحـزاني لذكرى لَـه مَسلـوبُ قـد سُـلِـب الثِّيابا
فَـوا حُـزْنـاً عـلـيـهِ وآلُ حـربٍ تُـروّي الـبِـيـضَ مِـنـه والحِـرابـا
وَوا حُزناً ورأسُ السِّبطِ يَسْري كـبَـدرٍ تـمَّ قـد عُـلِّي شِـهـابـا
وَوا حُـزنـاً ونِـسـوتُـه سَـبـايـا وقد هَتك العِدى منها الحِجابا[1]

***

في اليوم العاشر من المحرّم الحرام مِن سنةِ إحدى وستّين هجريّة، زحَفَت جيوشُ بني أُميّة يَقودُها عبيدُ الله بن زياد ابن أبيه، وعمرُ بن سعد، لقتل الإمامة التي عيّنها اللهُ سبحانه، ونصَّ عليها رسولُ الله ﷺ، بأمرٍ من الله. في ذلك اليوم تجاوزَ البغي وتجرّأ على حُرَمِ الله، في شهر الله الحرام، وعلى حريم رسول الله ﷺ، لم يَرْعَوا لَه حُرمة.. نعم.

مِـن أيـن تخـجـلُ أَوجُـهٌ أُمـويّـةٌ سَكَبتْ بِلذّاتِ الفُجورِ حَياءَها؟![2]

وفي ذلك اليوم فُجِع أهلُ البيت عليهم السلام ورُوِّع الأطفال والنساء، حيث قُتل ذَوُو

---

(١) الأبيات لابن حّماد العبديّ. يُنظَر: الغدير ٤: ١٦٨، ١٧١، ومطلع الأبيات على الصفحة ١٧٠.

(٢) البيت للسيد حيدر الحليّ في ديوانه: ٢٤، من قصيدة ذات ٨٩ بيتاً يرثي فيها جدَّه الإمام الحسين عليه السلام.

الحسين عليه السلام من إخوةٍ وبنين، كما قُتِل صَحبُه جميعاً، ثمّ اجتمع عليه القوم مِن كلِّ صوبٍ وجانبٍ وهُم أُلوف.. هذا يَرشقُ بالسَّهم، وذاك يضرب بالسَّيف، وذلك يطعن بالرُّمح، حتّى لم يُبقوا من جسدِه الشريف موضعاً إلّا ضَرَّجُوه بالدم، فَهَوى على الأرض صريعاً، وقد عَمِل له وسادةً من التراب فنام عليها، وفَرسُه يَحوم حولَه، فصاح ابنُ سعد: دُونَكمُ الفرس؛ فإنّه من جِياد خيل رسول الله.

فأحاطت به الخيل، فجَعَلَ يَرمحُ بِرِجْلَيه حتّى قَتلَ رجالاً وأفراساً. فقال ابن سعد: دَعُوه لننظر ما يصنع. فلمّا أَمِنَ الفرسُ الطَّلَب، أقبل نحوَ الحسين عليه السلام يُمرِّغ ناصيتَه بدمه، ويَصهَل صهيلاً عالياً، ثمّ توجّه نحوَ الخيام بذلك الصهيل، فلمّا نَظَرتِ النِّسوةُ جوادَه خالياً، والسَّرْجَ منه مَلْويّاً، عَرَفْنَ أنّ الفاجعةَ قد حلّت! أَجَل، إنّه جاء يُخبِر أنّ الحسين عليه السلام قدِ استُشهِد، فيا للمصيبة!!

ولم تكتفِ الأيدي المجرمةُ بقتل سيّد الشهداء، حتّى دَنَت تحتزُّ الرأسَ الشريف؛ تنكيلاً وانتقاماً من النبيّ صلى الله عليه وآله والوصيّ عليٍّ عليه السلام؛ لأنّهما قتلا المشركين مِن رجالِ قريشٍ في بدرٍ وحُنَين.

***

في ذلك اليوم فُجِعَت زينبُ بنتُ عليٍّ عليهما السلام، وأيّةُ فجيعةٍ حَلَّت بها! فَبالأمسِ قُتِل جَدُّها المصطفى، وأَبوها المرتضى، وأُمُّها الزهراء، وأخوها المجتبى، واليومَ تُفجَع بأخيها الحسين، والخِيَرةِ من أهلِها وذَويها، وهي تَراهم وترى مَصارعَهم على ساحةِ الطَّفِّ أشلاءَ ضحايا مُجزَّرين، وتَتَلَفَّتُ وهي ترى نفسَها في عظيم كربة، وحزنٍ وغُربة، وهَضْمٍ وظلم، وبين مشاهدَ رهيبة، ومصائبَ لم تَشْبَهْها أيّةُ مصيبة! وحولَها الأطفالُ والنساء عَطاشى يَجُودون بأنفسِهم، بل هم حَولَها أراملُ وأيتام، وتَمدّ عينَيها فإذا جسَدُ أبي عبدِ الله الحسين عليه السلام أخيها مُلقىً على رمالِ كربلاء بلا دفن، تَدُوسُه سَنابكُ الخيل

بلا حياءٍ مِن رسولِ الله ﷺ وهو ريحانتُه، تَدوسُه وهو سيّدُ شبابِ أهل الجنّة، فكيف لا تبكي العينُ حتّى تَجفَّ مآقيها، وكيف لا يَحزنُ القلبُ حتّى تتفطّرَ جَوانبُه، وكيف لا يَصَّعَّد النَّفَسُ في الصدر كأنّه يُنذرُ بالموت؟! إنّها مصيبةُ رسولِ الله ﷺ أبْكَتِ الأرضَ والسماء، فكيف لا تُبكي قلبَ المؤمنِ المُوالي؟!

***

أَيُّ هول حلّ، وأيُّ فادحةٍ نَزَلَت؟! فقد قتلوا سِبط رسولِ الله، فلا عَجَبَ أن يشكوَ ذلك رسولُ الله ﷺ إلى ربّه عزّ وجلّ.

أخرج الحافظُ ابن عساكر (وهو مِن علماءِ السُّنّة) في كتابه (تاريخ دمشق) هذا الخبر: حدّثَنا عليُّ بن زيدِ بنِ جَدعان قال: استَيقظ ابنُ عبّاسٍ مِن نومه فاسترجع وقال: قُتِل الحسينُ والله! فقال له أصحابُه: كلا يا ابنَ عبّاس، قال: رأيتُ رسولَ الله ﷺ ومعه زُجاجةٌ مِن دم، فقال: «**ألا تعلم ما صَنَعَت أُمّتي مِن بعدي؟! قَتَلُوا ابنيَ الحسين وهذا دمُه ودمُ أصحابه، أرفعُها إلى الله عزّ وجلّ**» (١).

ولا عَجَبَ أن يتغيّر الكونُ لِهَول المصيبةِ النازلة: فقد ظهر يوم قتله من الآيات ما رُويَ أَنّ السماء أَمطَرَت دماً (٢). وروى الشيخ الطوسّي في (الأمالي) قال: أمطَرَتِ السماءُ يومَ قُتِل الحسين عليه السلام دَماً عَبيطاً (٣). وقال ابنُ حَجَر (وهو من علماء السُّنّة البارزين) في كتابه (الصواعق المحرقة) ما لفظُه: وممّا ظَهَر يومَ قتلهِ من الآيات أيضاً:

---

(١) تاريخ مدينة دمشق ١٤ : ٢٣٧.

(٢) شرح الأخبار ٣ : ٥٤٢ / ح ١١٠٠ نقلًا عن: الشبراوي في الإتحاف: ٤٢ مرسلًا. يُنظَر: الخطط المقريزيّة ٢ : ٩٨٩، وتاريخ مدينة دمشق ٤ : ٣٣٩، والصواعق المحرقة: ١١٦، وتذكرة خواصّ الأمّة: ١٥٥، والكامل لابن الأثير ٧ : ٢٩ حوادث سنة ٢٤٦ هـ، وكنز العمّال ٤ : ٢٩١ / الرقم ٥٨٦٨، والنجوم الزاهرة ٢ : ٣٢٢.

(٣) أمالي الطوسي: ٣٣٠ / ح ٦٥٩.

أَنَّ السماءَ اسْوَدَّتِ اسْوِداداً عظيماً حتّى رُئِيتِ النجومُ نهاراً! ثمّ قال ابنُ حجر: وحكى ابنُ عُيَيْنة عن جَدّته، وذكر جملةً من الآيات التي ظَهَرتْ يومَ قُتِل الحسين عليه السلام، إلى أن قال: وانكَسَفتِ الشمسُ حتّى بَدَتِ الكواكبُ نصفَ النهار، وظنَّ الناسُ أَنّ القيامة قد قامت! إلى أن قال ابن حجر: ونقل ابنُ الجَوْزيّ عن ابن سِيرين أَنّ الدنيا اظْلَمّتْ ثلاثةَ أيّامٍ، ثمّ ظهرتِ الحُمْرة في السماء! [1]

***

إنّه العاشر من المحرّم الحرام، سُفِك فيه الدمُ الحرام، وكانت على الأُمّة داهيةٌ أَلَمّتْ بِها، ومصيبةٌ ما عُرِفَت في التاريخ شبيهةٌ لها.

جاء عبد الله بن الفضل فقال للإمام الصادق عليه السلام: يا ابنَ رسول الله، كيف صارَ يومُ عاشوراء يومَ مصيبةٍ وغَمٍّ وجَزَعٍ وبكاءٍ دونَ اليوم الذي قُبِض فيه رسولُ الله صلى الله عليه وآله، واليومِ الذي ماتَت فيه فاطمة، واليومِ الذي قُتِل فيه أميرُ المؤمنين، واليومِ الذي قُتل فيه الحسنُ بالسمّ؟ فقال عليه السلام: «**إنّ يومَ قتلِ الحسين عليه السلام أعظمُ مصيبةً من جميع سائر الأيّام، وذلك أَنَّ أصحابَ الكساءِ الذين كانوا أكرم الخَلْق على الله تعالى، كانوا خمسة، فلمّا مضى عنهمُ النبيُّ صلى الله عليه وآله بَقِيَ أمير المؤمنين وفاطمة والحسن والحسين عليهم السلام، فكان فيهم للناس عزاءٌ وسلوة... فلمّا قُتِل الحسينُ عليه السلام لم يكن بقيَ من أهل الكساء أحد للناس فيه بعده عزاء وسلوة، فكان ذَهابُه كذهابِ جميعِهم، كما كان بقاؤُه كبقاءِ جميعِهم، فلذلك صارَ يومُه أعظمَ الأيّامِ مُصيبةً**» [2].

وقد قال الشاعر المُوالي:

---

(١) الصواعق المحرقة: ١٩٤.

(٢) يُنظَر: علل الشرائع ١ : ٢٢٥ـ ٢٢٦، الباب ١٦٢/ح١، والفصول المهمّة: ٤١١ ٤١٢ / ح ٣١٨٨، وبحار الأنوار ٤٤ : ٢٦٩ / ح ١.

فحياةُ أصحابِ الكساءِ حياتُهُ وبِيومِ مَصرعِه جميعاً صُرِّعُوا[1]

أَجَل، إنّه يومُ مصيبةٍ وحزنٍ ذلك اليومُ الذي استُشهِد فيه الحسين عليه السلام، يومُ حزنٍ وتفجُّعٍ للأئمّةِ ولشيعتهم، فينبغي أنْ يُمسَكَ عن السعي في حوائج الدنيا، وأن يَتفرّغَ المُحِبّون المُوالونَ لأهلِ بيتِ المصطفى للبكاء والنياحة وذِكْرِ المصائب، وأن يُقيموا مآتمَ العزاء على الإمام الحسين عليه السلام كما لو أرادوا أن يُقيموها لأعزِّ أولادِهم وأكثر، وأن يَزُوروه عليه السلام بزيارة عاشوراء، ويتأمَّلُوا في ما جاء في الزيارة المُسمّاة بـ (زيارة الناحية المقدّسة) وهي واردةٌ عن الإمام الحجّة المهديّ عجل الله فرجه، حيث يقول في مقطعٍ منها: «**السَّلامُ عَلَى الحُسَيْنِ الَّذِي سَمَحَتْ نَفْسُهُ بِمُهْجَتِه، السَّلامُ عَلَى مَنْ أَطَاعَ اللهَّ فِي سِرِّهِ وَ عَلانِيَتِه، السَّلامُ عَلى مَنْ جَعَلَ اللهُّ الشِّفَاءَ فِي تُرْبَتِه، السَّلامُ عَلى مَنِ الإِجَابَةُ تَحْتَ قُبَّتِه، السَّلامُ عَلى مَنِ الأَئِمَّةُ مِنْ ذُرِّيَّتِه..**». ثمّ يقول: «**السَّلامُ عَلَى المُرَمَّلِ بِالدِّمَاء، السَّلامُ عَلَى الْمَهْتُوكِ الْخِبَاء، السَّلامُ عَلى خَامِسِ أَهْلِ الْكِسَاء، السَّلامُ عَلى غَرِيبِ الْغُرَبَاء، السَّلامُ عَلى شَهِيدِ الشُّهَداء، السَّلامُ عَلى قَتِيلِ الأَدْعِيَاء، السَّلامُ عَلى سَاكِنِ كَرْبَلاء، السَّلامُ عَلى مَنْ بَكَتْهُ مَلائِكَةُ السَّمَاء، السَّلامُ عَلى مَنْ ذُرِّيَّتُهُ الأَزْكِيَاء، السَّلامُ عَلى يَعْسُوبِ الدِّينِ، السَّلامُ عَلى مَنَازِلِ الْبَرَاهِين، السَّلامُ عَلَى الأَئِمَّةِ السَّادَات، السَّلامُ عَلَى الْجُيُوبِ الْمُضَرَّجَات، السَّلامُ عَلَى الشِّفَاهِ الذَّابِلات، السَّلامُ عَلَى النُّفُوسِ الْمُصْطَلَمَات، السَّلامُ عَلَى الأَرْوَاحِ الْمُخْتَلَسَات، السَّلامُ عَلَى الأَجْسَادِ الْعَارِيَات، السَّلامُ عَلَى الْجُسُومِ الشَّاحِبَات، السَّلامُ عَلَى الدِّمَاءِ السَّائِلات، السَّلامُ عَلَى الأَعْضَاءِ الْمُقَطَّعَات، السَّلامُ عَلَى الرُّؤُوسِ الْمُشَالات، السَّلامُ عَلَى النِّسْوَةِ الْبَارِزَات، السَّلامُ عَلى حُجَّةِ رَبِّ الْعَالَمِين، السَّلامُ عَلَيْكَ وَ عَلى آبَائِكَ الطَّاهِرِين، السَّلامُ عَلَيْكَ وَ عَلى أَبْنَائِكَ الْمُسْتَشْهَدِين، السَّلامُ عَلَيْكَ وَ عَلى ذُرِّيَّتِكَ النَّاصِرِين**». حتّى يقول الإمام الحجّة عليه السلام: «**السَّلامُ عَلى مَنْ نُكِثَتْ ذِمَّتُه، السَّلامُ عَلى**

(١) الدرّ النضيد في مراثي السبط الشهيد للسيّد محسن الأمين: ٢٢٠، من قصيدةٍ للسيّد صالح القزوينيّ النجفيّ.

مَنْ هُتِكَتْ حُرْمَتُه، السَّلامُ عَلى مَنْ أُرِيقَ بِالظُّلْمِ دَمُه، السَّلامُ عَلَى الْمُغَسَّلِ بِدَمِ الْجِرَاحِ، السَّلامُ عَلَى الْمُجَرَّعِ بِكَاسَاتِ الرِّمَاحِ، السَّلامُ عَلَى الْمُضَامِ الْمُسْتَبَاحِ، السَّلامُ عَلَى الْمَهْجُورِ فِي الْوَرى، السَّلامُ عَلى مَنْ تَوَلَّى دَفْنَهُ أَهْلُ الْقُرى، السَّلامُ عَلَى الْمَقْطُوعِ الْوَتِين، السَّلامُ عَلَى الْمُحَامِي بِلا مُعِين، السَّلامُ عَلَى الشَّيْبِ الْخَضِيب، السَّلامُ عَلَى الْخَدِّ التَّرِيب، السَّلامُ عَلَى الْبَدَنِ السَّلِيب، السَّلامُ عَلَى الثَّغْرِ الْمَقْرُوعِ بِالْقَضِيب، السَّلامُ عَلَى الوَدَجِ الْمَقْطُوعِ، السَّلامُ عَلَى الرَّأْسِ الْمَرْفُوع..»!!![1]

(١) يُنظَر: المزار الكبير: ٤٩٧-٥٠٠، وبحار الأنوار ١٠١ : ٢٣٤، ٢٣٦ / ح ٣٨.

أَناعيَ قَتْلى الطفِّ لا زلْتَ ناعيا ... تُهيجُ على طُولِ اللَّيالي البَواكيا
أعِدْ ذِكْرَهم في كربلا، إنّ ذِكْرَهُم ... طَوى جَزَعاً طَيَّ السِّجِلِّ فُؤاديا
ودَعْ مُقلتي تَحْمَرُّ بعدَ ابْيضاضِها ... بِعَدِّ رزايا تتركُ الدمعَ هاميا
سَتنسى الكَرى عيني كأَنّ جُفونَها ... حلَفْنَ بمَنْ تَنعاهُ ألا تَلاقيا
وتُعطي الدموعَ المستَهِلاتِ حَقَّها ... مَحاجرُ تبكي بالغَوادي غَواديا
ومِمّا يُزيلُ القلبَ عن مُستقَرِّهِ ... ويتركُ زنْدَ الغَيظِ في الصَّدْرِ واريا
وقُوفُ بناتِ الوَحْي عندَ طليقِها ... بِحالٍ بها يُشْجِينَ حتَّى الأَعاديا
مَضَوا عُطَّرَ الأبرادِ يأْرجُ ذِكرُهُم ... عَبيراً تَهاداهُ اللَّيالي الغَواليا[1]

***

يتصوّرُ الكثيرُ أنَّ المأتمَ الحسينيَّ قد عُقِد بعدَ شهادةِ أبي عبد الله الحسين ﷺ، ولكنّ رواياتِنا تؤكّدُ أنّ البكاءَ على الحسين سلامُ الله عليه كان قبلَ ذلك بكثير، بل كان منذُ

---

(١) الأبيات للسيّد حيدر الحلّيّ، في ديوانه: ٤٦، من قصيدة ذات ثلاثين بيتاً. وتجد قصّة نظمها في (أعيان الشيعة ٦ : ٢٦٦)، حيث يقول: في (الطليعة): أخبرني السيّد حسن بن السيّد هادي الكاظميّ، قال: أخبرني السيّد حيدر الحلّيّ، قال: رأيتُ في المنام فاطمة الزهراء ﷺ، فأتيتُ إليها مُسلِّماً عليها مُقبِّلاً يديها، فالتفَتَت إليّ وقالت:

**أناعيَ قتلَى الطفِّ لا زلتَ ناعيا ... تُهيج على طول اللّيالي البَواكيا**

فجعلتُ أبكي، وانتبهتُ وأنا أُردِّد هذا البيت، فجعلتُ أتمشّى وأنا أبكي وأُريد التتميم، ففتح الله عليّ أن قلت: أعِد ذِكرَهم في كربلا ...

كان أبو البشر آدم عليه السلام، فقد رُوي في تفسير قولِه تعالى: ﴿**فَتَلَقَّى آدَمُ مِن رَبِّهِ كَلِماتٍ فَتابَ عَلَيه**﴾ (سورة البقرة: ٣٧)، أنّه رأى ساقَ العرش وأسماءَ النبيّ والأئمّة عليهم السلام، فَلَقّنه جَبرئيلُ قُلْ: **يا حميدُ بحقِّ محمّد، يا عالي بحقِّ عليّ، يا فاطرُ بحقِّ فاطمة، يا مُحسنُ بحقِّ الحسن والحسين ومنك الإحسان. فلمّا ذكر الحسينَ سالَتْ دموعُه وانخشع قلبُه وقال: يا أخي جبرئيل، في ذِكْرِ الخامس ينكسرُ قلبي وتسيلُ عَبرتي؟! قال جبرئيل: وَلَدُك هذا يُصابُ بمصيبةٍ تصغرُ عندها المصائب. فقال: يا أخي وما هي؟! قال: يُقتَلُ عطشاناً غريباً وحيداً فريداً، ليس له ناصرٌ ولا مُعين، ولو تراه يا آدمُ وهو يقول: وا عطَشاه، وا قلّةَ ناصراه! حتّى يحول العطشُ بينه وبين السماء كالدُّخان، فلم يُجبْه أحدٌ إلّا بالسيوف، وشُربِ الحتوف، فيُذبَح ذبحَ الشاة مِن قَفاه، ويَنهَبُ رحْلَه أعداؤُه، وتُشهَر رؤوسُهم هو وأنصاره في البلدان، ومعهم النسوان، كذلك سَبَق في عِلم الواحد المنّان. فبكى آدمُ وجبرئيلُ بكاءَ الثَّكلى**[1].

* * *

كذلك بكاه الأنبياءُ عليهم السلام بعدَ أن أُخبِروا، ومنهم زكريّا عليه السلام وإبراهيم الخليل، حتّى كان الحزنُ والبكاء من رسولِ الله محمّدٍ صلى الله عليه وآله في الساعة الأُولى مِن مولدِ سبطِه الحسين عليه السلام، كما جاء في حديثٍ طويل عن أسماء بنتِ عُمَيس أنّها قالت بعد كلام ـ: فلمّا وُلِد الحسينُ جاءني النبيّ صلى الله عليه وآله فقال: **يا أسماءُ هاتي ابني**. فدفعتُه إليه في خِرقةٍ بيضاء، فأذّنَ في أُذُنِه اليُمنى وأقام في الأُذنِ اليُسرى، ثمّ وضعه في حِجْرِه وبكى. فقالت أسماء: فداكَ أبي وأمّي، مِمَّ بكاؤك؟! قال: **علَى ابني هذا**، قلت: إنّه ولد الساعة! قال: **يا أسماء، تقتلُه الفئةُ الباغية من بعدي، لا أنالَهُمُ اللهُ شفاعتي**. ثمّ قال: **يا أسماء، لا تُخْبِري فاطمةَ بهذا؛**

(١) بحار الأنوار ٤٤ : ٢٤٥/ ح ٤٤ عن صاحب الدُّرّ الثمين.

**فإنّها قريبةُ ولادة**[1].

ويقول العالِمُ الحنفيّ أبو المؤيَّد الموفّق الخوارزميّ في كتابه (مقتل الإمام السبْطِ الشهيد ج١ ص١٦٣): ولمّا أتى على الحسين من ولادتِه سنةٌ كاملة، هبط على رسول الله ﷺ اثنا عشرَ مَلَكاً مُحْمرّةً وجُوهُهم، قد نَشروا أجنحتَهم وهم يقولون: يا محمّد، سيَنزلُ بولَدِك الحسينِ ما نزل بهابيلَ من قابيل، وسيُعطى مِثْلَ أَجْرِ هابيل، ويُحمَلُ على قاتلِه مثْلُ وِزْرِ قابيل ... قال: ولم يبقَ في السماءِ مَلَكٌ إلّا ونَزَل على النبيّ يُعزّيه بالحسين ويُخبرُه بثوابِ ما يُعطى ويَعرِض عليهِ تُربتَه، والنبيّ يقول: **اللهمَّ اخذُلْ مَنْ خَذَلَه، واقتُلْ مَن قَتَلَه، ولا تُمتّعْه بما طَلَبَه**. ولمّا أَتت على الحسين مِن مولدِه سنتانِ كاملتان خرج النبيّ في سفر، فلمّا كان في بعض الطريق وَقَف فاسترجَعَ ودَمِعتْ عيناه، فسُئِلَ عن ذلك فقال: **هذا جبرئيل يُخبرني عن أرضٍ بشاطئ الفرات يُقال لها «كربلاء»، يُقتَلُ فيها وَلَديَ الحسينُ ابن فاطمة**، فقيل: مَن يقتلُه يا رسولَ الله؟! فقال: **رجلٌ يُقالُ له «يزيد»، لا بارَكَ اللهُ في نفسِه!**

وفي كتاب (الفتوح) لابن أعثم الكوفيّ: ... ثمّ رَجَع النبيُّ من سفرِه ذلك مَغموماً ثمَّ صَعد المِنبرَ فخَطبَ ووعظ، والحسينُ بن عليّ بين يَدَيهِ مع الحسن، قال: فلمّا فَرَغ من خُطبته وضع يدَه اليُمنى على رأس الحسن واليسرى على رأس الحسين، ثمّ رفع رأسَه إلى السماء فقال: «**اللهمَّ إنّي محمّدٌ عبدُك ونبيُّك، وهذانِ أطائبُ عترتي، وخِيارُ ذُرّيّتي وأُرومتي، ومَن أُخلِّفُهم في أُمّتي، اللهمّ وقد أخبَرَني جبرئيلُ بأَنَّ وَلَدي هذا مقتولٌ مخذول، اللهمّ فبارك له في قتلِه، واجعلْهُ مِن ساداتِ الشهداء، إنّك على كلّ شيءٍ قدير، اللهمّ ولا تباركْ في قاتلِه وخاذِله**». قال: وضَجَّ الناسُ في المسجد بالبكاء، فقال النبيّ:

---

(١) روضة الواعظين: ١٥٤.

«**أتبكونَ ولا تَنصرونه! اللهمّ فكُنْ أنت له وليّاً وناصراً**»[١].

* * *

وكذلك عُقِدَت مثلُ هذه المآتم في بيت أمّ المؤمنين أُمِّ سَلَمة، وفي بيت عائشة وزينبَ بنت جَحْش، وفي دار الإمام عليّ عليه السلام، وغيرها من الدُّورِ والأماكن، وبكى الأنبياءُ والأولياءُ سيّدَ الشهداء أبا عبد الله الحسين عليه السلام قبل مَولده وفي حياته، فكيف لا نبكي ولا نعقد المجالسَ والمآتم حُزْناً على مقتله المُفْجِع؟!

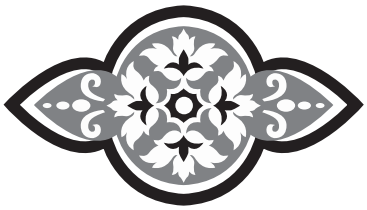

(١) الفتوح ٤ : ٣٢٥.

حَـيِّ قـبراً بكـربـلا مُسْتَنيرا ضَـمَّ كنزَ التُّقى وعِـلْـماً خطيرا
وأقِـمْ مأتـمَ الشهيدِ وأذرِفْ مِنكَ دَمْعـاً في الوجنتَينِ غزيرا
والـتَـثِـمْ تُـربـةَ الحسين بِشَـجْـوٍ وأَطِـلْ بعـدَ لَـثْـمِـكَ التَّـعْـفيرا
ثـمّ قُـلْ: يـا ضريـحَ مَـولايَ سُقّيتَ منَ الغَيثِ هامياً جَمْهَريرا
تِـهْ على سائر القبور فقد أصـ ـبحْتَ بالتِّيهِ والفَخارِ جَديرا
فـيـكَ ريحـانـةُ الـنـبـيِّ ومَـنْ حَـلَّ مِـن المُصطفى محَـلاً أَثـيرا
فيكَ يـا قـبرُ كـلُّ حِـلْـمٍ وعِـلـمٍ وحـقـيـقٌ بـأن تـكـونَ فَـخُـورا
فيكَ مَـن هَـدَّ قتلُه عـمَـدَ الدِّيـ ـنِ وقـد كـانَ بـالهُـدى مَعمورا
آهِ وا حـسرتي لَـه وهْـوَ بالسَّيـ ـفِ نحيرٌ.. أُفْدِيتُ ذاكَ النَّحيرا
آهِ إذ ظـلَّ طَـرْفُـه يَـرمـقُ الفِسـ ـطاطَ خَوفاً على النساءِ غيورا[1]

***

آهٍ وألفُ آه، وحسراتٌ تجرُّ حسرات، وزَفَراتٌ حرّى تَتْبعُها زفرات، على ذلك المُصابِ العظيم، الذي أبكى الأنبياء مِن أوّل الخليقة، وكَسَر اسمُ صاحبِه قلبَ آدم عليه السلام وأسالَ عَبرتَه. ولَقَد أفزَعَت أرضُ كربلاء نوحاً عليه السلام إذ أَخَذَتْه حتّى خاف الغَرَق، وأَهْوَت بإبراهيم عليه السلام فرسُه حتّى شُجَّ رأسُه وسال دمُه، فاستغفر عليه السلام، ثمّ أُعلِمَ أنْ هنا يُقتل سِبطُ خاتمِ الأنبياء، وابنُ خاتمِ الأوصياء، فسال دمُك موافقةً لدمه. كما أُخبِر ولدُه

(١) الأبيات لابن حمّاد العبديّ، كما في: الغدير ٤ : ١٦٤.

إسماعيلُ عليه السلام عن سببِ امتناع أغنامِه عن شُرب الماء من مشرعةِ شطِّ الفرات. وجُرِح موسى عليه السلام في تلك الأرض، فلما سأل أُوحيَ إليه أَنْ هنا يُقتَل الحسين عليه السلام، وهنا يُسفَك دمُه، فسال دمُك موافقةً لدمه. وكذلك أُخبِر النبيُّ المصطفى صلى الله عليه وآله فحزن حزناً شديداً.

فسِبطُ خاتم الأنبياء والمرسلين، وابنُ سيّد الوصيّين، وقد حَزِن عليه وبكاه الأنبياء، ومنهمُ المصطفى صلى الله عليه وآله، كيف لا نبكيه ولا نحزن عليه، ولماذا لا نُقيم مآتمَ العزاء لمصيبته التي أبكَت أقربَ خَلْقِ الله إلى الله قبلَ أَن تَقَع؟!

***

بعد مقتله.. أقامَت زينبُ سلام الله عليها أوّلَ مأتمٍ على جسدِ أبي عبد الله الحسين سلامُ الله عليه، هي والعلَويّاتُ ومَن بقيَ معها مِن الأرامل والأيتام، وذلك بعد شهادته وقُبيلَ الرحيل مأسورينَ إلى الكوفة. ثمّ عاد الإمامُ زين العابدين عليه السلام صبيحةَ الثالث عشر من المحرّم ليدفنَ أباه، بعد أن تُرِك ثلاثةَ أيّام بلا دَفْن، ولمّا فرغ مِن مُواراةِ أجسادِ الشهداءِ جميعاً، عَرَّف رهطاً مِن بني أسدٍ كانوا هناك بمواقعِ قبور الأصحابِ والهاشميّين وأبي الفضلِ العبّاس وحبيبِ بن مظاهر، وطلب إليهم أن يقوموا بضيافةِ الزائرين وتعريفِهم بالقبورِ وأصحابها.

ثمّ كانت المآتمُ تُقام عند القبر الشريف، وقد وصل الصحابيُّ الجليل جابر بنُ عبد الله الأنصاريّ رضوان الله عليه في اليوم التاسع عشر من صفر إلى ساحة الطفّ وهو مُصطحِبٌ رجلاً يقال له «ابنُ عطيّة»، فزار قبر الإمام الحسين عليه السلام، ثمّ توجّه إلى قبور الشهداء فسلّم عليهم. وفي اليوم الثاني أي في العشرين مِن صفر كانت زيارة الأربعين، بعد عودة الرَّكْبِ الحسينيّ يتقدّمُه الإمامُ زين العابدين عليه السلام وزينبُ الكبرى والعيال والأطفال والأرامل، بعد عودتهم من الشام وقبل تَوجُّهِهم إلى المدينة المنوّرة، فكان لقاءُ جابر بالإمام زين العابدين عليه السلام ليستمعَ إلى مُجْرَيات ما حدث في ساحةِ الطفِّ يوم

عاشوراء، فكان البكاءُ والعزاء، وكان المأتمُ الكبير المَهيب.

***

أمّا أمُّ البنين «فاطمةُ بنتُ حِزام» زوجةُ أمير المؤمنين ﷺ، وأمُّ العبّاسِ وإخوته، فإنّها حينما أخبرها بِشْرُ بن حَذْلَمَ بشهادةِ أولادِها الأربعة صاحتْ: وَيْحَك! لقد قطّعتَ نياطَ قلبي، أخبِرْني عن الحسين أهُوَ حيٌّ أم لا؟! فقال لها ينعاهُ إليها: عظّمَ اللهُ لكِ الأجرَ بأبي عبدِ الله. فرَجَعتْ مُوَلْوِلةً صارخة، ووقَفَتْ على بابِ دار الحسين ﷺ، ولسانُ الحال يقول:

أَلا لا تُــزانُ الــدّارُ إلا بأهلِها عَلَى الدارِ مِن بَعدِ الحسينِ سَلامُ [1]

ثمّ أقامَت سلامُ الله عليها مجالسَ العزاء على الإمام الحسين ﷺ، حيث اجتمع عندَها نساءُ بني هاشم يَنْدبْنَ أبا عبد الله الحسين سلام الله عليه وأهلَ بيته الأبرار.

***

وكانت خُطَبُ العقيلةِ زينب بنت عليّ ﷺ في الكوفة والشام، وخطبةُ الإمام زين العابدين ﷺ في قصر يزيد، وبعضُ اللّقاءات بالناس ولو على عُجالة، هي مآتمَ ذُكِرَت فيها المصيبةُ التي حَلَّتْ بأهل بيتِ النبوّة، حتّى إذا اقتربَ الإمام زينُ العابدين سلامُ الله عليه من المدينة المنوّرة بعد إطلاق سراحِه وسراحِ الرَّكْبِ الحسينيّ، وبعد زيارة كربلاء، أقامَ خارجَ المدينة، ثمّ دعا بِشْرَ بنَ حَذْلم أن ينعى الحسينَ ﷺ وصَحْبَه إلى أهل المدينة، ففعل الرجل وهَبَّ الناسُ مذعورينَ والأسى يستبدُّ بهم، وحينما تَجَمْهروا عند الإمام خَطَبَهم مُوضِّحاً تلك المأساةَ التي نَزَلَت بأهل بيتِ الوحي. ثمّ سار ﷺ بأهله، ودخل المدينة، فكانت المآتمُ لا تنقطع، حتّى أنّ والي المدينة عمرَو بنَ سعيد كتبَ إلى يزيد بن معاوية يُعْلمُه بأنّ زينبَ ﷺ أخَذَتْ تُؤلّب المدينةَ للنهوض والأخذ بثأر الحسين ﷺ،

(١) مجموعة وَفَيات الأئمّة: ١٦٩.

فأجابه يزيد بأن يُفرِّقَ بينها وبينَهم.

***

وهكذا تجري العادةُ كلَّ عام وفي كلِّ مناسبة، فتُقام المآتمُ والمجالس لمصيبة الطفِّ الكبرى، وكان أئمّةُ أهلِ البيت عليهم السلام يَذْكرون ويُذكّرون بما جرى؛ لِينبّهُوا الناسَ إلى فاجعةِ الطفّ العظمى، كما كانوا عليهم السلام يهتمّون بِذِكْر المصيبة، ويُشجّعون الشعراءَ على تخليد صورِ كربلاء ومشاهد عاشوراء في ضمائرِ أبناءِ الأمّة، ومِن ذلك ما رُويَ أنّ شاعرَ أهل البيت دِعْبلَ الخُزاعيَّ قد زار الإمامَ الرضا عليه السلام في المحرّم، فرأى الإمامَ جالساً جِلْسةَ الحزينِ الكئيب وأصحابُه مِن حوله، فلمّا رآهُ الإمامُ مُقْبلاً قال له: «**مرحباً بك يا دِعْبل، مرحباً بِمادِحنا ومُحبِّنا، ومرحباً بناصرِنا بيدِه ولسانِه**». فوسّع عليه السلام له في مجلسه وأجلسه إلى جنْبِه، ثمّ قال له: «**يا دِعْبل، أُحبُّ أن تُنشِدَني شِعْراً؛ فإنّ هذه الأيّامَ أيّامُ حزنٍ كانت علينا أهلَ البيت، وأيّامُ سرورٍ كانت على أعدائنا، خصوصاً بني أميّة. يا دِعْبل، مَن بَكى وأبكى على مُصابِنا ولو واحداً، كان أجرُه على الله تعالى ...**». ثمّ نهض عليه السلام كما يروي دعبل نفسُه ـ: وضربَ سِتْراً بينَنا وبين حَرمِه، وأجلسَ أهلَ بيته مِن وراءِ السِّتْر لِيبكوا على مُصابِ جَدِّهمُ الحسين عليه السلام، ثمّ التفتَ إليَّ وقال لي: «**يا دعبل، إرْثِ الحسين؛ فأنتَ ناصرُنا ومادحُنا ما دُمتَ حيّاً، فلا تُقصِّرْ عن نصرِنا ما استَطعتَ**». **قال دعبل: فاستعبرتُ وسالَتْ عَبرتي...**» [1]. وقال دعبل أيضاً: يا ابنَ رسولِ الله، إنيّ قلتُ فيكم أهلَ البيت قصيدة، وآليتُ على نفسي ألّا أُنشِدَها أحداً قبلَك. فقال عليه السلام: «**هاتِها**». فأنشدَ دعبل:

تَجاوَبْنَ بالأَرنانِ والزَّفراتِ نوائحُ عُجْمُ اللَّفظِ والنَّطِقاتِ

(١) يُنظَر: بحار الأنوار ٤٥ : ٢٥٧ / ح ١٥، والعوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٥٤٥ / ٣، ومستدرك سفينة البحار ٣ : ٢٨٠.

يُخبِّرنَ بالأنفاسِ عن سِرِّ أنْفُسٍ أُسارى هوىً ماضٍ وآخَرَ آتِ
فأَسْعَدْنَ أو أَسْعفْنَ حتّى تقوّضتْ صُفوفُ الدُّجى بالفَجْرِ مُنْهزِماتِ[1]

فكانت القصيدةُ وهي حوالَي مئةٍ وخمسةَ عشرَ بيتاً مأتماً كبيراً ضَجَّ بالبكاء والعويل، وقد أبانَت عن حالِ المُوالينَ وهم يتصوَّرون فاجعةَ الطفّ، فيبعثون آهاتِهم نحوَ كربلاء.

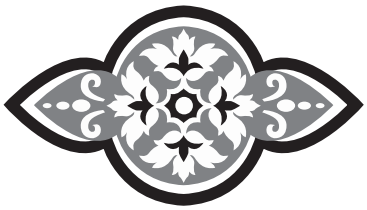

(١) بحار الأنوار ٤٩ : ٢٤٥، ٢٤٦ / ح ١٣، وديوانه: ١٢٤، ١٢٥ القصيدة ٤١، مطلع القصيدة التائيّة الفاخرة.

في كـلِّ عـامٍ لَنا بـالـعَـشْرِ واعيةٌ تُطَبِّقُ الـدُّورَ والأَرجـاءَ والسِّكَكا
يـا ميّـتـاً تـركَ الألـبـابَ حـائـرةً وبـالـعَـراءِ ثـلاثـاً جسـمُـه تُـرِكـا
ويلٌ لهم مَا أهتَدَوا منه بموعظةٍ كالدُّرِّ مُنتظِماً والتِّبْر مُنسَكِبا[1]

***

صورٌ مفجعة، وأحداثٌ مَهولةٌ جَرَت على أرض كربلاء، كلُّها حِكَمٌ وعِبَر، ودروسٌ تُربّي النَّفْسَ والقلبَ والضمير، فيجبُ أن تَمْثُلَ خالدةً أمامَ أعينِ الناس، ويجب أن تُتجدَّدَ كلَّ عصرٍ وكلَّ جيل؛ لكي لا تُنسى، ولهذا كانتِ المآتمُ ومجالسُ الحزنِ والعزاء على أبي عبد الله الحسين عليه السلام في كلِّ عام تُعقَدُ لِتُذكرَ المصائبُ الأليمة، ولِيُستفادَ منها في واقع الحياة حتّى لا يبقى مظلومٌ يركَنُ إلى ظالمِه، ولا ظالمٌ يطغى في جَوره وظُلْمِه. ولولا استمرارُ المجالس الحسينيّة لَمَا كان لواقعة الطفّ هذا الصدى العظيم عبر الأجيال، وهذا الأثر على صفحاتِ التاريخ، ولَمَا عُرِف مَن كانوا قَتَلةَ الحسين عليه السلام، أو لَشُوِّهَت وقائعها كما هو اليوم في بعض المحافل الناصبيّة التي تُناصبُ العداءَ لأهلِ البيت عليهم السلام،

---

(١) من قصيدةٍ للسيّد جعفر الحلّيّ رحمه الله، وأوّلها:

أللهُ أيُّ دمٍ في كـربـلا سُـفِـكـا لم يَجْرِ في الأرضِ حتّى أوقَفَ الفَلَكا!
وأيُّ خَيلِ ضَـلالٍ بالطفوفِ عَـدَتْ عـلىٰ حـريـمِ رسـولِ اللهِ فانتُهِكا!
يـومٌ بحاميةِ الإسـلامِ قـد نهَضَتْ لـه حَمـيّـةُ دِيـنِ اللهِ إذ تُـرِكـا

(الدرّ النضيد: ٢٣٩، ٢٤١)

حيث يُصوَّر الحسين عليه السلام وحاشاه خارجيّاً خرج على السلطان فوجَبَ قتلُه، ويُصوَّر يزيدُ الكافر الفاسق على أنّه أميرُ المؤمنين، وخليفةُ الله في الأرضين كما سمّى هزّاع الشمّريّ كتابَه (حقائق عن أمير المؤمنين يزيد بن معاوية) ـ، مع أنّ كتبَ المسلمين كلِّهم من جميع المذاهب تذكر أنّ يزيدَ بنَ معاوية كان ينشد مستخِفّاً بالإسلام بعد مقتل الحسين عليه السلام:

ليتَ أشياخي ببدرٍ شَهِدوا ... جَزَعَ الخَزْرجِ مِن وَقْعِ الأسَلْ
فأهلُّوا واستَهلُّوا فَرَحاً ... ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشَلْ
قد قَتَلْنا القِرْمَ مِن ساداتِهم ... وعَدَلْناهُ ببدرٍ فاعتدلْ
لَعِبَت هاشمُ بالمُلْكِ فَلا ... خبرٌ جاءَ ولا وَحْيٌ نَزَلْ![1]

***

وقد جاء في (المناقب والمثالب) أنّ النبيّ صلى الله عليه وآله نظر إلى معاوية يتبختر في بردة حَبْرةٍ وينظرُ إلى عِطْفَيه، فقال مخاطباً إيّاه: «**أيَّ يومٍ لأُمّتي منك! وأيَّ يومٍ سوء لذرّيّتي منك مِن جُرْوٍ (يعني ولد الكلب ويقصد به يزيد) يَخرجُ من صُلْبِك، يتّخذُ آياتِ الله هُزُواً، ويَسْتحلّ مِن حُرمتي ما حرّم اللهُ عزّ وجلّ!**»[2].

نعم، جاء هذا في كتاب (المناقب والمثالب)، كما جاء غيرُه في عشراتِ الكتب عن جميع الفِرق والمذاهب أنّ يزيدَ كان كافراً قاتلاً لِسِبطِ رسول الله، الحسينِ بنِ عليّ عليه السلام، وكان مستحلاً لحُرَمِ الله، فقد أباح لجيشه في واقعة الحَرّة استباحةَ نساء المدينة المنوّرة، وهدَمَ الكعبة كما يذكر ابن الأثير أحدُ مؤرّخي علماء السُّنّة في كتابه (الكامل ج ٤ ص

(١) كذا الأبيات في أعيان الشيعة ١ : ٦١٦، وفيه: قال الباغنديّ: وذكر الحافظ ابن عساكر أنّ يزيد لمّا وضع الرأس بين يديه جعل يتمثّل بأبيات ابن الزِّبَعْرى، وزاد يزيد (اللّعين) البيتين الأخيرين، كما رواه سبط ابن الجوزيّ عن الشَّعبيّ. وينبغي أن يكون زاد فيها البيت الثاني أيضاً، ولكنّه غير مذكور في رواية ابن الجوزيّ.

(٢) حياة الإمام الحسين عليه السلام: ١٧٩، وبهامشه: المناقب والمثالب للقاضي نعمان المصريّ المغربيّ: ٧١.

١٢٤) قائلاً: حتّى إذا مَضَت ثلاثة أيّامٍ مِن شهر ربيع الأوّل سنةَ أربعٍ وستّين هجريّة، رَمَوُا البيتَ الحرام بالمجانيق، وحرّقوه بالنار، وأخذوا يرتجزونَ ويقولون:

خَـطّـارةٌ مِـثْـلُ الـفَـنـيـقِ الْمُـزْبِـدِ نَـرمـي بِـهـا أَعـوادَ هـذا المسجدِ!

كلُّ هذا.. وشُربُه الخمر، وقتلُه وسلبُه عشرات الآلاف من المسلمين، وهو عندَ النواصب أميرهم، بل مُقتداهم، يتابعونه في كلّ عملٍ فاجرٍ كافر. فكيف لا تُقام المحافلُ المبيِّنةُ لمصيبة الطفّ، والفاضحةُ لأعمالِ المنحرفين العائدين بالناس إلى الجاهليّةِ الأولى، والمتابعين لهم من أهلِ الجاهليّةِ الأُخرى؟!

***

مِمّا رُويَ أنّ أثرَ الفاجعة الكربلائيّة لم يَزَلْ يتفاقمُ في قلوبِ أهل البيت عليهم السلام، حتّى إذا بلغَ الركب الحسينيّ مدينةَ النبيّ صلى الله عليه وآله خاطَبَتْها زينبُ العقيلة قائلة:

مـديـنـةَ جَـدِّنـا لا تَـقْـبـلـيـنـا فَـبِـالحَسراتِ والأحـزانِ جِينا
خَـرَجْـنـا مِـنـكِ بـالأهـلـينَ جَمعاً رَجـعْـنـا لا رجـالَ ولا بَـنِـيـنـا
وكُـنّـا في الخـروج بجمعِ شَمْلٍ رَجـعْـنـا حـاسريـنَ مُـسَـلَّـبـيـنـا
وكـنّـا في أمـانِ الله جَـهْـراً رَجـعْـنـا والحـسـينُ بـه رَهِـيـنـا
فـنـحـنُ الـضـائـعـاتُ بـلا كفيلٍ ونـحـنُ الـنـائـحـاتُ عـلى أخينا
ونـحـنُ الـسـائـراتُ عَـلَى المَطايا نُـشـالُ عـلى جِـمـالِ الْمُبغِضينا[1]

ثمّ أخَذَت عليها السلام بعُضادَتَيِ المسجد النبويّ وقالت بلهفة: «**يا جَدّاه، إنّي ناعيةٌ إليكَ أخيَ الحسين**». ولا زالت بعد ذلك لا تجفُّ لها دمعة، ولا تسكن لها عَبرة، وكذلك مُحِبُّو أهل البيت، لا يَنسَون هذه المصيبة، يَذْكرونها ويُذكِّرون بها، ويُقيمونَ لها المجالسَ والمآتم، يُحْيُونَ فيها ذِكْر محمّدٍ وآلِ محمّد صلواتُ الله وسلامُه عليهم أجمعين، في المحرَّم وغيره،

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ١٩٨، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٤٢٤. ويُنظَر: ينابيع المودّة ٣ : ٩٤ ٩٥.

ويكشفون الحقائق للعيون التي أعماها أهلُ الطمع والتعصّب والضلال، ويَصْدعون مُذكِّرين، وموبِّخين:

ماذا تقولونَ لَو قال النبيُّ لَكُم: ماذا فَعلتُم وأنتُم آخِرُ الأُمَمِ
بِعترتي، وبأهلي بَعدَ مُفْتقَدي مِنْهم أُساری وصَرعى ضُرِّجُوابدمِ؟
ما كان هذا جَزائي إذ نَصَحتُ لكُمْ أن تُخْلِفُوني بِسوءٍ في ذَوي رَحِمي[1]

مُذكّرينَ اليومَ مَن لا يعتبر مقتلَ الحسين ﷺ إلّا حادثةً كان سببُها الخلاف والنزاع على السلطة، ومَن يَعمى عن حقيقة كفرِ بني أُميّة وجاهليّتِهم وقتلِهم لِذرّيّةِ المصطفى، ومنهم يزيد الذي يقول فيه الكاتب المصريّ عبدُ الله العَلايليّ في كتابه (سُموُّ المعنى في سُموِّ الذات): إذا كان يقيناً أو ما يشبهُ اليقينَ أنّ تربيةَ يزيد لم تكن إسلاميّةً خالصة، أو بعبارةٍ أخرى كانت مسيحيّةً خالصة! فَلَم يبقَ ما يُستَغرَب معه أن يكونَ متجاوزاً مستهتراً، مُستخفّاً بما عليه الجماعةُ الإسلاميّة، لا يَحسِبُ لتقاليدها واعتقاداتها أيَّ حساب، ولا يُقيم لها وزناً، بل الذي يُستغرَب أن يكون على غير ذلك![2]

***

بَقِيَت بيوتُ آل الرسول مُجلَّلةً بالحزنِ والسواد، لا تُوقَد فيها النيران، يَفِدُها المُوالون المُحِبّون مُعزِّين ومُواسين، يُعبّرُ بعضُهم عن أحزانه بأبلغِ ما أُوتيَ مِن رائعةِ القول وقوّةِ البيان، حتّى كانت ثروة أدبيّة فاخرة من شعر الطفّ. وقد يُعبِّر البعضُ الآخَر عن

(١) روضة الواعظين: ١٩٢، وفيه: وخرجت أُمّ لقمان بنت عقيل بن أبي طالب حين سمعت بنعي الحسين ﷺ ومعها أخواتها أُمّ هاني وأسماء ورملة، وزينب بنت عقيل بن أبي طالب تبكي قتلاها بالطفّ وهي تقول ... (الأبيات). وكذا في الإرشاد ٢ : ٢٤٨، وفي البيت الثاني في المصدرين «ومنهم» بدل «وصرعىٰ». ومناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٦٢، وفيه «وقتلىٰ» بدل «وصرعىٰ».

(٢) الإمام الحسين، أو: سموّ المعنى في سموّ الذات لعبد الله العلايلّي: ٥٩. ويراجع: ص ٣٤٦ من الكتاب نفسه.

غضبِه وإصراره على الأخذِ بِثأْرِ الله ورسوله، فكان الثائرون مِن أمثال: المختار الثقفيّ، وإبراهيم بن مالك الأشتر النَّخعيّ، وسليمان بن صُرَد الخُزاعيّ، والمُسَيّب الفَزاريّ.

وتستمرُّ المجالسُ الحسينيّة في كلِّ العصور.. حتّى يومنا هذا وحتّى قيام القيامة، تُربّي الأجيالَ على الإيمان والولاء، والصبر والإباء، والجهادِ والغَيرةِ على الإسلام. وتستمرُّ المواكبُ الحسينيّة في كلِّ وقتٍ وزمان، تُعْلِن البراءةَ من المشركين والكافرين من أعداءِ الدِّين، ومِن قتلةِ الحسين ومُحِبّي فعلتِهمُ الفضيعة. تستمرُّ لِتفضحَ المُتقمّصين بِلباسِ الإسلام وهم يَركَنونَ إلى أئمّةِ الكفر وإلى الظالمين، ويتّخذون أعداءَ الله ورسولهِ أولياءَ مِن دونِ الله يُلْقُون إليهم بالمودّة والمطامع، ويَطيشون في عبادِ الله قَتْلاً وتشريداً وسَلْباً وهَتْكاً لحُرماتِهم.

وستبقى مجالسُ الإمام الحسين عليه السلام تُعلي كلمةَ الله، وتُركِسُ راياتِ الكفر والضَّلال والانحراف والخيانة على رؤوسِ أصحابها، وتُعلِن الغضبَ الإلهيَّ القادم على الظالمين الماضين والحاضرين والقادمين، ﴿**وَسَيَعْلَمُ الَّذينَ ظَلَمُوا أَيَّ مُنْقَلَبٍ يَنْقَلِبُون**﴾.

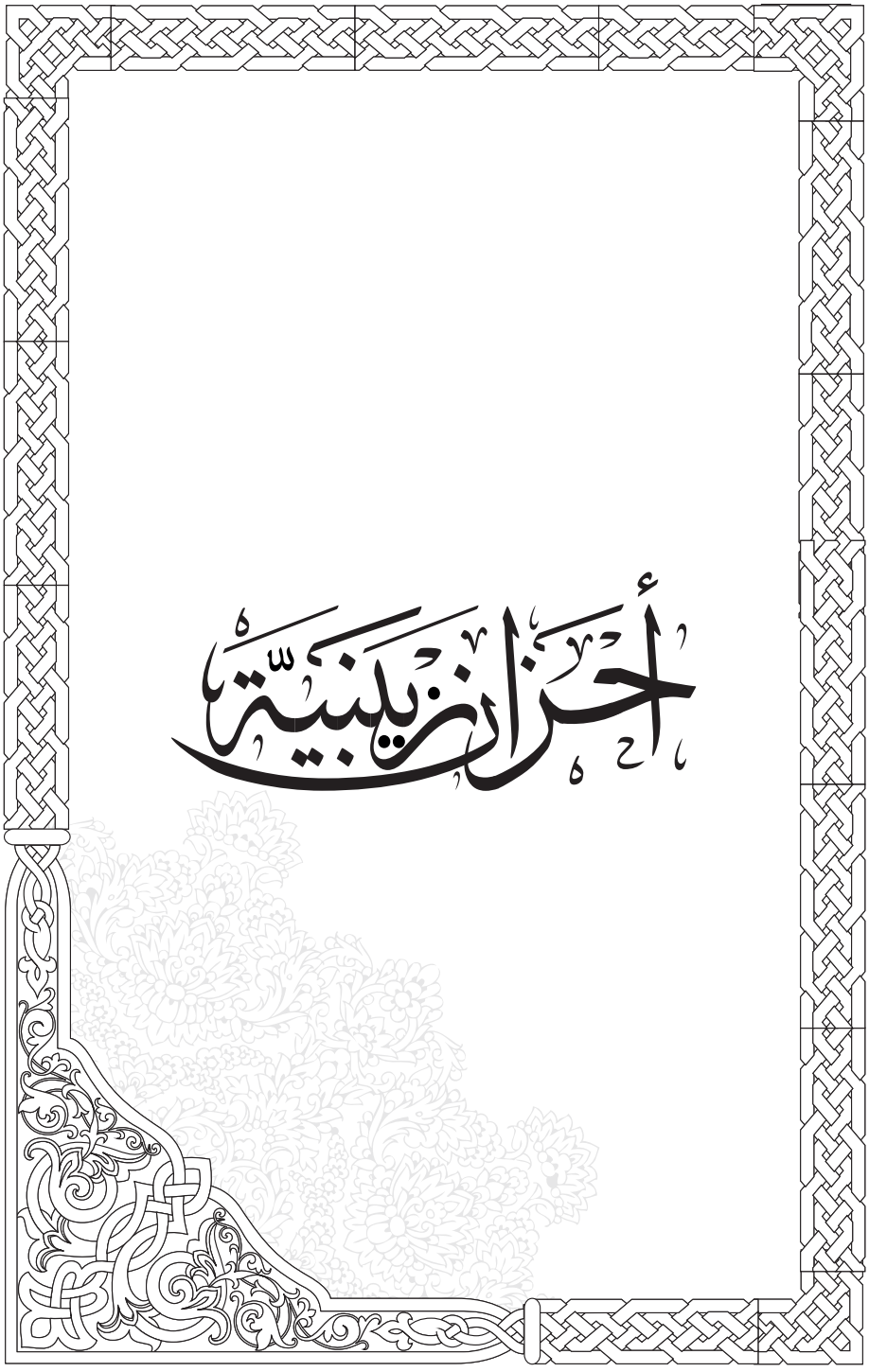
أحزان زينبية

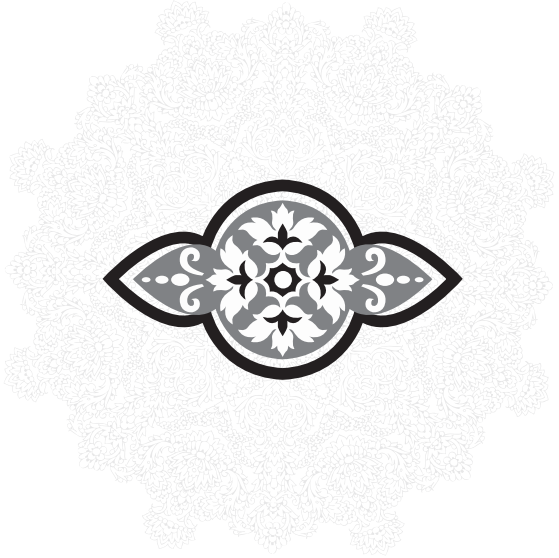

العقيلة زينب بنت عليّ، وبنت فاطمة.. العقيلة زينب حفيدةُ المصطفى محمّدٍ صلى الله عليه وآله، هي سَليلةُ الشجرةِ النبويّة، وفرعُ الدَّوحةِ الهاشميّة، ورَبيبةُ بيتِ الوحي الزكيّ (سلامُ ربّنا عليها).. فاستطالت بأصلِها المحمّديِّ العلويِّ الفاطميّ؛ شرفاً وعزّاً وجلالاً وكرامة، وخُلُقاً رفيعاً وخصالاً شريفة.. فأكبرَتْها العقولُ والنفوس، واشْرأَبّت، وتوجّهت نحوَها المآقي والعيون بنظرات التوقير والإجلال.

هي الحَوراءُ زينبُ في عُلاها ... لَتَقْصُرُ كُلُّ ذاتِ يدٍ طويلة
سليلةُ أحمدٍ مَولَى المَوالي ... ألا نِعْمَتْ لأحمدَ مِن سَليلة
بنفسي مَن حَوَتْ أسمى المَزايا ... ومَن للمَكْرُماتِ غَدَتْ خليلة
وَمَنْ يَسمُو الثناءُ بها ويَحلُو ... وأجْدَرُ بالنعوتِ المُستطيلة
فإن كَثُرتْ مَدائحُها وفاضَتْ ... تُعَدُّ بشأنِها السامي قليلة
فمهما تَبلُغُ الألبابُ عِلْماً ... فلن تُحصي مَواهبَها الجليلة
وكَم قد جاءَ برهانٌ جَليٌّ ... بعصمتِها.. وعفّتِها النبيلة
وكم قال ابنُ عبّاسٍ فَخوراً: ... عقيلتُنا.. ويا نِعمَ العقيلة!
فكانتْ في البريّةِ كنزَ طُهْرٍ ... ومَصدرَ كلِّ مَنْقبةٍ جَزيلة
إليها قد تَناهى كلُّ فَخْرٍ ... وفَضْلٍ بعدَ فاطمةَ البَتُولة
ولا عَجَبٌ إذا الباري حَباها ... صِفاتٍ في العقائِلِ مُستَحيلة
بها مِن أُمِّها الزَّهْرا سَجايا ... وشِيمةُ حيدرٍ رَمْزِ البطولة[1]

(١) زينب الكبرى: ١٧٥، والقصيدة للشيخ حسين الحاجّ وهج، يمدح فيها عقيلة الهاشميّين في

* * *

* عاشت زينبُ العقيلة في بيتِ الوحي والرسالة: بين سيّد الأنبياء، رسول الله صلى الله عليه وآله.. وسيّد الأوصياء، عليٍّ أمير المؤمنين عليه السلام.. وسيّدةِ النساء، فاطمةَ الزهراء سيّدةِ نساء العالمين. وتَرَبَّت مع أَخَوَيها الحسنِ والحسين، وهما - كما عبّر عنهما جَدُّهما المصطفى -: سيّدا شبابِ أهلِ الجنّة. فنَمتْ زينبُ سلامُ الله عليها في دارٍ تَغمُرها الأنوارُ الإلهيّة، وتحيط بها المكارمُ والأخلاق والمعارف، فنَشَأت على غايةٍ من الطُّهْرِ والعفاف والشرف الرفيع..

* كتب الشيخ عبدُ الله المامقانيّ في (تنقيح المقال) مُعرِّفاً، ومُختاراً: زينب.. وما زينب.. وما أدراكَ ما زينب! هي عقيلةُ بني هاشم، وقد حازتِ الصفاتِ الحميدةَ التي لم يَحُزْها بعدَ أُمِّها [الزهراءِ] أحد، حتّى حَقَّ أن يُقال: هيَ الصدّيقةُ الصغرى..، هيَ في الحجابِ والعَفافِ فريدة، لم يَرَ شَخصَها أحدٌ مِن الرجالِ في زمان أبيها وأَخَوَيها إلى يومِ الطفّ [1].

* قال يحيى المازنيّ: كنتُ في جوارِ أمير المؤمنين عليه السلام في المدينة مدّةً مَديدة، وبالقربِ من البيتِ الذي تسكنُه زينبُ ابنَتُه.. فلا والله ما رأيتُ لها شخصاً، ولا سَمِعتُ لها صوتاً، وكانت إذا أرادتِ الخروجَ لزيارةِ قبرِ جَدِّها رسولِ الله صلى الله عليه وآله تخرج ليلاً، والحسنُ عن يمينها والحسين عن شمالها، وأميرُ المؤمنين أمامَها، فإذا قَرُبَت مِن القبر الشريف سَبَقها أميرُ المؤمنين فأخمدَ ضوءَ القناديل، فسأله الحسنُ عليه السلام مرّة عن ذلك فقال عليه السلام: أخشى أن يَنظُرَ أحدٌ إلى شخصِ أُختِك زينب [2].

---

٢٩ بيتاً.

(١) تنقيح المقال ٣ : ٧٩ فصل النساء.

(٢) مجموعة وفيات الأئمّة: ٤٣٥ ٤٣٦، الفصل الثاني: في شرفها وعلمها وعبادتها وزهدها عليها السلام.

***

هذا ما كانت عليه زينبُ ابنةُ عليٍّ وفاطمة مِن الجلال والعَفاف، ولكنّها وهيَ الغيورةُ على الرسالة وقد رأت حرمات الله في مَهبّ المَخاطر.. مِن التحريفِ والتشويه والتضييع، نهَضَت مع أخيها الحسينِ إلى كربلاء، يُحيط بها إخوتُها وأولادها وبنو إخوتها، لِتشهَدَ تلك الواقعةَ العظمى، وتَنقُلَ إلى التاريخ ما جرى على آلِ الرسول مِن الفجائع، ولِتُكمِلَ مسيرةَ إمامِ زمانها، ناهضةً بتلك الأعباء الثقيلة والمُهمّاتِ الجسيمة، ومُتحمِّلةً بصبرها كلَّ عناءٍ وألمٍ وحزنٍ وقسوة، وكان من ذلك: الأَسْرُ المرير! وهي حفيدةُ المصطفى رسولِ الله وخاتَمِ الأنبياء. وكان مِن ذلك: أن تَبرُزَ يومَ عاشوراء، وتَخطُبَ في مجلسِ عُبيدِ الله بن زياد في الكوفة، وفي مجلس يزيد بن معاوية في الشام.. وهيَ بذلك الجلالِ المحمّديّ، والبيانِ العَلَويّ، والعفافِ الفاطميّ.. إنّها زينبُ كعبةُ الأحزان!

فكَمْ مِن خُطوبٍ أَلَمّتْ بها ... وكَمْ مِن جُروحٍ بِها بالية!
بكَتْكِ دَماً يا ابنةَ المرتضى ... مَدامعُ شيعتِكِ الجارية
أتُسْبَينَ في كربلا جَهْرةً ... وما لَكِ في نِسْوةٍ ثانية!
ويا خَفِراً أُشْبِهَتْ بالوصيّ ... وبِنتاً لأخلاقِهِ حاكية
ففيكِ سَجاياهُ قد أشرقَتْ ... وفيكِ شمائلُه زاهية
فيا بَضْعةَ المصطفى والبتول ... وكمْ لكِ مِنْ نَكبةٍ داهية!
فيوماً تَزورينَ قبرَ النبيّ ... على طِخْيةِ اللّيلةِ الداجية
يَحُفُّ بكِ المرتضى حيدرٌ ... وشِبْلاهُ في الدُّجْنةِ الغاشية
فيُخمِدُ مصباحَ قبرِ النبيّ ... أبوكِ لكي لا تُرَيْ بادية
ويوماً تُهاجِمُكِ الخيلُ في الْـ ... مُخَيِّمِ كالأسْبُعِ الضارية
فمِنْ سالبٍ لبناتِ الرسول ... ومِن نازِعِ القُرْطِ للجارية

ومِـن ضـاربٍ لِيتامَى الحسين فَـتَـبّـاً لأيْـدِيهِـمُ الجـانـيـة
أتُـنـسـى رَزايـاكِ في كـربـلا ومـا لَـكِ في الـرُّزء مِـن ثانية[1]!

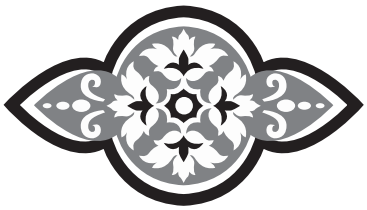

(١) مرقد العقيلة زينب عليها السلام: ٢٤٢ ٢٤٣، والقصيدة لمحمّد حسنين السابقيّ في ثلاثين بيتاً.

إنّ النفوسَ المُتطلّعة إلى المعالي، والمُتطلّبةَ طريقاً سالكاً إلى الكمال، تنتهج لها مِن أخلاقِ العظماء المتألّهين ممّا امتازوا به مِن سيرةٍ فاضلةٍ كريمة، ومواقفَ نبيلةٍ شريفة.. فتستجلي آثارَهم، وتستلهم أخبارَهم، فعلى ذكرياتهم تنهض الأُمّة لِما فيها مِن: تصحيحِ العقيدة، وتهذيبِ النفوس، واكتسابِ الفضيلة، واقتباسِ المعارف، واقتناءِ المواعظ النيّرة.

ومِن هؤلاء الذين ينبغي أن تُؤخَذَ منهم الدروسُ الكبرى: عقيلةُ الوحي وربيبة بيت النبوّة، وريحانةُ الإمام عليٍّ وفاطمة الزهراء، وشقيقةُ سيّدَي شباب أهل الجنّة: الحسن والحسين.. تلك هي زينب.. وما أدرانا مَن زينب!

هيَ زينبٌ.. لو كنتَ تَعرفُ زينبا ... شَـأَتِ الـورى أُمّـاً.. وَبَـزَّتْهـم أبا
أُختُ الحسين.. ومَن أَتَمَّت بَعدَهُ ... نَهجَ الجهاد.. وقارَعَت نُوَبَ السِّبا
درَجَتْ بِيثْربَ عندَ دارِ المصطفى ... والصَّونُ يَخفِرُها.. فسائِلْ يَثْرِبا
سَلْها عنِ الحوراءِ سَلْ عن عِزِّها ... مُـتَـقـصِّـيـاً.. ولِـمـا حَـوَتْـه مُنَقِّبا
قـد أُلهِـمَـت أسرارَ نهضةِ كربلا ... واستوعَبتْها وهْيَ في عَهْدِ الصِّبا
وتَعلَّمتْ مِـن أُمِّـهـا مكنونَ ما ... أوحَى النبيُّ لها.. وما قد غُيِّبا[1]

***

(١) من قصيدةٍ للشيخ محمّد رضا آل صادق، اشتهرت في محافل الرثاء والعزاء، وأُدرجت في بعض كتب المصائب الحديثة.

كيف يُتصوَّر أن تكون زينب صلوات الله عليها وقد وُلِدت في بيت الوحي والرسالة، ودَرَجت أربعَ سنواتٍ بين يَدَي رسول الله ﷺ، ونشأت في حِجْر أمير المؤمنين عليٍّ سلام الله عليه، ورَضَعت لبنَ العفاف والتقوى بين يَدَي سيّدة نساء أهل الجنّة فاطمة صلوات ربّنا عليها؟!

كيفَ يُتصوَّر مَقامُ زينب وهي الملقَّبة بـ «المُوثَّقة»؛ إذ وَثِقَ بها أصحابُ الكساء أهلُ بيتِ العصمة والطهارة، ثمّ وَثِقَ بها الإمامُ زين العابدين عليه السلام حتّى قال لها: «**عمّة، أنتِ بحمد الله عالمةٌ غيرُ معلَّمة، وفَهِمةٌ غيرُ مُفَهَّمة**»[1]. فكانت عليها السلام خازنةً للأسرار مُؤتَمَنةً عليها، حافظةً للودائع الإلهيّة أمينةً فيها، مُؤَدِّيةً للأمانة، مأمونةً عند الناس جميعاً مَرضيّةً لديهم، فرَوَت عن النبيّ الأكرم ﷺ وسلّم أخباراً يُبنى عليها الإسلام، وروى عنها مِثلُ ابنِ عبّاس مع وجاهته ومنزلته عند الناس حتّى إذا روى خبراً عنها قال مفتخِراً بها ومُجِلاً لمقامها: «حَدَّثَتْنا عقيلتُنا..». وفي ذلك يقول الشاعر:

وكـم قـالَ ابـنُ عـبّـاسٍ فَـخُـوراً: عقيلتُنا.. ويـا نِـعـمَ العقيلة![2]

* وكان ممّا رُوي عن العقيلةِ المكرّمة زينب الكبرى ما رواه الطبريُّ الإماميّ في (دلائل الإمامة) بسندٍ طويلٍ ينتهي إلى زينبَ بنت عليّ عليهما السلام، عن فاطمةَ بنتِ رسول الله ﷺ قالت: قال رسولُ الله ﷺ: «**أما إنّك يا عليُّ وشيعتَكَ في الجنّة**»[3].

ومِن رواياتها المهمّة ما نقله العلامة المجلسيّ في (بحار الأنوار) عن كتاب (علل الشرائع) للشيخ الصدوق بسندٍ يتّصل برجالٍ من أهل البيت عن زينب بنتِ عليّ عليها السلام، عن أُمّها فاطمة عليها السلام، رَوَت عنها خُطبتَها التي خَطَبَتها في مسجد النبيّ بعد وفاة رسول

(١) الاحتجاج ٢ : ٣١، والعوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٣٧٠، وشجرة طوبى: ٦٢.

(٢) البيت للشيخ حسين الحاجّ وهج، من قصيدة يمدح بها عقيلة الهاشميّين، مرّ ذكرها في بداية هذا الفصل.

(٣) دلائل الإمامة: ٦٧ ٦٨/ ح٤.

الله ﷺ بأيّام، فحَفِظَت زينبُ تلك الخُطبةَ الشريفةَ على طولها مِن أُمّها الزهراء، ولم تكن بَلَغت يومذاك اكثرَ مِن أربع سنين، ثمّ رَوَتها [١]، وعنها أخذها الرواة بأسانيدَ عديدة، كان منها ما انتهى إلى الشهيد زيدِ بن عليّ ابن الحسين، عن عَمَّتِه زينبَ عن فاطمة سلام الله عليها [٢]، وبسندٍ آخر رواه ابنُ أبي الحديد المعتزلّي في (شرح نهج البلاغة) [٣].

فأُخِذ كلُّ ما رُويَ عن العقيلة زينب ﷺ؛ لأنّها المرأة الجليلة الموثَّقة، والتي كان مِن ألقابها: «أمينة الله».

***

ومَضَت زينبُ العقيلة مع أخيها الحسين ﷺ، وقد ائْتَمنَها على أسرار الإمامة، ودخَلَت معه في مشاهد الطفّ المَهُولة، وعاشت تلك الفاجعةَ الأليمة التي لا تُوصَف؛ ليكونَ مِن بعض مَهامّها وهي الأمينةُ المُوثَّقة المأمونة أن تَنقُلَ للتاريخ وللأجيال ما جرى على ساحة الطفّ، وما كان وما جرى في يوم عاشوراء.. على أرض كربلاء! وكان لها خطابٌ مُدَوٍّ في الملأ في عُمق القرون وما يَزال.

فكانتْ كالأئمّةِ في هُداها ... وإنقاذِ الأنامِ مِن الضَّلالِ
وكان جهادُها بالقولِ أمضى ... مِن البِيضِ الصَّوارمِ والنِّصالِ
رَوَتْ عن أُمِّها الزهرا علوماً ... بها وصَلَت إلى حدِّ الكمالِ
مَقاماً لم تكن تحتاجُ فيهِ ... إلى تعليمِ عِلمٍ أو سُؤالِ
ونالَت رُتبةً في الفَخْرِ عنها ... تأخّرتِ الأواخِرُ والأَوالي
وشاركتِ الحسينَ بكلِّ خَطْبٍ ... يَهُدُّ الراسياتِ مِن الجِبالِ

(١) يُنظَر: بحار الأنوار ٦ : ١٠٧ في نوادر العلل ومتفرّقاتها / ح ١.
(٢) يُنظَر: دلائل الإمامة: ١٤٨/ ح٥٦، و ١٥٠/ ح٦٢.
(٣) يُنظَر: شرح نهج البلاغة ١٦ : ٢١١.

لَـئِـنْ بَـذَل الأُلى نَـصروا حُسيناً نـفـوسَـهـمُ الـكـريـمـةَ في الـنِّـزالِ
فزينبُ في رزايـا الـطَّـفِّ كانتْ تَـذوقُ المـوتَ حالاً بعدَ حـالِ[1]!

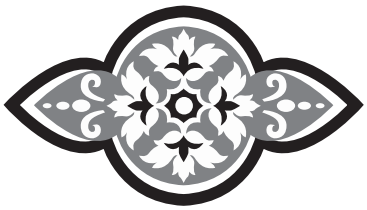

(١) الأبيات للشيخ النقديّ صاحب كتاب (وفاة زينب الكبرى). يُنظَر: مجموعة وفيات الأئمّة: ٤٤٢؛ وليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ٦٦.

يا «راويهْ».. والقلبُ ماضٍ جُرحُهُ بالفادحاتِ من المآسي القاسية
وأشَدُّها وَقعاً مصائبُ كربلا شُمُّ الجبالِ هُولِها مُتداعية
شادَ الحسينُ صُروحَ دينٍ هُدِّمَت ولِزينبٍ أوصى تُتِمُّ الباقية
فشقيقةُ السِّبطينِ حُفَّتْ بالذي عن حَملِه كلُّ الرواسي واهية
قد قابلَتْ كلَّ الخُطوبِ بِصبرِها مَهما تُحيطُ بِها الصُّروفُ العاتية
وأَتَمّتِ الصَّرحَ الذي لِبنائهِ قامَتْ عليها.. فَهْيَ أُسُّ الزاوية
بدماءِ زُمرتِها تُشَيِّدُ أُسَّهُ وتُشِيدُ أعلاهُ دموعٌ جارية![1]

***

عُرِفَت زينبُ العقيلة عليها السلام بأنّها أمينةُ الله والموثَّقة، فنقلتِ الكثيرَ من أخبار الرسالة، وممّا تَرتكز عليه أركانُ الإسلام، ولم تكن زينب الكبرى بنت أمير المؤمنين عليه وعليها السلام مُؤتَمَنَةً موثَّقةً فقط في نقلِ أخبار الرسالة والرسول، بل كانت أيضاً مؤتَمَنةً في حملِ الأمانات الإلهيّة، وقد أُودِعَت أسرارَ النبوّة والإمامة.. فيبلغ شأنُها أنّ سيّدَ شباب أهل الجنّة أبا عبد الله الحسين عليه السلام يُودِعها النفيس من أسراره، وهو صلوات الله عليه العارفُ مَن هي أختُه زينب، فيُوصيها بوصاياه قبلَ شهادته، فتكون لها النيابةُ الخاصّة عن إمام زمانها قُبَيلَ شهادته وبُعَيدَها؛ لِعلمِ سيّد الشهداء عليه السلام أنّ ولدَه الإمامَ زين

(١) مرقد العقيلة زينب عليها السلام: ٢٤١، والأبيات للسيّد محمّد مهدي الخرسان النجفيّ، من قصيدة في ٤٨ بيتاً.

العابدين سيُقعدُه المرضُ والمِحنةُ العظمى، ثمّ سيدخل خلفَ ستار التقيّة بعد أن نوى بنو أميّة ألّا يُبقُوا لآلِ البيت النبويّ مِن باقية كما صَرَّحُوا بذلك في هُجومِهم على مُخيّمِ الحسينِ عصرَ يومِ عاشوراء!

فكان على العقيلة زينب، وهي الأمينةُ المُؤتَمَنة الغيورةُ على الدين، والمُوثَّقةُ في حملِ أعباء الرسالة في مرحلةٍ خطيرةٍ حَرجة، كان عليها أن تنهض بالأمور الثِّقال، وكانت أهلاً لذلك.. فحَفِظَت ما كاد أن يَضيع، وصانت ما كاد أن يُحرَّف ويُشوَّه، وأظهرَت نهضةَ الحسين وقصّةَ شهادتِه وأهدافَها الإلهيّةَ المقدسةَ على صفحاتِ سماء التاريخ.

***

* روى الشيخ الصدوق في (إكمال الدين) عن حكيمة بنتِ الإمام الجواد عليه السلام أنّها قالت: إنّ الحسين بن عليّ عليهما السلام أوصى إلى أُختِه زينبَ بنتِ عليٍّ بنِ أبي طالب عليه السلام في الظاهر، وكان ما يَخرجُ عن عليّ بن الحسين عليه السلام مِن علمٍ يُنسَب إلى زينب بنت عليّ؛ تَستُّراً على عليّ بن الحسين عليه السلام [1].

* وكتب الشيخ الصدوق: كانت زينب لها نيابةٌ خاصّةٌ عن الحسين عليه السلام، وكان الناس يَرجِعون إليها في الحلال والحرام.. حتّى بَرِئ زينُ العابدين [2].

*وكتب الشيخ النقديّ: ومن الشرف الذي لم يقابله شرفٌ لزينب عليها السلام، أنّ الحسين عليه السلام ائتَمَنها على أسرار الإمامة [3].

* وجاء عن الشيخ المامقانيّ في كتابه (تنقيح المقال) قولُه: أنابَها السجّادُ (عليُّ بن

(١) كمال الدين وتمام النعمة: ٥٠١/ ح٢٧.
(٢) يُنظَر: زينب بنت أمير المؤمنين عليه السلام: ٧٦، وشجرة طوبى: ٣٩٢.
(٣) زينب الكبرى: ٤١.

الحسين) عليه السلام نيابةً خاصّةً في بيان الأحكام، وفي جملةٍ أخرى مِن آثار الولاية [١].

وهكذا انتظَمت أمورُ الهاشميّين مِن جهة، وأُمورُ الموالين من جهةٍ أُخرى بعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام، بما كانت عليه العقيلةُ زينب من الرأي والتدبير، والأمانةِ والغَيرة.. وقد أُوكِل إليها مِن التكاليف الإلهيّة ما يَنوءُ عنه الرجال، لكنّ إيمانَ زينب، وصبرَ زينب، وحِرصَ زينب وغَيرتَها على حِفْظ الدين والرسالة والإمامة.. كلُّ ذلك نهض بها لأن تُنجز ما أمَرَها به أئمّةُ أهلِ البيت عليهم السلام.

***

ومِثْل زينب.. وقد تربَّت في بيت الشرف والعفاف والكرامة، كان لابُدَّ أن تُعرَف بالغَيرة، غَيرتِها على الدين والرسالة، وكذا على الأهل والعيال، وعلى الإمامة الحقّة.. فلم تترك أخاها الحسينَ يَرحَل إلى كربلاء حتّى رافَقَتْه، ولم تبتعد عنه بل واسَتْه، فتحَمَّلَتِ العناءَ والآلام في رحلةٍ إلهيّةٍ فيها رِضَى الله تبارك وتعالى، وفيها حَمْلُ الأعباءِ الجسيمة؛ حُبّاً لله جلّ وعلا.

وكان على زينب العقيلة أن تعيشَ مأساةَ كربلاء بكلِّ فجائعها، ثمّ كان عليها أن ترعى الأهلَ والعيال، والأرامل واليتامى والأطفال، وأن تُسكِّنَ الجراح وتُهدِّئ النفوس وتُصبّر المَفجوعين، ثمّ تُواصِلَ النهجَ الذي مضى عليه الإمامُ أبو عبد الله الحسين صلوات الله عليه.

وَتشاطَرَتْ هيَ والحسينُ بِدعوةٍ ... حَتَمَ القضاءُ علَيهِما أنْ يُندَبا
هذا بمُشتبَكِ النُّصول.. وهذهِ ... في حيثُ معترَكُ المَكارهِ في السِّبا
بدمِ الشهادةِ إذْ أُريق.. ومَدْمعٍ ... أذْرى مَذارَ القلبِ دمعاً صَيِّبا
نَهَضا بأعباءِ الهدى ما بين مُنْـ ... ـحَطِمِ الوَشيجِ.. وبينَ مُحترِقِ الخِبا

(١) تنقيح المقال ٣ : ٧٩.

مَضَيا.. ولِابنِ المصطفى زَجُّ القَنا عن باحةِ التذكيرِ أصبَحَ مُحتَبى
وتَـلا الكتابَ بموقفٍ رامُـوا بِهِ إطـفـاءَ نـورِ الله.. لـكـنْ قـد أبى
ولِـزيـنـبٍ شَـهِـدَ الحَـزومُ بِمثْلِهِ إذْ يَمَّمَت قَفْراً.. وأمّتْ سَبْسَبا![1]

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ١٦٠، والأبيات للميرزا محمّد علي الُأوردباديّ الغرويّ، من قصيدة في ٤٩ بيتاً.

مَن هي زينبُ يا تُرى، لِنعرفَ ماذا كان لها من شرائفِ الخِصال، ومكارمِ الأخلاق وفضائلِ الفِعال.. هي السيّدة العقيلة الكبرى ذاتُ أشرفِ نَسَب، وأسمى حَسَب، ذاتُ النَّفْسِ الكاملة، والقلبِ الرُّوحانيِّ الطاهر، وذاتُ الهمّةِ العالية.. زينب، وما أدرانا مَن هي زينب!

إنّها وجودٌ قدسيٌّ سُكِبتْ فيه جميعُ الكمالات، وتعطّر بِعطْرِ جميع الفضائل والمكارمِ والحسنات، حتّى أصبحت رمزَ العبادةِ والتسليم لأمر الله والرضى بقضائه، ورمزَ الغَيرةِ والعفاف والشجاعة والبلاغة وقوّةِ الجَنان، ومثالَ الزهدِ والورع والعلم والشهامة.. بل أصبَحَت في كلّ ذلك بعد أهل بيتها الطيّبين مناراً يُهتدى به في التحلّي بأخلاق الله تبارك وتعالى، فيُستَلْهَم منها ثمارُ المعرفة، ونُصرةُ الحقِّ والدفاعُ عن حريمه المقدَّس، فهي إحدى أفلاذِ كبدِ الزهراء، وبضعةُ المصطفى سيّدِ الأنبياء، وزينةُ أبيها عليٍّ سيّد الأوصياء..

تلك العقيلةُ زينـبٌ.. تُنمى إلى ... شرفٍ يطولُ على السماءِ السامية
والبَضعةُ الـزهـراءُ فـاطِـمُ أُمُّها ... حَبتْ عليها.. وهْيَ تُدعَى «الحانية»
وإلى عـليٍّ وهْـو خـيرُ أُرومـةٍ ... نَسَبٌ تَبلّجَ كالسماءِ الضاحية
والجَـدُّ أحمـدُ مَـن أتـى بشريعةٍ ... تَهـدي الـبَرايـا، للقيامةِ باقية[1]

***

(١) مرقد العقيلة زينب عليها السلام: ٢٣٩/ ٢٤٠، من قصيدة للسيّد محمّد مهدي الخرسان النجفيّ في ٤٨ بيتاً.

* كتب الحافظ السيوطيّ الشافعيّ في «الرسالة الزينبيّة»: وُلِدَتْ زينبُ في حياة جَدِّها رسول الله ﷺ، وكانت لبيبةً جَزِلةً عاقلة، كما كان لها قوّةُ جَنان [١].

أجل.. بهذا عُرِفت زينبُ العقيلة سلام الله عليها، وقد تَلَت أهلَ بيتها في الفضائل والمكارم والمقامات المعنويّة، حتّى كان الإمام الحسين عليه السلام وهو أخوها الأكبرُ منها، وهو الإمامُ المفترَضُ الطاعة يقوم لها إجلالاً إذا قَدِمَت عليه و زارَتْه، وكان يُجلسها في مكانه إذا استقبلها كما كان يفعل رسولُ الله ﷺ مع ابنتهِ الزهراء عليها السلام.

* كتب محمّد فريد وجدي في (دائرة معارف القرن العشرين) مُعرِّفاً: هيَ زينبُ بنتُ عليّ بنِ أبي طالب، كانت مِن فُضْلَياتِ النساء وجليلاتِ العقائل [٢].

* وقال الأستاذ محمّد حسن في (رياض الأحزان): إنّ مِن كمالِ معرفةِ زينب ووفورِ علمها، وحُسْنِ أعراقها، وطِيبِ أخلاقها، كانت تُشبِه أمَّها سيّدة النساء فاطمة الزهراء في جميع ذلك.. و الخَفارةِ والحياء.. كما كانت تُشبه أباها في قوّةِ القلب في الشدّات، والثباتِ عند النائبات، والصبرِ على المُلمّات، وكانت الشجاعةُ الموروثةُ مِن صفاتها، والمهابة المأثورة من سِماتِها [٣].

* * *

* ومع فضائلها الشريفة.. كانت العقيلةُ زينب تحمل الكرمَ والإكرام، والتضحية والمواساة، والعطف والإيثار، رغمَ كلّ ما جرى عليها من صُروفٍ ورزايا ومِحَن!

* رُويَ عن الإمام عليّ بن الحسين زين العابدين عليه السلام أنّ عمّتَه زينبَ الكبرى كانت

---

(١) رجال تركوا بصمات ...: ١٦٠، وفيه: وعن الحافظ جلال الدين السيوطيّ الشافعيّ في رسالته الزينبيّة ....

(٢) دائرة معارف القرن العشرين ٤ : ٧٩٥.

(٣) يُنظَر: مجموعة وفيات الأئمّة: ٤٤٠ عن: رياض الأحزان وحدائق الأشجان.

تُؤدّي صلاتَها من قيام.. الفرائضَ منها والنوافل، وذلك عند سير القوم بهم أُسارى من الكوفة إلى الشام، ولكنّها في بعض المنازل كانت تصلّي مِن جلوس؛ لشدّة الجوع والضُّعف؛ لأنّها كانت تُقسِّم ما يُصيبُها من الطعام على الأطفال واليتامى، فتطوي جوعاً ثلاثةَ أيّام، فالقوم كانوا يدفعون لكلّ واحدٍ من الأسرى رغيفاً واحداً من الخبز في اليوم والليلة![1]

* وفي (بحار الأنوار).. كتب العلامة المجلسي: أنّ الرسول الذي سايَرَ أهلَ البيت في طريقهم من الشام إلى المدينة قد أحسَنَ صُحبتَه لهم، فلمّا قربوا مِن المدينة قالت فاطمة بنت أمير المؤمنين عليه السلام لأُختها زينب: قد وجَبَ علينا حقُّ هذا؛ لِحُسْنِ صُحبته، فهَلْ لك أن تَصِلِيه؟ فأجابتها زينب عليها السلام إلى أن تجمع ما تبقّى لديهم، فبعثوه إلى الرسول، معتذرين مِن قلّته، قائلين له:

هذا بعضُ جزائك؛ لحُسْنِ صُحبتك إيّانا[2].

وكأنّ هذا الرسول الذي أُرسل معهم دليلاً للطريق نحو المدينة، قد أُعجِب بآل رسول الله، فرأى عبادتَهم وأخلاقهم ما جعَلَه يُواليهم ويُجلُّهم، فأرجع جوابه إلى زينب وكرائم الوحي والرسالة:

لو كان الذي صنعتُه للدنيا، كان في دون هذا رِضاي، ولكن والله ما فعَلْتُه إلّا لله، ولقرابتكم مِن رسول الله[3].

فسلامٌ عليكِ يا زينبُ في الأوّلين والآخِرين، وسلامٌ عليكِ رمزاً يَفتخر به هذا الدّين، وسلامٌ وصلاةٌ عليكِ وعلى أهلِ بيتِكِ الطيّبينَ الطاهرين.

---

(١) يُنظَر: رجال تركوا بصمات: ١٦٩.

(٢) النصّ في كتاب: العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٤٤٥ عن: بحار الأنوار ٤٥ : ١٤٦، بتصّرف.

(٣) بحار الأنوار ٤٥ : ١٤٦.

* زينب العقيلة، حفيدة المصطفى.. حين وُلِدت أقبلَ عليها رسولُ الله ﷺ وأخذها في حِجْرِه الشريف، واختار اسمَها بوحيٍ من الله تعالى، وهنّأه جبرئيلُ بولادة هذه البنت الطاهرة، زهرةٌ مُونِقة طَلَعَت في منبت الوحي الطيّب، ففاح عبيرُها في أرجاء البيتِ العلويّ، وقد شُوهِدَ النبيُّ ﷺ وقد اخْضَلّت لحيتُه المباركة بالدموع؛ لِعلمِه بما ستُواجِهُه هذه المولودةُ من مآسٍ هائلة، لكنْ ستتحمّلها بكلِّ صبرٍ وسلوى.. ثمّ أدناها مِن فمه الشريف فامتَصَّت زينبُ لسانَ جَدِّها المصطفى مستفيضةً من ذلك المنبع الطاهر المتفجّر عن المعارف والأذكار القُدسيّة، فاغْتَذَت بغذاءِ العلم والفضل والكرامة والأخلاقِ الرفيعة، ونشَأَت نشأةً قُدسيّة، ونَمَت نُموّاً رُوحانيّاً.

***

دَرَجت زينبُ بنت عليّ بين الخمسة أهلِ البيت أصحابِ الكِساء، وفي ظِلالِهِمُ النورانيّةِ الزاكية، حتّى شَرِبت من رحيق الفضائلِ والمزايا والمَكْرُمات والخصائص الشريفة جميعِها، إذِ الموردُ الذي عاشت فيه زينبُ العقيلة مبدأٌ فيّاض، وكان محلُّها قابلاً للفضائل والمكارم.. هو ذاك بيت النبوّة والرسالة، ومَهْبِطُ الوحي ومَعْدِنُ الرحمة، وخَزينُ العلم والخُلُقِ الإلهيّ السامق.. فكان لها ما كان من: عُلُوِّ الشأن وقُوّةِ القلب ونُصرةِ الحقّ. وتَجلْبَبَت جلابيبَ الجَلال والبهاء، وحازت المكارم، ونشأت في بيتٍ غَمَر العالَمَ بالأنوار؛ إذْ سَحَّتْ عليه سماءُ النبوّة بفُيوضٍ ربّانيّة، وعطورٍ إيمانيّةٍ عباديّة، فبلغَتْ زينبُ شأناً لا يُبلَغ في العفاف والحِلْم والكرم، والزهد والتضحية والمواساة.. وجميع

الخصال الكريمة..

وهنا نترك القلم للأستاذ حسن قاسم؛ لنرى ماذا كتب في مؤلَّفه (السيّدة زينب) مِن عبارة رائقة، مُحاولاً من خلالها التعريف بشيءٍ من فضائل العقيلة المكرَّمة زينب الكبرى صلوات الله عليها.. إلى ذلك.

* كتب الأستاذ حسن قاسم يقول:

السيّدة الطاهرة الزكيّة: زينبُ بنت الإمام عليّ بن أبي طالبٍ ابنِ عمّ الرسول صلى الله عليه وآله.. زينب شقيقةُ ريحانتَيِ الرسول، كان لها أشرفُ نَسَب، وأجَلُّ حَسَب، وأكملُ نفسٍ وأطهرُ قلب، فكأنّها صِيغَت في قالبٍ ضُمِّخ بعطر الفضائل، فالمُسْتجلي آثارَها يتمثّل أمامَ عينَيه رمزُ الحقّ ورمز الفضيلة، ورمزُ الشجاعة ورمز المروءة، وفصاحةُ اللّسان، وقوّةُ الجَنان. هي زينب.. مثالُ الزهد والورع، ومثال العفاف والشهامة، وإنّ في ذلك لَعِبْرة.

ثمّ أضاف يقول: لَئن كان في النساء شهيرات، فالسيّدة زينب أُولاهُنّ، وإذا عُدَّت الفضائل فضيلةً فضيلة.. من وفاءٍ وسخاء، وصِدقٍ وصفاء، وشجاعةٍ وإباء، وعلمٍ وعبادة، وعفّةٍ وزَهادة، فزينبُ أقوى مثالٍ للفضيلة بكلّ مظاهرها [1].

ونبقى مع الأستاذ حسن قاسم في مؤلَّفه الكريم (السيّدة زينب) حيث نقرأ في بعض صفحاتِه هذه الفقرة الواعية:

إنّ اشتهار فضائلِ زينب، والآثارِ المرْويّة فيها وعنها في كتب التاريخ، لَيُغني عن التوسّع في ترجمتها الشريفة. وبوجهٍ إجماليّ: زينب.. هي ينبوعُ فضائلَ باقيةِ الذّكْر، ولا عجَبَ إن عُدَّتِ المَثَلَ الأعلى لرمز الحقّ ومثالِ الفضيلة.. وشأنُ الحقِّ أن يستمرّ، كما شأنُ الفضيلة أن تشتهر. وقد طُبع آلُ عليٍّ على الصِّدق.. حتّى كأنّهم لا يعرفون غيرَه،

(١) زينب الكبرىٰ: ٤٦، ويُنظَر: مجموعة وفيات الأئمّة: ٤٣٦، والعقيلة والفواطم: ٢٥.

وفُطِروا على الحقّ.. فلا يَتَخطَّونَه قيدَ شعرة، فَهُم مع الحقّ، والحقُّ معهم.. يدور حيثما داروا. ولقد كانت معركة أخيها الحسينِ المظهرَ الأتمَّ للحقّ، وكانت زينب مِن هذه النهضة داعيةً للحقّ، هاتفةً بِأسمه، ونورُ الحقّ لا يُطفأ، وروحُ الصِّدقِ لا تَبيد [١].

عقيلةُ أهلِ بيتِ الوحيِ بنتُ الْـ ... ـوَصيِّ المرتضى مَولَى المَوالي
شقيقةُ سِبْطَيِ المُختارِ مَن قَدْ ... سَمَتْ شرفاً على هامِ الهِلالِ
حَكَت خيرَ الأنام عُلىً وفَخْراً ... وحيدرَ في الفصيحِ مِن المَقالِ
وفاطمَ عفّةً وتُقىً ومَجْداً ... وأخلاقاً.. وفي كرمِ الخِلالِ
ربيبةُ عصمةٍ طَهُرَت وطابتْ ... وفاقَتْ في الصفاتِ وفي الفِعالِ
وكانت في المُصلّى إذْ تُناجي ... وتَدعُو الله بالدمعِ المُذالِ
ملائكةُ السماءِ على دُعاها ... تُؤمِّنُ في خضوعٍ وابتهالِ
لها تُنمَى المكارمُ حيث كانت ... وفيها ينتهي شرفُ الخِصالِ
بأنوارِ النبوّةِ قد كساها ... وَقارُ الوحيِ هيبةَ ذي الجَلالِ
وأُبّهةُ الإمامةِ جَلْبَبَتْها ... جَلابيبَ الفضائلِ والمعالي
لها في هامةِ الجَوزاءِ بيتٌ ... رفيعُ الشأنِ سامي القَدْر عالي
بناه المصطفى وحَمى حِماهُ ... بأنفسِها الزكيّةِ خيرُ آلِ
مَحِلٌّ مَهْبِطُ الأملاكِ فيهِ ... تَنَزّهَ عن مَثيلٍ أو مِثالِ
به اللاجي يلوذُ من الدواهي ... على ما فيه مِن بُعْدِ المَنالِ
فعافَتْ كلَّ ما مَلَكَتْ يداها ... لوجهِ الله مِن نَشَبٍ ومالِ
وشاركتِ الحسينَ بكلِّ خَطْبٍ ... يَهُدُّ الراسياتِ مِن الجِبالِ![٢]

---

(١) السيّدة زينب لقاسم حسن: ٥.

(٢) الأبيات للنقديّ، كما في كتابه (زينب الكبرى: ١٧٢ ١٧٣)، من قصيدة في ثلاثة وستّين بيتاً.

وذكـرتُ إذ وقفَتْ عقيلةُ حيدرٍ مَذهولةً تُصغي لصوتِ أخيها
بـأبي التي وَرِثَـت مصائبَ أُمِّها فَـغَـدتْ تُـقـابِـلُـهـا بِـصـبرِ أبيها
لم تَلْهُ عن جَمْعِ العيالِ وحِفْظِهم بـفـراقِ إخـوتِهـا وفَـقْـدِ بَنيها[1]

***

لاقَت العقيلةُ زينب الكبرى ما لاقت من المصائب المَهُولة، والرزايا المُذْهلة، والفجائع الرهيبة، فضَحَّت وصَبَرت، وتكفّلت اليتامى والأرامل، وجَمعتِ العيالَ المشرّدين في صحراء كربلاء وحَفِظَتْهم، فكانت كأُمّها الزهراء ﷺ في نهجِها من التضحية للهّ تعالى؛ لتثبيت الحقّ، وإعلاءِ معالم الرسالة، ورفع لواء الإمامة المظلومة، فلها المِنّةُ الجمّة على كلّ معتنقي الإسلام، ولها في أعناقهم أن يَسعَوا في إحياء ذِكْرِها، والإشادةِ بمآثرها، والاستضاءة بسيرتها.. فمَن كزينب في التاريخ خاضَت غِمارَ واقعةٍ عُظمى كواقعة الطفّ، ومَن كزينب ضحّت وعانت في تلك النكبة العظمى كنكبةِ كربلاء الحسين، ومَن كزينب شَهِدَت كما شهدت يومَ عاشوراء، فصبرت..

رأتْ أطـفـالَ إخـوتِهـا عطاشى كُـؤُوسُ الحتفِ تُسقى بالنبالِ
رأت إخـوانَهـا الأبـرارَ صرعى مُجَـزَّرةً عـلى وجـهِ الـرِّمـالِ
رأتْ تـلـكَ الـوجـوهَ مُعفَّراتٍ مُـغَـيَّرةَ المـحـاسـنِ والجَـمـالِ

---

(١) ديوان السيّد رضا الهنديّ: ٤٧، والأبيات من قصيدةٍ في رثاء الحسين ﷺ، ومطلعها:

إن كـان عـنـدك عـبرةٌ تُجريها فـانـزلْ بـأرضِ الـطفِّ كي نَسقيها

رأتْ خيلَ العِداةِ تَـرُضُّ صَدراً ... لكافِلِها بمَيدانِ القتالِ
رأتْ أبياتَ آلِ الله نَهْباً ... وفيها النارُ تلهبُ باشتعالِ
رأتْ خَفِراتِ أحمدَ حائراتٍ ... حواسرَ قد بَرَزْن مِن الحِجالِ
رأتْ تلك الأيامى واليتامى ... تسيرُ إلى الشَّآمِ عَلَى الجِمالِ
رأت زينَ العبادِ يئِنُّ شَجْواً ... مِن الأغلالِ والداءِ العُضالِ
رأتْ بِيَدِ العِدى تلك الأُسارى ... وهُنَّ مُرَبَّقاتٌ بالحِبالِ
وراحَتْ للشآمِ ولا كفيلٌ ... سِواها لليتامى والعِيالِ
بكُوفانٍ رأتْ والشامِ ما لا ... يَمُرُّ من المُصابِ على خيالِ
ولم تَعْهَدْ له الأيّامُ شِبْهاً ... ولم يَخْطُرْ لذي نَظَرٍ بِبالِ[1]

***

إنّ المُواساة مِن دَأْب الأنبياء والأولياء، ومِن شِيم الأبرار والصالحين، وهي مُؤازرة المضطرّين والملهوفين والمفجوعين، وإعانتُهم وتسكينُ آلامهم. ولقد واسَتْ زينبُ الكبرى أباها أميرَ المؤمنين عليه السلام في مِحَنِه بعد مواساة الزهراء عليها السلام إيّاه، ثمّ مِن بعدِه واسَت أخاها الإمامَ الحسن المجتبى عليه السلام في أيّام الفتن والارتداد، بعدَه عاضَدَت أخاها الإمامَ أبا عبد الله الحسين عليه السلام، فما تركَتْه وحدَه أبداً، فشاركَتْه في نهضته مِن أوّلها إلى آخرها، في حياته.. وبعد شهادته، لم تَأْلُ جُهداً عن مُؤازرته ومُواساته، والتضحية على طريقه ومنهاجه الإلهيّ، فعايشَتْه في مِحَنه حتّى كانت نِعْمتِ الأُختُ المواسية لأختها، ونِعمتِ الموالِيةُ المضحّية الصابرة، أقدَمَت على ذلك وهي على يقينٍ وبصيرةٍ وإيمان، وسارت في رَكْبِ الإمام الحسين سيّدِ شباب أهل الجنّة مُصطحِبةً معها عقائلَ الوحي، ثمّ كان

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ١٧٤، للشيخ جعفر الربعيّ المعروف بالنقديّ، والأبيات المذكورة من قصيدة للمؤلِّف في ثلاثة وستّين بيتاً.

عليها أن تشهد تلك المشاهدَ الرهيبة في يوم عاشوراء، على أرضِ طفٍّ كربلاء! وكُتِب عليها أن تجلس عند تلك الضحايا وهم أشلاءٌ مُجزَّرون على صعيد المنايا، ناظرةً إلى مصارع الشهداء، وبينهم ريحانةُ المصطفى، وتَجلّى لها شخصُ النبيّ جَدِّها، وقد كُشِفَ الغطاء عن بصرها، فرأتْه واقفاً وقد قَبضَ على كريمتهِ الشريفة، ودموعُه تجري على خَدَّيه ينظر إلى وَلَده الحسين بعد نزول الفاجعة، فلم تتمالك زينبُ نفسَها حتّى أقبَلَت عليه، صارخةً تشكو إليه: **يا جَدّاه، يا رسولَ الله.. هذا حسينُك بالعراء، مُرَمَّلٌ بالدماء، مُقَطَّعُ الأعضاء، وبناتُك سبايا، وذُرّيّتُك مُقتَّلة!** (١)

***

كلُّ ذلك وَرَدَتْـه زينبُ وهي عالمةٌ به مُخْبَرةٌ بوقائعِه، فاختارَتْه؛ لأنّ ضميرها الشريف لا يتحمّل أن يُترَك وليُّ الله يعيش محنتَه وحدَه، فرافقَتْه وإن لم يَهُنْ عليها أن ترى ما سيجري من عظائم الرزايا، لكنْ عليها أن تضحّيَ وتصبر، ثمّ عليها أن تُواسيَ وتُسلّيَ المكروبين، والحيارى والمفجوعين، ثمّ إنّ عليها أن تُؤازر إمامَ زمانها وهو سيّدُ شباب أهل الجنّة، فمِن أجله تقطع الفيافي وتشهد الأهوال، وترحل في طريق السَّبْي لتحفَظَ وديعةَ الله وإمامَ زمانها زينَ العابدين عليَّ بن الحسين، ولترعى العيالَ وهُم جمعٌ من الأرامل واليتامى يتصارخون بين يَدَيها ممّا لاقَوا، فتكون لهم زينبُ كالأمِّ الحنون تمسح على قلوبهم ورؤوسهم بيد الرحمة والشفقة، وتَبُثُّ في صدورهم السكينةَ والصبر والسلوان، بعد أن تُودِّع ذلك الجسدَ الطاهر وقد رأته بتلك الهيئة الرهيبة، فحَملَته راضيةً بقضاء الله، شاكرةً لكرامة الله، قائلةً: **إلهي تقبّلْ منّا هذا القُربان**. مُلتفتةً إلى أخيها الحسين بعد الرحيل المرير عنه ولسانُ حالها يقول:

---

(١) زينب الكبرىٰ عليها السلام: ٨٦.

يـا هِـــلالاً لَمّـــا اسـتـتـمَّ كـمالاً  غـالَـه خَـسْـفُـه فـأبـدى غُـروبـا
مـا تـوهّمـتُ يـا شـقـيـقَ فـؤادي  كـان هـذا مُـقَـدَّراً مَكتـوبـا [1]

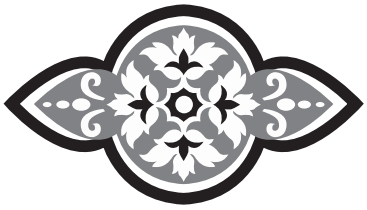

(١) مطلع الأبيات الثمانية التي قالتها زينب سلام الله عليها، كما في بحار الأنوار ٤٥ : ١١٥، وقبل الأبيات: ... فإذا هم أتَوا بالرؤوس يَقْدِمهم رأسُ الحسين عليه السلام، وهو رأس زهريّ قمريّ، أشبه الخَلق برسول الله صلى الله عليه وآله، ولحيته كسواد السَّبَج قد انتصل منها الخضاب، ووجهه دارة قمر طالع، والرمح تلعب بها يميناً وشمالاً، فالتفتت زينب فرأت رأس أخيها، فنطحت جبينها بمَقدَّم المحمل، حتّى رأينا الدمَ يخرج من تحت قناعها، وأومأت إليه بحرقة، وجعلت تقول: ... (الأبيات).

رضيعةُ الوحي.. شقيقةُ الهدى ... ربيبةُ الفضل.. حليفةُ النَّدى
ربّةُ خِدْرِ القُدسِ والطهارة ... في الصَّونِ والعَفافِ والخَفارة
فإنّها تمثّلُ الكنزَ الخَفيْ ... بالسِّتْرِ والحياءِ والتعفّفِ
مليكةُ الدنيا.. عقيلةُ النِّسا ... عديلةُ الخامسِ مِن أهلِ الكِسا
شريكةُ الشهيدِ في مَصائبِهْ ... كفيلةُ السجّادِ في نوائبِهْ
ما وَرِثَتْه مِن نبيِّ الرحمة ... جوامعُ العلمِ أُصولُ الحكمة
سِرُّ أبيها في عُلُوِّ الهِمّة ... والصبرِ في الشدائدِ المُلِمّة
ثباتُها يُنْبِئُ عن ثباتِهِ ... كأنّ فيها كلَّ مَكْرُماتِهِ[1]

***

* قد تكون الهجرة مِن ضروراتِ حفظ النفس، ولكنّ هجرةَ زينب العقيلة عليها سلامُ الله هجرةٌ رساليّة، فيها حفظُ الرسالة والدفاعُ عنها وصَونُها، وفيها من التكاليف الإلهيّة التي تُؤدّي ثمارها في المستقبل ولو بعدَ حين. فرافقت أخاها الحسينَ سيّدَ شبابِ أهل الجنّة صلوات ربّنا عليه إلى مكّةَ ثمّ إلى العراق حيث كربلاء، وصَحِبَته في سفره الخطير صُحبةَ مَن يقصد مشاطرتَه في إنقاذ الدين وخدمته وترويج أمره، وهي تُعينه في رعاية شؤون العيال من الأطفال والنساء، وصَحِبته لِتبقى معه وبعده.. تَشهدُ واقعةَ الطفّ العظمى بجميع فصولها المفجعة الرهيبة، ثمّ تجمعُ اليتامى والأرامل وهم أُسارى وتصبّرُهم فيستظلّون بها، وتمضي معهم في ذلك الركب الكئيب إلى الكوفة.. ثمّ إلى

(١) الأنوار القدسيّة: ١٣٣-١٣٤/ الرقمان ١٠٠ و ١٠١.

الشام، وهي كالجبل الأشمّ، بعد أن تخوض واقعةَ يوم عاشوراء، فتنقُلَ للناس المشاهدَ المَهُولة، وتُبيّنَ لهم الأهدافَ المقدّسة التي خرج من أجلها الإمامُ أبو عبد الله الحسين عليه السلام.

والمهمُّ في ذلك أنّها أظهرت العزّةَ الإلهيّة وهي تقوم بهذه المهمّة، فلم تسمح لكلِّ ما نزل بها وبأهل بيتها من عظائمِ المصيباتِ أنْ يؤثِّر عليها، وهذا من عظيمِ أخلاقها سلامُ الله عليها.

وكانت في هذا تساير أخاها وإمام زمانها أبا عبد الله سيّد الشهداء، حيث قال في صريح العبارة والبيان: «**وإنّي لم أخرجْ أشِراً ولا بَطِراً، ولا مُفسِداً ولا ظالماً، وإنّما خرجتُ لطلب الإصلاح في أُمّة جَدّي** صلى الله عليه وآله.. **أُريد أن آمُرَ بالمعروف وأنهى عن المنكر، وأسيرَ بسيرة جَدّي وأبي عليِّ بن أبي طالب، فمَن قَبِلَني بقبول الحقّ، فالله أَولى بالحقّ، ومَن ردّ عَلَيّ هذا أصبرُ حتّى يَقضيَ الله بيني وبين القومِ وهو خير الحاكمين**» [1].

***

* لقد أبلغَت زينبُ العقيلة كلَّ أهداف الحسين الشهيد مِن بعده، فكانت حَلْقةَ الوصل بين كربلاء والأجيال اللاحقة الممتدّة إلى يومنا هذا، وإلى ما يشاءُ الله تبارك وتعالى. فتكون سلام الله عليها قد أدخَلَت السرورَ على أخيها أبي عبد الله سيّد الشهداء في حياته، وعلى روحه الطاهرة بعد شهادته.

ولَطالما سَعَتِ العقيلةُ المكرّمة زينب.. وبكلّ إخلاص، في حفظ أخيها الحسين، في مواقفَ عديدةٍ وعصيبة، فعاضَدَته في سفرها إلى كربلاء، وآزَرَته وأعانته، ثمّ أحاطته بمحبّتها الأخويّة الشفيقة، فعند شهادة عليٍّ الأكبر كان هنالك موقفٌ حزين مفجع تدارَكَتْه زينبُ الكبرى، فرُويَ أنّها عَلِمَت أنّ الحسين إذا رأى ولدَه الأكبر مُوذَّراً على الأرض، ووقف عند جسده المقطَّع إرْباً إرباً، فارَقَت روحُه الحياة، فخرجت عليها السلام من الخيام ووصلت إلى جسد الشهيد عليّ الأكبر ابنِ أخيها الحبيب قبل أن يَصلَ إليه أبوه

(١) بحار الأنوار ٤٤ : ٣٢٩، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ١٧٩.

الحسين سلام الله عليه؛ لتُواسِيَه قبل أن يقف على الجسد الطاهر، ولتُشغِلَه عنه شيئاً ما، ومع ذلك رُئيَ أبو عبد الله الحسين يَجودُ بنفسه على وَلَده الأكبر حزناً عليه وهو يراه بتلك الحالة، وكان الأكبرُ أشبهَ الناس خَلْقاً وخُلُقاً ومنطقاً برسول الله ﷺ، فكان سَلْواه عن فراقِ جدّه المصطفى.

***

* وكان مِن تسلية زينب العقيلة ﷺ لأخيها الإمامِ الحسين ﷺ ومواساتِها له، أن تَقَبَّلت كلَّ وصاياه التي أوصاها بها وائتمَنَها عليها، فهَنِئ بذلك وسَعُد، وقد أمرَها بالصبر وشدَّ على قلبها بدعائه لها، وأكّد وصاياه لها لِتتقوّى بذلك على تحمُّل الرزايا والبلايا العظمى التي ستنهال عليها كالسيل الجارف، فكان عليها أن تنهض بالنيابة الخاصّة عن أخيها، وتحفَظَ ابنَ أخيها العليلَ زينَ العابدين، وترعى العيالَ في تلك الواقعة العصيبة، وتضحّيَ وتُواسي، وتعملَ بما أوصاها أخوها وإمامُ زمانها الحسينُ بعد شهادته، وبعدَ نزولِ النكبة الكبرى.. فكانت تُراجِعه في حياته، ثمّ لم تُطِقْ فراقَه، فراجَعَته وهو طريحُ الثَّرى بعد شهادته..

لم أنْسَ لا والله زينبَ إذْ مَشَتْ ... وهْيَ الوقورُ إليهِ مَشْيَ الْمُسْرِعِ
تدعوهُ والأحزانُ مِلْءَ فؤادِها ... والطَّرفُ يَسْفحُ بالدموعِ الهُمَّعِ
أَأَخَيَّ ما لكَ عن بناتِكَ مُعْرِضاً ... والكلُّ منك بمَنْظَرٍ وبمَسْمَعِ
أَأَخيَّ ما عوّدتَني منك الجَفا ... فَعلامَ تَجْفوني وتجفو مَن معي!
أنْعِمْ جواباً يا حسينُ أما ترى ... شِمْرَ الخَنا بالسَّوطِ أَلَّمَ أضْلُعي
فأجابَها مِن فوقِ شاهقةِ القَنا: ... قُضِيَ القضاءُ بِما جرى فاسترجِعي
وتكفّلي حالَ اليتامى وانظُري ... ما كنتُ أصنعُ في حِماهُم فاصنَعي[1]

(١) القصيدة للشيخ محمّد بن شريف الكاظميّ رحمه الله، اشتهرت على ألسن الخطباء وأُدرجت في كتب المصائب.

٨

فيا للهِّ ما لاقَتْ وقاسَتْ ... مِن الأشرارِ أربابِ الرذيلة
أتُحمَلُ فوقَ ظهرِ العُجْفِ قَسْراً ... وفِتيتُها علَى الرَّمضا جَديلة!
فأبْدَت بعد يومِ الطفِّ حَزْماً ... وما مِن حُرّةٍ أبدَتْ مَثيلَه
وحِلْماً لا يُقاسُ بِثِقْل «رضوى» ... مُحالٌ أن يَرى «رَضوى» عديلَه
لقد وَثِقَ الحسينُ بها لِكَي ما ... تقومَ بحَمْلِ أعباءٍ ثقيلة
وقد بانَت كفاءتُها لديهِ ... وأَعلنَ عن بَني الدنيا رَحيلَه
فناداها: أزينبُ أنتِ بَعدي ... لِحفظِ عوائلي كوني كفيلة
فَجُلُّ الفادحاتِ وإنْ تناهَتْ ... غَدَتْ في حزمِها السامي ضئيلة
صلاةُ الله تَتْرى كلَّ حينٍ ... عليها ما تلا الطيرُ هَديلَه[1]

***

كانت زينبُ عليها السلام صاحبةَ النيابة الخاصّة عن أبي عبدالله الإمام الحسين سلام الله عليه وآله، فأوصاها أخوها الحسينُ صلوات الله عليه بوصاياه بحفظِ إمام زمانها زين العابدين؛ لِما سيتعرّض له من المخاطر وهو عليلٌ مفجوع بشهادة والده والأعزّة من أهل بيته.. ولِعزم أعداءِ الله على ألّا يُبْقُوا لآلِ الرسول ولآلِ عليٍّ مِن باقية، فيهمّوا بقتلِه خشيةَ أن يَنهضَ بالثأرِ لأبيه وذَويه.

فسَمِعَت زينبُ العقيلة صلوات الله عليها كلّ وصايا أخيها وإمامِ زمانها وحَفِظَتْها،

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ١٧٦، من قصيدة للشيخ حسين الحاجّ وهج، في ٢٩ بيتاً.

وقبِلَتها وتعهّدت له بالعمل بها، فكانت تكظم همومَها وآلامها لِتُصبِّر المَفجوعين من العيال، والأراملِ واليتامى والأطفال، وتُداريَ ابنَ أخيها الإمامَ عليَّ بن الحسين ﷺ في طريق الأسْر ومصيبةِ السَّبي، وترعاه وتَحفَظَه.. وقد شارف على الموت فسارَعَت إلى إنقاذه مِراراً.

***

* كانت العقيلةُ زينبُ الكبرى عوناً لابنِ أخيها عليِّ بن الحسين بعد واقعة الطفّ العظمى، تُداريه وترعى عواطفه المقدّسة، وقد آزَرَته في أصعب المواقف وهي عمّتُه الحنون، فعندما مرّوا على أجساد الشهداء يومَ الحادي عشر من المحرّم وهم أسرى، فأخذوا يُوَدِّعون قتلاهم وهم على النُّوق بحسرات، ودموعٍ حَرّى وزَفَرات، وأحزانٍ وآهات، يَبُثُّون إليهم أشجـــانهم، بقيَ الإمامُ عليّ بن الحسين وهو على ناقةٍ بلا وطاء، مُقيَّداً بالجامعة، يُطيل النظر إلى بَدنِ أبيه الحسين ﷺ، ويقلّب طَرْفَه في ساحة المعركة فيرى أبداناً مُجزَّرةً مقطّعة، مُغسَّلةً بدماء الشهادة، مُبعثَرةً على رمضاء كربلاء، متروكةً بلا صلاةٍ ولا دفنٍ ولا مُواراة، فعَظُم عليه ذلك، واشتدّ له أسَفُه وحزنُه وحسرته، حتّى أخَذَته حالةٌ من حالات الاحتضار، فلمّا رأتْه العقيلة زينب عمّته هكذا سارعت إلى مواساته، وتَداركتْه بسؤالها: ما لي أراك تجودُ بنفسِك يا بقيّةَ جَدّي وأبي وإخوتي؟! (١)

أي أرادَتْ أن تقول له: أنت البُقيا لنا من أهلنا، فأمسِكْ على روحك الشريفة من الموت، والتفِتْ إلينا ونحن أُسارى، أفتَتْركُنا لوحدِنا وترحل أنت بهذه الفاجعة؟!

ثمّ قالت ﷺ تُسلِّيه: «**فَوَالله إنّ هذا لَعهدٌ مِنَ الله إلى جَدّك وأبيك، ولقد أخَذَ الله ميثاقَ أُناسٍ لا تَعرفُهم فراعنةُ هذه الأرض، وهُم معروفون في أهلِ السماوات، إنّهم**

(١) كامل الزيارات: ٤٤٤ ٤٤٥ مع الهامش/ ح ٦٧٤، بحار الأنوار ٢٨ : ٥٧/ ح٢٣، و٤٥ : ١٧٩/ ح ٣٠ عن: كامل الزيارات فيهما، والعوالم الإمام الحسين ﷺ: ٣٦٢.

**يجمعون هذه الأعضاءَ المقطّعة، والجُسومَ المضرَّجة، فيُوارونها، ويَنصبون بهذا الطفِّ عَلَماً لقبرِ أبيك سيّدِ الشهداءِ لا يُدرَسُ أثرُه، ولا يُمحى رسمُه على كُرور اللّيالي والأيّام، ولَيَجْهَدنّ أئمّةُ الكفرِ وأشياعُ الضَّلالِ في محوه وتطميسِه فلا يزدادُ إلّا عُلُوّاً»** (١).

* * *

* وزينبُ العقيلة، وهي المرأة الحنون الطيّبة، طالما أنقَذَت إمامَ زمانِها من القتل والموت، فكانت إلى جَنْبه لا تفارقه، وكانت تُواسيه وتُسلّيه، وتُؤازره وتقف بينه وبين السيف الذي طالما اقترب نحوَه ليقطعَ نَسْلَ آل محمّدٍ ﷺ من الأرض!

* وقد حدّثَتْ يزيدَ نفسُه اللّئيمة أن يقتل الإمامَ زين العابدين عليَّ بن الحسين ﷺ، فلم يَجِد إلى ذلك سبيلاً، إذْ رأى عمّتَه العقيلة المكرَّمة زينبَ تقفُ دونه، ولا تسكتُ عن ذلك ولا تلتفت.. وكان يزيد قد التفَتَ إلى زين العابدين ﷺ فسأله: كيف رأيتَ صُنعَ الله يا عليُّ بأبيك الحسين؟ فأجابه الإمام عليّ بن الحسين: «**رأيتُ ما قضاه الله عزّ وجلّ قبل أن يَخلُقَ السماواتِ والأرض**».

فشاور يزيدُ مَن كان حاضراً عنده في أمره، فأشاروا عليه بقتل الإمام زين العابدين ﷺ.

فنادى الإمامُ بيزيد: «**يا يزيد، لقد أشار عليك هؤلاء بخلاف ما أشارَ به جلساءُ فرعونَ عليه حين شاوَرَهم في موسى وهارون؛ فإنّهم قالوا له: أَرْجِهْ وأخاه، ولا يَقتُل الأدعياءُ أولادَ الأنبياءِ وأبناءَهم!**»، فأمسَكَ يزيدُ مُطْرِقاً.. (٢) وهو لا يرى إلى ما أُشِير عليه مِن سبيل، وتلك زينبُ واقفةٌ تَرْقُب الموقفَ عن كَثَب، ولا تَدَعُ لأحدٍ أنْ يَمسَّ زينَ العابدين ﷺ بسوء.

---

(١) يُنظَر: المصادر السابقة نفسها، مع أعيان الشيعة ١ : ٦٢٧ البناء على قبر الحسين ﷺ.

(٢) بلاغة الإمام عليّ بن الحسين ﷺ: ٩٥ من خطبة له ﷺ ذمّ بها يزيدَ بن معاوية حين دخل عليه.

بـجـلالِ أحمـدَ في مـهـابـةِ حـيـدرٍ ... قـد أنـجَـبَـتْ أُمُّ الأئـمّـةِ زينبا
فَـمِـنَ الـنـبـوّةِ في أسِرَّةِ وجهِها ... بَلَجٌ كمِثْلِ الشمسِ يجلو الغَيْهَبا
وتَـضُـوعُ منها لـلإمـامـةِ عَبْقةٌ ... تُطوى بنفحتِها الصحاصحُ والرُّبى
فبِمَجْمعِ الـشرفَـينِ بَضعةُ فاطمٍ ... حصَلَتْ على أُكرومةٍ عَظُمَتْ نَبا
وسَرَتْ مع الدنيا مكارمُها كما ... يَـسْري لها أرَجُ الثناءِ مع الصَّبا
حَشَدتْ مناقبُها جحافلَ فاغتَدتْ ... مِـن كـلِّ مَـنـقـبـةٍ تُحـشِّـد مَـنْـقَـبـا
ولها بمنقطَعِ الـفَـخـار مِـنَـصَّـةٌ ... كَرُمتْ بها حسَباً وفاقت مَنْصبا
وربـيـبـةُ الخِـــدْرِ المـقـدَّسِ زانَـهـا ... عِلمٌ حَـوَتْـه حَـبْـوةً.. لا مَكْسَبا
وندىً كمِثْلِ البحرِ دونَ نَفادِه الْـ ... ـيَـمُّ الخِـضَـمُّ.. ولُجُّـه أن يَنْضَبا
ومـآثـرٌ كُـثْـرَ الـنـجـومِ عِـدادُهـا ... زَهْـواً على كَـرِّ اللّيالي ما خَبا[1]

***

زينب العقيلة حفيدةُ المصطفى، وبَضعةُ المرتضى والصدّيقةِ الزهراء صلوات الله عليهم، كانت مجمعَ الفضائل والمَكْرُمات، كما عاشت في بيتٍ هو مجمعُ المناقبِ والنُّبل والشرف والمعجزات، وإلى ذلك كان ذلك البيتُ مجمعَ المصائبِ والرزايا والبلاءات.. فما أُوذِي نبيّ، مِثْلَ ما أُوذِيَ رسولُ الله المصطفى ﷺ، وما ابتُلِيَ وصيّ، بِمثْلِ ما ابتُلِيَ به المرتضى عليُّ بن أبي طالب عليه السلام. واستمرّت النوائبُ والنوازل والفجائع تَتْرى وتُصَبّ

(١) القصيدة للشيخ محمّد علي الُأردوباديّ، يُنظَر: مجموعة وفيات الأئمّة: ٤٦٧.

على هذا البيت الشريف، فَعُودِيَ وأُوذي، ولم تَنْتهِ أعمارُ أهل البيت النبويّ إلّا بالقتل، حتّى اشتهر عن رسولِ الله ﷺ قولُه: «**ما مِنّا إلّا مقتولٌ أو مسموم**» (١).

وأمامَ المصائب.. كان النبيُّ وأهل بيته أصبرَ الناس، وأكثرهم تسليماً لأمر الله، وأوفرهم شكراً للهّ ورضىً بقضائه.. وكانت منهم زينب العقيلة الطاهرة، حتّى لُقِّبت بـ «الراضية بالقضاء والقَدَر»، وحتّى كانت مِن أكمل مصاديق ذلك، تجلّى ذلك فيها عند وقوفها مع أخيها الإمام الحسين عليه السلام في نهضته المقدّسة، جَنْباً إلى جنبٍ تُشاطره همومَه وأحزانه، وذلك برحابةِ صدرٍ وطِيبِ خاطر، ومَحبّةٍ أخويّة تُزيل الهمّ، وانشراحٍ يَنمُّ عن تَقبّلِ كلِّ تكليفٍ إلهيّ، وعن رضىً بكلِّ قضاءٍ ربّانيّ.

***

* ولا تنقطع زينبُ العقيلة عن حالاتها من الرضى بقضاء الله تعالى والتسليم لأمره بعد شهادة أخيها الحسين سلام الله عليه، بل تمضي في ركاب الإمامة، حتّى إذا أمر عمرُ بن سعد بإحراقِ خيام عيال الحسين عصرَ يومِ عاشوراء؛ ليُحرِقَ مَن فيها ولا يُبقيَ لأهل هذا البيتِ من باقية من النساء الأرامل والأطفال اليتامى، أسرَعَت زينبُ بنتُ أمير المؤمنين إلى إمام زمانها زينِ العابدين تسأله عن مصيرهم وعمّا يجب عليها وعلى مَن معها تجاهَ حرقِ الخيام، فأجابها عليه السلام بأن عليكُنّ بالفِرار! أجَلْ، الفرارُ على الوجوه في آفاقِ الصحراء نجاةً بالأنفس من الحرق وسحقِ الخيول بحوافرها التي دعَسَت جمعاً من الأطفال حتّى قُتِلوا تحت الحوافر والسنابك.

ذلك هو استفتاءٌ ذو مَغزى ينمُّ عن التسليم، ثمّ عن العملِ بما يأمر الإمام، وذلك هو الرضى بعينه. وكان لزينب ذلك المقامُ الرفيع والدرجة المنيعة من التسليم والرضى معاً، وهما من المَلَكات الشريفة، والخصال الفاضلة المُنيفة، وقد بَلَغت أعلى درجاتها في

(١) كفاية الأثر: ١٦٢، بحار الأنوار ٢٧ : ٢١٧ / ح١٨، و٤٣ : ٣٦٤ / ح ٦.

أهل البيت النبيّ وآله وزينبُ منهم.

* * *

* كتب خالد محمّد خالد في مؤلَّفه (أبناء الرسول في كربلاء):

السيّدة زينب.. تلك التي جلَسَت تستقبل الضحايا وتُبصِر المصاير في تفويضٍ منها للهّ تعالى، ورضىً منها بقضائه..» [١].

نعم، هذا موقف، وموقفٌ آخرُ يرويه لنا الشيخُ المفيد في (الإرشاد) أنّ عبيدَ الله بن زياد استعرض في قصره أُسارى كربلاء يسأل عن كلِّ فردٍ منهم، حتّى بُهِت مِن وجود الإمام عليّ بن الحسين بينهم، واستغرب لذلك وكان قد أُخبر بقتلِ آل الحسين جميعاً، فسأله: مَن أنت؟ قال: **أنا عليُّ بن الحسين**. فقال: أليس قد قَتَل الله عليَّ بن الحسين! فقال له عليّ عليه السلام: **قد كان لي أخٌ يُسمّى عليّاً (أي الأكبر) قتَلَه الناس** (أي ظلماً ليس بأمر الله تعالى). فقال له ابن زياد: بل الله قَتَله. فقال عليّ بن الحسين عليه السلام: **اللهُ يَتوفَّى الأنْفُسَ حينَ مَوتِها** (أي الأجَل قَتلَه ولم يرضَ الله تعالى بذلك القتلِ ظلماً). فغَضِب ابنُ زياد وقال: وبِك جُرأةٌ لجوابي، وفيك بقيّةٌ للردِّ عَلَيّ؟! اذهبوا به فاضرِبوا عُنقَه.

فتَعلَّقت به زينب عمّته وقالت: **يا ابنَ زيادٍ حَسْبُك مِن دمائِنا!** واعتَنَقَتْه (أي ابنَ أخيها عليَّ بن الحسين) وقالت: والله لا أُفارقُه، فإن قتَلْتَه فاقتُلْني معه. فنظر ابن زياد إليها وإليه ساعةً ثمّ قال: عجَباً للرَّحِم! والله إنّي لأُظنُّها ودَّتْ أنّي قَتلْتُها معه! دَعُوه.. فإنّي أراه لِما به [٢].

وأراد ابنُ زياد أن يتشفّى، فسألها: كيفَ رأيتِ فعلَ الله بأهلِ بيتِكِ؟! فأجابَتْه زينبُ بحزم: **ما رأيتُ إلّا جميلاً، هؤلاءِ قومٌ كَتَب اللهُ عليهمُ القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم،**

(١) أبناء الرسول في كربلاء: ١٣٣ الفصل السادس: المأساة والعظمة.

(٢) الإرشاد ٢ : ١١٦ ١١٧.

**وسيجمعُ الله بينَك وبينهم فتُحاجَّ وتُخاصَم، فانظُرْ لِمَنِ الفَلَج يومئذٍ ثَكَلَتْكَ أُمُّكَ يا ابنَ مَرجانة!** [1] (ومرجانة هي عارُ آل زياد).

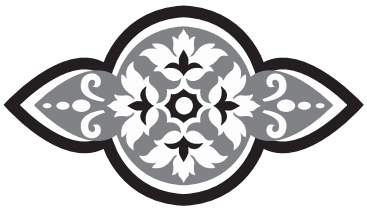

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ١١٦. ويُنظَر: مثير الأحزان: ٧١ المقصد الثالث: في الُأمور اللاحقة لقتله عليه السلام وشرح سَبْي ذرّيّته وأهله.

إذا نـابَـك الـدهـرُ لا تَـعـجَـبِ ... فليسَ عـلَى الـدهـرِ مِـن مَعتَبِ
وإن دَهَمَـتْـكَ صروفُ الزمان ... تَـذكّـرْ عـقـيـلـةَ آلِ الـنـبي
تـذكّـرْ مَـصـائـبَـهـا سَـلْـوةً ... وحُمْـرَ الـدمـوعِ عليها اسْكُبِ
فـكـلُّ الـنـوائـب تَـسـلى لـدى ... نـوائـبِ خـيرِ النِّسا «زيـنـبِ»
رأتْ خَـطْـبَ طـه نـبـيِّ الهُـدى ... بـقـلـبٍ بِـنـارِ الأسـى مُـلْـهَـبِ
وسِـقْـطَ الـبـتـولـةِ بـين الجْـدا ... رِ والْـبـابِ عَـصْراً ولم تَـرقُـبِ
وغَصْبَ الـوصيِّ وسَحْبَ الوليّ ... إلى حـيـثُ لا يـرتـضـيـه الأبي
وشـاهـدَتِ المُجتبى قـاذفـاً ... حَـشـاهُ بِـسُـمٍ لـه مُـعـطِـبِ
وناهيك أرزاؤُهـا في الطُّفوف ... فـمَـهْـما تحـدّثْـتَ لم تَـكْـذِبِ
رأتْ رهطَها صُرَّعـاً في الثَّرى ... ضـحـايـا الحِـفـاظِ ولم تَـنـدُبِ
ورأسُ الحسين وباقي الرؤوس ... تَـسـيرُ مُـقـدَّمـةَ المَـوكـبِ
أتَـلْـحَـظُ آسِرَهـا زاجِـراً ... أمِ الطفلَ مَهما بكى يُـضرَبِ؟!
أمِ الـقـيـدَ أثْـقَـلَ زيـنَ الـعـباد ... أمِ السَّوطَ يُلوى علَى المَنكِبِ؟!
أمِ الـشـتـمَ تَـسـمـعُـه جَـهْـرةً ... يُـكـوَّدُ مِـن شـامـتٍ مُـطـرِبِ؟!
رزايـا يَحـارُ لـديهـا الـصـبـور ... جـهـاداً.. ومنها يَشيبُ الصَّبي
وقـد قـابَـلتْـها بِـكَـظْـمِ الـوصيّ ... وصـبرِ الـبـتـولِ وحِـلْـمِ النبي[1]

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ١٦٥ ١٦٦، والأبيات للميرزا محمّد الخليلي النجفيّ من قصيدة في ٣١ بيتاً.

***

* زينب الكبرى رمزُ الصبر ومثالُه، فلم يَنزِل بأحدٍ من النوائب والرزايا ما نزل بها، فكانت كالجبل الأشمّ، صابرةً على أفظعِ البلاء، وشاكرةً ربَّها على أفجعِ القضاء، ومُسَلِّمةً للهّ تعالى كلَّ أمورها، راضيةً حامدة، رغم هَول المصاب الذي ألَمّ بها يومَ عاشوراء.. في أرضِ كربلاء.

ولولا علمُ الإمام الحسين عليه السلام بإيمانِ أُخته زينب ويقينها، لَمَا اصطحَبَها إلى أرض الطفّ، ولَمَا عَهِد إليها بوصاياه وجعلها نائبةً عنه في مرض ولده زين العابدين وفي تقيّته. وقد لَبّت زينبُ العقيلة نداءَ أخيها سيّدِ شباب أهل الجنّة، وتكفَّلَت، وتعهَّدَت، ووَفَت، وكانت تلبيتُها صادقةً كريمة، كما كانت مواقفها صبورةً حكيمة، فناصرَت إمام زمانها أبا عبد الله الحسين وشَدَّت على يده بالتأييد والمعاضدة والمؤازَرة، وهي التي تعلم ما سيجري ويكون، حتّى قدّمَت وَلَدَيها بين يَدَي أخيها الحسين لِيُستشهَدوا في طاعته، فاحتسبَتْهما في الله تعالى، ووقفت إلى جَنْب أخيها لا تُسْلِمُه ولا تخذله.. فسلامٌ على الأخت التي واسَتْ أخاها في مهمّتِه، وشارَكَتْه في نهضتِه.. سلامٌ على مَن ناصرتِ الحسينَ في جهاده، ولم تَضعُفْ عزيمتُها بعد استشهادِه. سلامٌ على قلبِ زينبَ الصَّبُور، ولِسانِها الشَّكور. سلامٌ على مَن تظافرتْ عليها المصائبُ والكروب، وذاقتْ من النوائب ما تَذوبُ منها القلوب. سلامٌ على مَن تجرّعتْ غُصصَ الآلامِ والمآسي، وما لا تَقوى على احتمالها الجِبالُ الرواسي، فأصبحَتْ للبلايا قِبلتَها، وللرزايا كعبتَها. سلامٌ على مَن شاطرَتْ أمَّها الزهراء، في ضُروبِ المِحَنِ والأرْزاء، ودارتْ عليها رَحى الكوارثِ والبلاء، يومَ كربلاء. سلامٌ على مَن عَجِبتْ مِن صبرها ملائكةُ السماء!

***

* إنّ مصائب العقيلة الكبرى زينب ما لا تُطيقها النفوس، ولا تَثبُتُ لها القلوب..

ولا يتحمّلها إلّا مَن كان من الأولياء الذين أُوتُوا حظّاً عظيماً من الصبر والتسليم لأمر الله تبارك وتعالى، وكانت كذلك، وقد شَهِدَت وهي في الرابعة من عمرها الشريف رحيلَ جَدِّها المصطفى، وبعد أشهرٍ قلائل شَهِدت مصيبةَ أمّها فاطمة الزهراء وشهادتها، وبعد سنواتٍ تَلَقَّت والدَها أميرَ المؤمنين عليّاً سلام الله عليه مفضوخَ الرأس محمولاً من محرابه إلى بيته، حتّى فاضَت روحه الطاهرة بعد ثلاث.. ثمّ شَهِدت أخاها الحسنَ المجتبى وهو يتقيّأ كَبِدَه المسموم قِطَعاً قطعاً، حتّى لفَظَ أنفاسَه المباركة الأخيرة بين يديها وقد عقّتْه هذه الأمّة. وأمّا كربلاء.. وما أدرانا ما كربلاء! فقد أرَتْها أهوالاً وعجائب.. فعايَنَت فيها أشلاءَ الضحايا، مجزَّرين على صعيد المنايا، ورأت فيها مصارعَ الشهداءِ مِن عشيرتِها، وإخوتِها وبني عُمومتِها، قد فرّق السيفُ بين الرؤوسِ مِنهُم والأبدان، وحرارةُ الشمس قد غَيَّرت مِنهمُ الألوان، وبينهم ريحانةُ المصطفى سيّدُ شبابِ أهلِ الجنّةِ صريعاً على الرَّمْضاء، فأجهَشَتْ بالبكاء، ونادَتْ بهذا الدعاء: إلهي تقبَّلْ منّا هذا القربان. ثمّ انثَنت شاكيةً وَجْدَها إلى جَدِّها، وهي تقول: **يا محمّداه، صلَّى عليك مَلِيكُ السماء، هذا حسينٌ بالعَراء، مُرمَّلٌ بالدماء، مُقَطَّعُ الأعضاء، يا محمّداه، وبناتُك سبايا وذرّيّتُك قَتلَى تَسْفي عليهم الصَّبَا**. فأبكتْ كلَّ صديقٍ وعدوٍّ![1]

للهّ صبرُ زينبَ العقيلة ... كم صابَرَتْ مَصائباً مَهُولة
رأَتْ مِنَ الخطوبِ والرزايا ... أمراً تَهونُ دونَه المنايا
رأتْ كرامَ قومِها الأماجدْ ... مُجَزّرينَ في صعيدٍ واحدْ
تَسفي على جسومِها الرياحُ ... وهْيَ لِذُؤْبانِ الفَلا تُباحُ
رأتْ عزيزَ قومِها صريعا ... قد وزّعوه بالظُّبا توزيعا
رأتْ رؤوساً بالقَنا تُشالُ ... وجُثَثاً أكفانُها الرِّمالُ

(١) مثير الأحزان: ٦٥.

رأتْ رضيعاً بالسِّهامِ يُفطَمُ وصِبْيَةً بعد أبيهِم أُيْتِمُوا
رأتْ شهاتَةَ العدوِّ فيها وصُنعَه ما شاءَ في أخيها [1]

(١) المقبولة الحسينيّة للشيخ هادي كاشف الغطاء: ٨٠ فصل في ذكر السيّدة العقيلة الكبرىٰ عليها السلام.

هذي النساءُ الفُضْلَياتُ وفي العُلى ... كـلٌّ أقـامَـتْ في مَـقـامٍ قَـيِّـمِ
لكنّ زينبَ في عُلاها قد سَمَتْ ... شرفـاً تـأخّـرَ عـنـهُ كـلُّ مُـقـدَّمِ
في عِـلـمـهـا، وجَـلالِـهـا، وكـمالِـهـا ... والفضلِ والنسَبِ الصريحِ الأفْخَمِ
مَـن أرضَعَتها فـاطـمٌ دَرَّ العُلى ... مِـن نبعِها.. فعَنِ العُلى لم تُفطَمِ
عن أُمِّها أخـذَتْ علومَ المصطفى ... وعـلـومَ والـدِهـا الـوصيِّ الأكـرمِ
حـتّى بهـا بـلَـغَـت مَـقـامـاً فـيـه لم ... تَحْـتـجْ لـتـعـلـيـمٍ ولا لمُـعـلِّـمِ
شَـهِـد الإمـامُ لهـا بـذاك، وإنّـهـا ... بـعـدَ الإمـامِ لَهـا مَـقـامُ الأعـلـمِ
ولَهـا بـيـومِ الـغـاضريّـةِ مَـوقـفٌ ... أنسَى الزمانُ ثباتَ كلِّ غَشَمْشَمِ
حملَتْ خُطوباً لو تَحمّلَ بعضَها ... لانهـارَ كـاهـلُ يَـذْبُـلٍ ويَـلَـمْـلَـمِ
ورأتْ مُصاباً لو يُلاقي شَجْوُها الـ ... عَذْبَ الفُراتَ كَساهُ طَعمَ العَلْقمِ
في الـرُّزْءِ شاركَتِ الحسينَ وبَعدَهُ ... بَقِيتْ تكافحُ كـلَّ خَـطْـبٍ مُـؤلِمِ
كـانـتْ لنسوتِه الـثـواكـلِ سَلوةً ... عُـظـمـى.. ولـلأيـتـامِ أرفـقَ قَـيِّـمِ
ومُصابُها في الأسْرِ حـدّدَ كـلَّ ما ... كـانـت تُـقـاسـيـه بـعـشرِ محـرَّمِ
ودخـولُ كـوفـانٍ أبـادَ فـؤادَهـا ... لكنْ دخـولُ الـشـامِ جـاء بِـأشْـأمِ

***

* لعلّ القائل بأنْ لا مثيلَ لمصائبِ زينبَ العقيلة، لا يكون مُبالِغاً أبداً.. أجل، فليس كنوائبها نوائب، ولا شبيهَ للرزايا التي عانَتْها في واقعة كربلاء وبعدَها.. حتّى

امتازَتْ عن الناس بذلك في كلّ المحن التي مرّتْ بها، ما جعَلَها نسيجَ وحدها، وسبيكةً خالصةً لا نظيرَ لها.. وقد أراد عالمٌ التعريفَ بها، فكتب متحيّراً:

هي زينب، وما أدرانا مَن زينب! هي التي حازَت من الصفات الحميدة ما لم يَحُزْها مِن بَعدِ أُمّها من النساء واحدة، حتّى حَقَّ أن يُقال: هي الصدّيقةُ الصغرى.. وهي مِن الصبر والثبات وقوّة الإيمان والتقوى وحيدة![1]

نعم.. لقد أُصيبَتِ العقيلةُ الطاهرة زينب صلوات الله عليها ببلايا لم يُصَبْ بها أحد، فامتُحِنتْ بفَقْد الأحبّة، لا بِفراقِهم ولا بوفاتِهم فحسب.. بل بقتلِهم أمامَ عينَيها بصورةٍ بشعة، وفيهم إخوتُها، وأبناءُ إخوتها شُبّاناً ورُضَّعاً.. وامتُحِنَت زينبُ بالخوف والهَلَع حين زَحَف جيشُ عمر بن سعدٍ يُحرق الخيام ويَدعس الأطفال.. وامتُحِنَت زينب الصبورة بالجوع حتّى أقعدها عن الصلاة وقوفاً في بعض منازل الشام.. وامتُحِنت بنقصِ الأنفس بفقدِ الكفيل والمُعين.. بل امتُحِنَت بكلِّ المحن والآلام والفجائع والنكبات، لكنّها وقفَتْ ومضَتْ صابرةً مُحتسِبة، ومُصبِّرةً مَن معها؛ لأنّها كانت في درجةٍ عُليا من درجات المؤمنين المتّقين، وكانت مِن أصحاب المعرفة واليقين، وكانت قد بلغَتْ درجةَ المهتدين الراضين المسلِّمين.

***

* وإذ عانَتِ السيّدةُ المكرَّمة زينبُ العقيلة شتَّى المصائب والنوائب، فقد ظَهَر منها أنواعُ الصبر والشكر والرضى والتسليم، فصَبَرت: على الطاعات في أشدِّ المواقف، وصَبَرت في الرزايا والنوازل المُفجِعة، فلم تَصْدُرْ منها أيّةُ شكوى، أو حالةُ جزعٍ أو تذمُّر، أو أيُّ أمرٍ يَنِمّ عن قلّة رضاها بقضاء الله حاشاها سلام الله عليها ــ، بل وقَفَت في وجه الطاغية عبيدِ الله بن زياد ابن أبيه لِتَرُدَّه وتُجيبَه بما يُلقمُه حَجَراً، قائلةً له: ما رأيتُ

(١) تنقيح المقال ٣ : ٧٩.

إلّا جميلاً. فاستشاط عبيدُ الله غضباً مِن جوابها [١].. وهي التي قالت لابنِ أخيها عليٍّ بن الحسين وقد رأتْه يجود بنفسه لمّا نظر إلى مشهد كربلاء يومَ الحادي عشر: لا يُجزِعنَّكَ ما ترى، فوالله إنّ ذلك لَعهدٌ مِن رسول الله ﷺ إلى جَدِّك وأبيك وعمّك! [٢]

ويكفي في علوِّ مقامِ زينب تلك الدرّة المكنونة، والجوهرة المَصونة، أنّها كانت على عظيمِ درجةٍ من الصبر والتسليم لأمر الله تعالى والرضى بقضائه ما جعَلَها تقول عندَ الجسدِ المقطَّع لوليّ الله سيّدِ الشهداء الحسين: **اَللّهمّ تَقبَّلْ منّا هذا القربان**. فقارَبتْ أمَّها الزهراءَ في الكرامات، وفي الصبر في النائبات، بحيث أُلحِقَت بالمعجزات. وكشَفَت بكلماتها تلك عن قوّة الإيمان ورسوخه، وفَنائِها في ذات الله جلّ وعلا، وعن رِفعة منزلتها عند الله تبارك وتعالى، وعن عِظَمِ صبرها الفريد.. حتّى قيل فيها: فضّلَها الله على النساء، وجعَلَها عند أهلِ العزمِ أُمَّ العزائم، وعند أهلِ الجود والكرم «أمَّ هاشم». وحتّى قيل فيها في أرجوزةٍ فاخرة:

لها مِن الصَّبْرِ على المصائبِ ... ما جَلَّ أن يُعَدَّ في العجائبِ
بل كاد أن يُلحَقَ بالمعاجزِ ... لأنّه حرفةُ كلِّ عاجزِ
وما أصابَ أُمَّها مِن البَلا ... فَهْو تُراثُها بطفٍّ كربلا
لكنّها عظيمةٌ بَلْواها ... من الخُطوب شاهدَتْ أدهاها
رأتْ هجومَ الخيلِ بالنارِ على ... خِبائها.. أو محورِ السَّبْعِ العُلى
وما رأتْ بالطفِّ مِن أهوالها ... جَلَّ عن الوصفِ بيانُ حالِها
ومَن يُطيقُ وصفَ سوءِ حالِها ... مُذْ رأتِ السِّبْطَ على رِمالِها
مُعَفَّرَ الخدِّ مُضَرَّجاً بِدَمْ ... لَهْفي على جَمالِ سُلطانِ القِدَمْ!

---

(١) يُنظَر: مثير الأحزان: ٧١، واللهوف في قتلى الطفوف: ٩٤، ولواعج الأشجان: ٢٠٩.
(٢) كامل الزيارات: ٤٤٤/ ٤٤٥ مع الهامش، وبحار الأنوار ٤٥ : ١٧٩/ ح٣٠.

وحـولَـه فِتيـانُـه عَـلَى الـثَّـرى كالشُّهُبِ الـزُّهْـرِ تَحُـفُّ القَمَرا
وشـاهـدَتْ ريحـانـةَ الـرسـولِ تَـدوسُـه حـوافِـرُ الخُـيـولِ
صدرٌ تربّى فوقَ صدرِ المصطفى تَرضُّه الخيل.. عَلَى الدنيا العَفا![1]

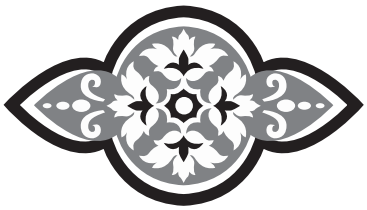

(١) للشيخ محمّد حسين الأصفهانّي، في: الأنوار القدسيّة: ١٣٤/ ١٣٦ / الرقم ١٠١ «مليكة الدنيا»، والرقم ١٠٢ «ما شاهدت».

بِنفسِي ابنةَ الزهرا عقيلةَ حيدرٍ ... وجُـلِّ قَـرابـاتي وقـلَّ الـتـقـرّبُ
لقد أشبَهَت فخراً أباها وأمَّها ... لَـقَـد أنـجبَـتْ أُمٌّ وأنـجَبَـهـا أبُ
يُـنـاطُ إلى بـيـتِ الـنـبـوّةِ بيتُها ... وأسـتـارُه بـالـنَّـيِّراتِ تُـطَـنَّـبُ
فَأينَ بناتُ الـعُـرْبِ منها، وإنّها ... لأفـصـحُ مِمّـن قـد نَـماهُـنّ يَـعْـرُبُ
فإنْ خَطَبَت فالسيفُ دونَ لسانِها ... وإنْ خاطبَتْ فالسَّمْهريُّ المدرَّبُ
لقد ألبسَتْ كوفانَ عاراً ووصمةً ... وكلُّهمُ جلبابَ خِـزْيٍ تَجَلْببوا
وقد سكَنتْ أجراسُ أنعامِهم لها ... كما ارْتَدّتِ الأنفاسُ إذ هي تَخْطبُ
ودانَ لها أهـلُ الخَطابةِ ناكِسُو ... رؤوسٍ.. وإن لم يُجْدِ فيها المؤنِّبُ
ولـكـنّـهـا أبـكَـتْ قـلـوبَهـمُ دمـاً ... بتقريعِها.. واستاءَ كَهْلٌ وأشْيبُ
لِخُطبـتِـهـا بـالـشـامِ أكـبرُ مـوقـعٍ ... بـهـا ثغرُ أبـنـاءِ الـضَّـلالِ مُقطَّبُ
لقد ألبسَتْ فيها ابنَ ميسونَ خِزْيَةً ... بها بُـرْدُ عـارٍ للقيامةِ يُسحَبُ[1]

***

* كان لابدّ بعد نهضة الإمام الحسين عليه السلام من تواصلٍ ينهض به شخصٌ من أهل البيت النبويّ، يتحلّى بخصالٍ شريفةٍ خاصّة، مِن علمٍ وهدايةٍ وتقوى، ومِن معرفةٍ وبلاغةٍ وحكمة، ومن غَيرةٍ ومعايشةٍ للوقائع التي جَرَت على سيّد شباب أهل الجنّة

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ١٦٤، والأبيات للشيخ قاسم بن الشيخ محمّد الملا الحلّي، وهي من قصيدة في ٣٨ بيتاً.

سلام الله عليه، ولمّا كان الإمام زين العابدين عليُّ بن الحسين عليه السلام يعاني من المرض الشديد والمصاب الأليم معاً، وكان يعيش في حالِ تقيّةٍ شديدة، نَهَضت العقيلةُ زينب الكبرى بتلك المهمّة العظمى بعد شهادة الإمام الحسين، مِن رعايةٍ للمفجوعين: الأطفالِ والأرامل وعوائلِ الشهداء، ومن مقارعةٍ للظالمين.. من قَتَلةٍ ومتشفّين بقتلِ سيّد الشهداء أبي عبد الله الحسين عليه السلام.

فانبرَت زينبُ وهي العفيفةُ الخَفِرة تخطبُ لِتُبيّنَ ما جرى على ساحة كربلاء، ولتكشفَ كلَّ الأقنعة عن الوجوه الجاهليّة المُتستّرةِ بالإسلام.. في بلاغةٍ كأنّها أفرغَتْها عن فمِ أبيها سيّدِ البلغاء بعد رسول الله صلى الله عليه وآله.. هكذا قال حُذَيم الأسديّ: لم أرَ والله خَفِرةً قطُّ أنطَقَ منها، كأنّها تَنطِقُ وتُفرِغ عن لسان عليّ، وقد أشارَت إلى الناس أن أنصِتُوا، فارتَدّتِ الأنفاس، وسكَنتِ الأجراس (أي أجراس الدوابّ)، ثمّ قالت بعد حمدِ الله تعالى والصلاةِ على رسولِه صلى الله عليه وآله:

**أمّا بعدُ يا أهلَ الكوفة، يا أهلَ الخَتْل، والغَدْرِ والخَذْل.. أتبكون؟! فلا رَقَأتِ العَبرة، ولا هَدَأَتِ الزَّفْرة، إنّما مَثَلُكُم كمَثَلِ التي نقَضَت غَزْلَها مِن بعدِ قُوّةٍ أنكاثاً، تتّخذون أَيمانَكُم دَخَلاً بينكم، هل فيكُم إلّا الصَّلَف والعُجْب، والشَّنف والكذْب، ومَلَقُ الإماء، وغمزُ الأعداء.. ألا بئس ما قدَّمَت لكم أنفسُكم أنْ سَخِطَ الله عليكم وفي العذابِ أنتم خالدون.. (إلى أن قالت: أتَدْرونَ وَيْلكم أيَّ كَبِدٍ لمحمّدٍ صلى الله عليه وآله فَرَيتُم، وأيَّ عَهدٍ نكثتُم، وأيَّ كريمةٍ له أبرزتُم، وأيَّ حُرمةٍ له هتكتُم، وأيَّ دمٍ له سفكتُم؟! لقد جِئتُم شيئاً إدّاً، تكاد السماواتُ يتفطّرنَ منه وتنشقُّ الأرضُ وتَخِرُّ الجبالُ هدّاً.. أفعَجِبتُم أن تمطُرَ السماءُ دماً؟! ولَعذابُ الآخرةِ أخزى وهُم لا يُنصَرون!**

**فلا يستخفّنّكُمُ المَهْل؛ فإنّه عزّوجلّ لا يَحفزُه البدار، ولا يُخشى عليه فواتُ الثار، كلا إنّ ربّك لَبالمرصاد.** ثمّ أنشأت تقول:

**ماذا تقولونَ لو قالَ النبيُّ لكُم: ماذا صنعتُم وأنتُم آخِرُ الأُممِ**
**بأهلِ بيتي وأولادي وتَكْرُمَتي مِنهم أُسارى.. ومنهم ضُرِّجُوابدمِ!**
**ما كان ذاك جَزائي إذْ نصحتُ لكُم أن تُخْلِفُوني بسوءٍ في ذَوي رَحِمي**

قال حُذَيم: فرأيتُ الناسَ حيارى قد رَدُّوا أيديَهم في أفواهِهم، فالتفتُّ إلى شيخٍ في جانبي وقد اخضَلَّت لحيتُه بالبكاء، ويدُه مرفوعةٌ إلى السماء، وهو يقول: بأبي وأُمّي! كهولُهم خيرُ كهول، ونساؤُهم خيرُ نساء، وشبابُهم خيرُ شباب، ونسلُهم نسلٌ كريم، وفضلُهم فضلٌ عظيم! (١)

***

* لقد كانت كلمات العقيلةِ المكرَّمةِ زينب صلوات الله عليها أمراً بالمعروف ونهياً عن المنكر، لا لأهل الكوفة فحَسْب، بل للأجيال جميعاً، وكانت توبيخاً للمتخاذلين وذوي الأطماع الذين باعُوا دِينَهم وآخرتَهم وكرامَتَهم للطغاة من أجل دراهم مَعدودة، وأيّامٍ عِدّةٍ عديدة، وكانت كلماتُها سلام الله عليها حِكَماً خالدةً بليغة، تُثمر في القوم يَقَظةً وندماً وتوبة، في بياناتٍ حازمةٍ مُؤنِّبة، وقوّةِ جَنانٍ فريدة ثابتة، وفصاحةٍ رائقةٍ مؤثّرة، حتّى كتب عمر أبو النصر: أمّا زينبُ بنتُ فاطمة، فقد أظهَرَت أنّها مِن أكثرِ أهل البيت بلاغةً وفصاحة، بِما أظهَرَت يومَ كربلاء وبعده من حُجّةٍ وقوّةٍ وجُرأةٍ وبلاغة، حتّى ضُرِب بها المَثَل، وشَهِد لها المؤرّخون والكُتّاب (٢). كما كتب عمر رضا كحّالة في (أعلام النساء): زينبُ سيّدةٌ جليلة، ذاتُ عقلٍ هو غاية في الكمال، ورأيٍ وفصاحةٍ وبلاغة (٣). كذا كتبت الدكتورة بنتُ الشاطئ في كتابها (بطلة كربلاء): كانت زينبُ

---

(١) يُنظَر: الاحتجاج ٢ : ٢٩ ٣١، وبحار الأنوار ٤٥ : ١٦٢ ١٦٤ / ح ٨.

(٢) فاطمة بنت محمّد ﷺ عنه: أعلام النساء (٦) زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: ٨٣ / الرقم ٢٠.

(٣) أعلام النساء لكحّالة ٢ : ٩١.

عقيلةُ بني هاشم في تاريخ الإسلام والإنسانية، بطلةً استطاعت أن تثأرَ لأخيها الشهيدِ العظيم، وأن تُسلِّطَ معاولَ الهَدْم على دولةِ بني أُميّة، وأن تُغيّرَ مَجرى التاريخ![1]

***

وأمّا الشعراء، فنترك لهم مِنبرَ الشعر، لِنسمع أحدَهم يقول في عقيلة الهاشميين سلام الله عليها:

سِرُّ أبيها في عُلُوِّ الهِمّة ... والصبرِ في الشدائدِ المُلمّة
فإنّها سُلالةُ الولاية ... ولايةٌ ليس لها نهاية
بيانُها يُفصِحُ عن بيانِهِ ... كأنّها تُفْرِغ عن لسانِهِ
فإنّها وليدةُ الفصاحة ... والدُها فارسُ تلك الساحة[2]

ونسمع الآخرَ يقول:

وعن الوصيِّ بلاغةٌ خُصَّتْ بها ... أعيَتْ برونقِها البليغَ الأخطبا
ما استرسلَتْ إلا وتَحسَبُ أنّها ... تَسْتلُّ مِن غُررِ الخَطابةِ مِقْضَبا
أو أنّها تَقتادُ مِنها فَيْلَقاً ... وتَسوقُ في زُمَرِ الحقائقِ مَوكبا
أو أنّ في غابِ الإمامة لَبوةً ... لِزئيرِها عَنتِ الوجوهُ تَهيُّبا
أو أنّها البحرُ الخِضَمُّ تَلاطَمَتْ ... أمواجُه عِلماً حِجىً بأسْاً إبا
أو أنّ مِن غَضبِ الإله صواعقاً ... لم تُلْفِ عنها آلُ حربٍ مَهْرَبا!
فَبِصدرِها ثِقلُ الإمامةِ مُودَعٌ ... وبنُطقِها زهَتِ الهدايةُ مَذْهَبا
فرمَتْهمُ مِن لفظِها بِقوارعٍ ... قد أوقعَتْ بِهِمُ البلاءَ المُكْرِبا[3]

(١) بطلة كربلاء: ١٥٣.

(٢) للشيخ محمّد حسين الأصفهانّي، في: الأنوار القدسيّة: ١٣٤/ ١٣٥/ الرقم ١٠١ «مليكة الدنيا».

(٣) زينب الكبرى عليها السلام: ١٦٠/ ١٦١، من قصيدة للشاعر الميرزا محمّد علي الُأوردباديّ الغرويّ في ٤٩ بيتاً.

شادَ الحسينُ صروحَ دِينٍ هُدِّمتْ ... ولِـزيـنـبٍ أوصى تُـتِـمُّ الباقية
فَشقيقةُ السبطَينِ حُفَّتْ بالذي ... عَـنْ حَمْـلِـه كـلُّ الـرواسي واهية
كم مَـوْقـفٍ بالشامِ لم تَـضْرَعْ بِهِ ... صَـكَّـت بـهِ أَسـماعَ ذاكَ الطاغية
وأَذلّــتِ الـنَّـفَـرَ الـلِّـئـامَ بِقيلِها ... فعَنَتْ لها بـالـذُّلِّ تلك الناصية
وَصَمَتْهُمُ العارَ الشَّنارَ بِخُطبةٍ ... حتّى هَـوَوا أَعْجازَ نَخْلٍ خاوية
فصلُ الخطاب.. ويا لَهُ مِن حُجّةٍ ... صَفَعَتْ بها تلك الجباهَ العاتية
فحروفُ خُطْبتِها حـروفٌ زاهية ... وبليغُ حُجَّتِها صَـواعـقُ داويـة
وتَخُـطُّ زيـنـبُ للخلودِ سُـطـورَهُ ... ومِـدادُهـا تلك المآسي الدامية[1]

***

* كان مِن الصفات الشريفة للعقيلة زينب الكبرى: غَيرتُها على الدِّين وجهادُها في سبيله، ذلك الجهادُ الذي عانَتْه بالصبرِ والمواساة، ومُداراةِ اليتامى والأرامل ورعايتِهم، وبالخُطَبِ التي كانت على أعداء الله أشدَّ من السيوفِ القواطع والرماحِ الظَّمأى والسِّهامِ النافذة في عُيونِهم.. مُواصِلةً في ذلك النهضةَ الحسينيّةَ المقدّسة، وبالغةً بها أهدافَها الإلهيّة الشريفة. وإذا كان الجهاد يتوزّع على الأيدي والأنفس والألسن والقلوب والأموال، كلٌّ له نصيبُه، فقد كان لزينبَ العقيلة نصيبُها الوافر في هذا الحقل.. فشارَكتِ الإمامَ الحسين أعباءً عظمى بعدَ ذلك، كان منها: أن تقولَ كلمةَ العدل عندَ إمامٍ جائر، وذلك

(١) مرقد العقيلة زينب عليها السلام: ٢٤١، من قصيدة للسيّد مهدي الخرسان النجفيّ في ٤٨ بيتاً.

أعظم الجهاد، لنتامّلْ في شيءٍ مِن تلك الكلمة.

* لمّا سَمِعتْ زينبُ المكرَّمة يزيدَ الطاغية يقرأ أبياتَ ابنِ الزِّبَعْرى مُتشفّياً بقتل الإمام الحسين، نهضتْ حامدةً للهّ، مصلّيةً على رسول الله، تاليةً قولَ الله: ﴿**ثمَّ كانَ عاقبةَ الَّذينَ أَساؤُوا السُّوْأى أنْ كذَّبُوا بآياتِ الله وكانُوا بِها يَسْتهزِئُون**﴾ (سورة الروم: ١٠)، قائلةً بعد ذلك، مُوجِّهةً خطابَها لشخص يزيد نفسه: **أَظَنَنتَ يا يزيد حيث أخذتَ علينا أقطارَ الأرضِ وآفاقَ السماء، فأصبَحْنا نُساق كما تُساقُ الأُسارى، أنَّ بِنا عَلَى الله هَواناً وبكَ عليه كرامة! وأنّ ذلك لِعِظَمِ خطرِك عنده؟! فشمَخْتَ بأنفِك، ونظرتَ في عِطْفِك، جَذْلانَ مَسروراً.. فَمَهلاً مهلاً، لا تَطِشْ جَهْلاً، أَنَسِيتَ قولَ الله تعالى: ﴿ولا يَحسَبَنَّ الّذينَ كفَروا أَنَّما نُمْلي لَهُم خيرٌ لأنْفُسِهم*إنّما نُمْلي لَهُم لِيَزْدادوا إثماً، ولَهُم عَذابٌ مُهين﴾** (آل عمران: ١٧٨).

**أمِنَ العدلِ يا ابنَ الطُّلَقاء تخديرُك حرائرَكَ وإماءَك، وسَوقُك بناتِ رسولِ الله سبايا؟! قد هُتِكتْ سُتورُهُنّ، وأُبْدِيَتْ وُجوهُهنّ، تَحدو بِهِنّ الأعداء مِن بلدٍ إلى بلد.. وكيف يُرتجى مُراقبةُ مَن لفَظَ فُوهُ أكبادَ الأزكياء، ونَبتَ لحمُه مِن دماءِ الشهداء؟! (إشارة إلى جَدّته «هند» التي لاكَتْ كَبِدَ حمزةَ بنِ عبد المطّلب، وإلى جدّه أبي سفيان وأبيه معاوية)، وكيف يُستبطَأُ في بُغضِنا أهلَ البيت مَن نظَرَ إلينا بالشَّنَفِ والشَّنآن، والإحنِ والأضغان؟! ثمّ تقول غير متأثِّم ولا مُستعظِم:**

**لأهلُّوا واسْتهلُّوا فَرَحاً ثمّ قالوا: يا يزيدُ لا تُشَلّ**

**مُنْحنياً على ثنايا أبي عبد الله (أي الحسين عليه السلام) سيّدِ شبابِ أهل الجنّة تنكُتُها بِمِخْصرتِك، وكيف لا تقول ذلك وقد نَكَأْتَ القُرحةَ واستَأْصلتَ الشَّأْفة، بإراقتِك دماءَ ذُرّيّةِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله ونجومِ الأرض مِن آلِ عبد المطّلب؟! وتهتفُ بأشياخك وزعَمتَ أنّك تُناديهم، فَلَتَرِدَنّ وَشيكاً مَوردَهم، ولتَوَدَّنّ أنّك شُلِلْتَ وبُكِمْت، ولم تكنْ قلتَ ما**

**قُلت، وفعلتَ ما فعلت! فَوَالله ما فَريتَ إلّا جِلْدَك، ولا حَزَزْتَ إلّا لحمَك، ولَتَرِدَنَّ على رسول الله ﷺ بما تحمّلتَ مِن سفكِ دماءِ ذُرّيّته، وانتهكتَ مِن حُرمتِه في عِترتِه ولُحمتِه.. وحَسْبُك بالله حاكماً، وبمحمّدٍ ﷺ خصيماً.. ولَئِنْ جرَّتْ عليَّ الدواهي مُخاطبتَك، إنّي لأستصغرُ قَدْرَك، وأستعظمُ تقريعك.. ألا فالعَجَبُ كلُّ العجَب، لِقتل حزبِ الله النُّجباء، بحزب الشيطانِ الطُّلَقاء!!.. فكِدْ كيدَك، واسْعَ سَعيَك، وناصِبْ جُهدَك، فَوَ الله لا تَمحُو ذِكْرَنا، ولا تُميتُ وَحْيَنا، ولا يُرحَضُ عنك عارُها، وهل رأيُك إلّا فَنَد، وأيّامُك إلّا عَدَد، وجمعُك إلّا بَدَد، يوم ينادي المُنادي: ألا لعنةُ الله علَى الظالمين! والحمدُ للهّ ربِّ العالمين، الذي ختمَ لأوّلِنا بالسعادةِ والمغفرة، ولآخِرِنا بالشهادةِ والرحمة، ونسألُ الله أنْ يُكمِلَ لهمُ الثواب، ويُوجِبَ لهمُ المزيد، ويُحسِنَ علينا الخلافة، إنّه رحيمٌ وَدُود، وحَسْبُنا الله ونِعمَ الوكيل.**

فقال يزيد:

يا صَيحةً تُحمَدُ مِن صَوائحِ ما أهونَ الموتَ عَلى النوائحِ![1]

***

وهكذا لم تَتوانَ العقيلةُ زينبُ الكبرى عن مهمّتها الإلهيّة، ولا عن مسؤوليّتها العظمى التي خلّفَها على عاتِقها الإمامُ الحسين سلام الله عليه، فأكملَتْ له الأهدافَ التي تَوخّاها، وهي الغيورةُ المخلصة، فكان منها البيانُ الساطع، كالسيف القاطع، وكانت موفَّقةً غايةَ التوفيق في توعية الأُمّة وصحوتها ويَقَظتِها، وفي فضحِ رموز الضَّلال في الجهاز الأُمويّ الحاكم، وفي عرضِ مظلوميّةِ أهل البيت واغتصاب الخلافة الشرعيّة منهم، فجاءَتْ خُطَبُ زينب الكبرى إنقاذاً لتلك الدماءِ الزكيّةِ التي سُفِكتْ في سبيل

(١) يُنظَر: الاحتجاج ٢ : ٣٤/ ٣٧، مثير الأحزان: ٨٠ / ٨١، بحار الأنوار ٤٥ : ١٣٣/ ١٣٥، لواعج الأشجان: ٢٢٦ / ٢٣١.

الله على طفّ كربلاء، فأحيَتْ بياناتُها مع تلك الدماء الشريفة معالِمَ الدين، وأيقظَتْ ضميرَ الأُمّة.. حيث برزت لبوةً هاشميّةً هزّتْ بنبراتها ذلك البلاطَ الأُمويّ في عُقْرِ داره، فألبسَتْه عاراً وشَناراً، وانْبرَتْ تخطب في مجلس يزيد الطاغية كأنّها تُفْرِغ عن لسان أبيها حيدر الكرّار، مُتدفّقةً مِن بيانها سيولُ البلاغة والفصاحة، تُمثّل الحقَّ تمثيلاً ولا تُرهبُها سطوةُ الخصوم، بل تندفع بقوارع حُجَجِها وقوامعِ براهينها، حتّى ألقَمتْهم حَجَراً، فخطّت للأمةِ بذلك نهجَ التضحية لله تعالى.

كـانَـتْ بلاغتها بلاغةَ حيدرِ الْـ ... كـرّار.. إنْ تَخطبْ وإنْ تتكلَّمِ
قد شـابَهَـتْ خـيرَ النساءِ بِهَـدْيِهـا ... ووقـارِهـا.. وتقىً وحُسْنِ تَكرُّمِ
لم أَنْسَ خُطْبَتَهَا التي قَلَمُ القضا ... في الـلَّـوحِ مِـثْـلَ بـيـانِهـا لم يَـرقـمِ
جـاءت بِهـا عَـلَـويّـةً وقَـعَـتْ على ... قَلبِ ابـنِ مَيسونٍ كوَقْعِ المِخْذَمِ
أوداجُــه انتفَخَتْ بِهـا.. فكأنّما ... فيها السيوفُ أَصَبْنَه في الغَلْصَمِ
أشَقِيقةَ السِّبطَينِ دُونَـكِ مِدْحةٌ ... قسٌّ الفَصاحةِ مِثْلَها لم يَنْظُمِ![1]

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ١٧٠ / ١٧١، من قصيدة للشيخ جعفر الربعيّ، المعروف بالنَّقْديّ، في ٥٣ بيتاً.

أنَـــا لـــستُ مِمَـــنْ هـاجَـنـي ذِكْـــرُ المَـعـاهـدِ والـــدِّمَـــنْ
بـــلْ إنّـــما أبـكـي لِـــرُزْءٍ طَـبّـقَ الـدنـيـا شَـجَـنْ
رِزْءٌ أذابَ حَـشاشتـي مَـهْـما لَـه قـلـبـي فـطَـنْ
مِـثـلُ الـعـقـيـلـةِ زيـنـبٍ يَحـدو بهـا حـادي الـظَّـعَـنْ!
ســـارُوا بِهـا فـوقَ المَـطـيّ وبِكَـتْـفِـها شَـدُّوا الـشَّـطَـنْ
وإذا بـكَـتْ عـيـنٌ لها في مَـنْكِبَيها الـسَّـوطُ حَـنّ
تَـرنُـو بِعـيـنَـيـها الجُـسُـو مَ عـلى الـبسيـطـةِ تُـرتَهَـنْ
رأتِ الحـسـينَ مُجَـدَّلاً مـا بَـيـنَـها دامـي الـبَـدَنْ
طَـحَـنَـتْ قَـراهُ أُمـيّـةٌ بِـرَحـى عِـداه بهـا طُحِـنْ
والجـسـمُ مِـنْـه دَريّـةٌ لِـسـهـامِ عـابـدةِ الـوثَـنْ
مُـتـلَـفِّـعـاً بِـدمـائِـهِ بـيـنَ الأسـنّـةِ مُـرتَهَـنْ
عُـريـانُ تَـنسِـجُ في الـعَـرا سـافي الـريـاحِ لَـه كـفَـنْ
مُـلـقـىً عـلى وجـه الـثَّـرى أبـكَـى الـفـرائـضَ والـسُّـنَـنْ
أَأُخَـيّ كـيـف نُـسـاقُ أَسْـ ـرى في الـسُّـهـولِ وفي الحَـزَنْ؟!
أَأُخـيَّ رأسُـك قَـد سَرَوا فـيـه عـلى رمـحٍ عَـلَـنْ
يَـتـلُـو الـكـتـابَ مُـرتِّـلاً آيـاتِـهِ بَـيـنَ الـظَّـعَـنْ

أَأُخَـــيَّ بَـعـدَكَ قـد رأَتْ عـيـني مَـرنّـاتِ المِـحَـنْ[١]

***

* تتطلّب الرسالةُ الإلهيّة أحياناً بذلاً وعطاءً، وأرواحاً ودماءً زاخرة؛ لكي تستمرّ وتمتدّ إلى الأجيال اللاحقة، ولكنّها أحايينَ أُخَر قد تتطلّب هجرةً وتغرّباً ومُفارقةً للأهل والوطن، وحملاً للدِّين إلى ديارٍ أُخَر ربّما تكون بعيدةَ الشُّقّة، ثقيلةَ المَشقّة! وفي ذلك الرحيل تكون الآلام والمصائب، فلابدّ من الصبر على قضاء الله تبارك وتعالى، والرضى والتسليم لأمر الله جلّ وعلا، والانتظارِ للفَرَج الراحم الذي سيُنزلُه الله وهو أرحم الراحمين.

وفي هذا المسير الشريف.. كانت هجرةُ خليلِ الرحمن إبراهيم عليه السلام، وكذا هجرةُ موسى الكليم عليه السلام، وهجرةُ النبيِّ المعظَّم محمّدٍ المصطفى صلى الله عليه وآله وسلّم.. إذْ كانت مِن مكّة مَوطنِه وبلدةِ صباه وأُسرته، إلى المدينة التي نوّرها الله سبحانه بقدومه المبارك.. ثمّ تَبِعَه وصيُّه المرتضى عليُّ بن أبي طالب عليه السلام تصطحبُه الفواطمُ مِن آل الرسول.

***

ولم تكن الهجرةُ الدينيّة مقتصرةً على الرجال، فقد حدَّثَنا القرآنُ الكريم والتاريخُ الصادق عن رحيل «هاجَر» زوجةِ النبيّ إبراهيم الخليل سلامُ الله عليه إلى وادٍ غير ذي زَرْع، فبُورك عليه وفيه، ثمّ أصبحَتْ مكّةُ عامرةً بإسماعيلَ عليه السلام، ورزَقَها الله تعالى من الثمرات، وجَعَل فيها الأمنَ ومناسك الحجّ الشريفة. كما حدّثَتْنا الأخبارُ الموثّقة عن هجرة جمعٍ من النساء المسلمات، التحَقْنَ برسول الله صلى الله عليه وآله: مرّةً إلى مكّة لأداء بيعة العَقَبة الثانية في وفدٍ كانت معه أمُّ عُمارة نسيبةُ بنت كعب المازنيّة وأمُّ قَنيع مِن بني سَلَمة [٢]،

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ١٦١ ١٦٣، من قصيدة للشيخ قاسم محيي الدين النجفيّ في ٥٢ بيتاً.
(٢) يُنظَر: الكامل في التاريخ ٢ : ٩٨، الاستيعاب ١ : ٧، أُسد الغابة ٥ : ٣٩٥.

ومرّةً إلى المدينة لأداء البيعة الخاصّة، وقد نزَلَت فيهنّ آيةُ المبايعة قولُه تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا جَاءَكَ الْمُؤْمِنَاتُ يُبَايِعْنَكَ عَلَى أَنْ لَا يُشْرِكْنَ بِاللهِ شَيْئًا...**﴾ [الممتحَنة: ١٢]، ومِن بينهنّ كانت: سَبيعةُ بنتُ الحارث السَّلَميّة أمُّ حكيم [١]، وأمّ سَلَمة بعد حين، وقبلَها زينبُ ربيبة النبيّ نخَسَها مشرك في الطريق فأسقطَتْ جنينها!.. وسيّدةُ النساء المهاجرات كانت فاطمةَ الزهراءَ بنت المصطفىﷺ، وكان منهنّ فاطمة بنت أسد رضوان الله عليها أمُّ أمير المؤمنين عليٍّ وزوجةُ أبي طالب سيّدِ البطحاءعليه السلام.

***

* ومن الهِجراتِ الرساليّة الشريفة هجرةُ العقيلةِ المكرَّمة زينب بنتِ عليّعليه السلام، التي شدّتْ رحالَ السفر إلى كربلاء تُعاضِدُ أخاها وإمامَ زمانها أبا عبد الله الحسين سيّدَ شبابِ أهل الجنّة، وتُؤازره في مهمّته الإلهيّة، ولتكونَ في خدمته وطاعته، تتلقّى وصاياه، وتصبر على أداء تكاليفه، ولِتعانيَ مِن بعده أشدَّ المحنِ والنوائب في مسيرة الطفِّ المفجعة وأسفارِها المريرة إلى الكوفة والشام، ثمّ إلى كربلاء فالمدينة! فعاشَتْ تلك المشاهدَ بصبرٍ عجيب، ورضىً بقضاءِ الله تعالى غريب، وجلادةٍ أبدَتْها في وجوه الظالمين. وتبقى للهجرة الزينبيّة خصوصيّةٌ مهمّة، وهي أنّها ارتبطت بالمشيئة الإلهيّة مباشرة.

وهنا.. ما أجدرنا بأن نزور مولاتنا زينبَ بهذه العبارات:

اَلسلامُ عَلَى المرأةِ الصالحة، والمجاهِدةِ الناصحة، والحرّةِ الأبيّة، واللَّبوةِ الطالبيّة، والمُعجزةِ المحمّديّة، والذَّخيرةِ الحيدريّة، والوديعةِ الفاطميّة. اَلسلامُ على مَن أطاعتِ اللهَ تعالى في السِّرِّ والعَلَن، وتَحدّتْ بِمواقفِها أهلَ النفاقِ والفِتَن. اَلسلامُ على مَن أرهَبتِ الطُّغاةَ في صلابتِها، وأدهَشَتِ العُقولَ برباطةِ جأشِها، وَمَثّلتْ أباها عليّاً بشجاعتِها، وأشبَهَتْ أُمَّها الزهراءَ في عظمتِها وبلاغتِها.. اَلسلامُ على مَن حَباها الجليلُ جَلّ اسمُه

(١) يُنظَر: بحار الأنوار ٢٠ : ٣٣٧ ٣٣٨.

بالصفاتِ الحميدة، وزادَها قُوّةً وثَباتاً على الدِّينِ والعقيدة، وشَدَّ اللهُ عَزمَها في مَواطنِ المِحَنِ الشديدة، وأَلْهَمَها جميلَ الصَّبر، وأكرمها جَزيلَ الأجْر.

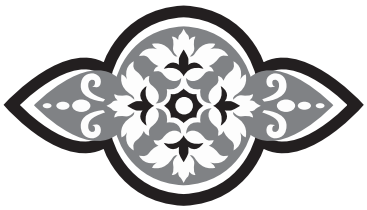

هـاجَ حُـزني لـزيـنـبٍ إذ عَـراهـا ... فـادحٌ في الـطـفـوفِ هـدّ قُـواهـا
يـومَ أضحى رجـالُهـا غَـرضـاً لِلْـ ... ـنَبْلِ والسُّمْر.. فيه هـاجَ وَغاها
ونَـعَـتْ بـيـنَ نـسـوةٍ ثـاكـلاتٍ ... تَـصـدَعُ الهـضْـبَ في حنينِ بُكاها
آهِ وا لَهْـفَـتـاهُ مـاذا تُـقـاسي ... مِن خُطوبٍ تربو على ما سِواها!
ولِمَـن تسكبُ المـدامـعَ مِـن عَيْـ ... ـنٍ جفا جَفنَها لـذيـذُ كَـراهـا؟!
أَلِـنَـهْـبِ الخـيـامِ أَم لِـعـلـيـلٍ ... نـاحـلِ الجـسـم.. أَم عـلى قتلاها
أَم لأجسامِهم عـلى كُـثُـبِ الغَبْـ ... ـر.. أَم مخضوبةً بفيضِ دِماها
أَم لرفعِ الرؤوسِ فوقَ عوالي السُّمْـ ... ـر.. أَم رضِّ صـدرِ حامي حِماها
أَم لأطفـالِهـا تُـقـاسي سيـاطَ المَـوْ ... ت.. أم عُـظْـمِ سَـيرِهـا وسُراهـا
أَمْ لِسَـيرِ الـنسـاءِ بـينَ الأعـادي ... ثـاكـلاتٍ يَـنْـدُبْـنَ: يـا آلَ طاها!
وهْـيَ مـا بينَهُنَّ تـنـدُبُ مَـن قَـدْ ... نَـدَبـتْـه الأمـلاكُ فـوقَ سَـمـاهـا[1]

***

* قال علماء الأخلاق: إنّ الإنسان لا يبلغ الدرجةَ الرفيعة من الإنسانيّة حتّى يُدرِك المرتبة السامية من الموت الاختياريّ في مراحله الأربع: الأُولى الموت الأحمر: وهو الجهاد مع النفس، الذي سمّاه رسولُ الله ﷺ بـ «الجهاد الأكبر». وللسيّدة زينب عليها السلام السَّبقُ في هذا المضمار، والتفوّق في هذا المجال على مَن سواها من النساء، حتّى قيل: إنّها حصَلَت

(١) للشيخ محمّد نصّار كما في مجموعة وفيات الأئمّة: ٤٧٩.

مِن بينهنّ على درجة الخاتميّة بعد أُمِّها فاطمة الزهراء عليها السلام في العصمة.

والمرحلة الثانية الموت الأبيض: وهو تحمُّلُ الجوع والسَّغَب، وكان مِن شيمة الأنبياء والأولياء الأوصياء الصبرُ على الجوع. والسيّدة العقيلة كان لها الحظُّ الأوفر في هذه المِزْية.. خاصّةً في كربلاء، وبعد شهادة الإمام الحسين عليه السلام في طريق الكوفة والشام أيّامَ السَّبْي والأسْر، حتّى بلغ الجوعُ منها مرحلةً قُصوى وأخذ منها كلَّ مأخذ، فكانت تصلّي بعضَ صلواتها من جلوس، فسألَها ابنُ أخيها الإمامُ زين العابدين عليه السلام عن سبب جلوسها فأجابته: **يا ابنَ أخي، إنّ الجوع أخذ منّي قواي، وسلبني القدرةَ على القيام في الصلاة.**

والمرحلة الثالثة الموت الأخضر: وهو عبارة عن ارتداء الملابس المتواضعة التي تُورِث حالةَ التواضع والانكسار لله تعالى، وقد كان الاقتصاد في الملبس مِن دَأْب الأنبياء والأوصياء عليهم السلام. وللسيّدةِ المكرَّمة زينب عليها السلام مِن هذا الأمر الحظُّ الأوفر، خاصّةً بعد شهادة ريحانة المصطفى أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه، حيث لَمْ تَرْتدِ بعد ذلك إلّا رداءَ أصحابِ العزاء، إذْ كانت في حِدادٍ دائمٍ على سيّد الشهداء.

وأمّا المرحلة الرابعة فالموت الأسود: وهو على ما قيل: تحمّلُ أذى الناس والصبرُ على لائمتهم، صبراً في سبيل الله تعالى. والأنبياء، وكذلك الأوصياء والأولياء، كانوا في طليعةِ المُتّصِفين بهذه المِزْية، فإنّه لم يُبعَث نبيٌّ مِن الأنبياء إلّا وصار محلَّ سُخْريةِ الناس ومواردَ إيذائِهم، ومَوئلَ عَتَبِهم ومَلامتِهم، وكان رسول الله محمّدٌ صلى الله عليه وآله في طليعة الأنبياء والمرسلين في تحمُّلِ هذا الأمر والصبرِ عليه، حتّى قال: «**ما أُوذِيَ نبيٌّ مِثْلِ ما أُوذِيت**»[1]. وصار أهلُ بيته صلواتُ الله عليهم ومنهمُ العقيلة زينب وُرّاثَه في هذا الأمر، وكان لزينب الكبرى سلام الله عليها نصيبٌ عظيم من هذه المِزْية، فقد تحمّلتْ أذىً كثيراً

(١) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٤٢، بحار الأنوار ٣٩ : ٥٦، رياض السالكين: ٥٦٣.

مِن بني أُميّة، وصبَرَت وعانَت ما لا يَقْدِر على تحمّلِه والصبرِ عليه أحدٌ من الناس..[١] فحازَتْ مضمار الرفعة في هذه المزايا والخصال الشريفة، فكانت بحقٍّ تلك المجاهدةَ الفريدة التي يُنظَر إليها بعين الإجلال، وتُوصَف بلسان الإعجاب والإكرام..

* قال الشيخ البرغانيّ في مجالس المتّقين: إنّ المقاماتِ العرفانيّةَ الخاصّة بالعقيلة زينب، تَقرُب مِن مقامات الإمامة[٢].

* وكتبت الدكتورة المصريّة عائشة عبد الرحمان المعروفة ببنت الشاطئ في كتابها المشهور (بطلة كربلاء) تُظهِر إعجابَها بجهادِ زينب وآثارِها العظمى.. تقول:

ـ كانت زينبُ عقيلةُ بني هاشم في تاريخ الإسلام وتاريخ الإنسانية، بطلةً استطاعَت أن تُسلِّط معاولَ الهدم على دولة بني أُميّة، وأن تُغيّرَ مجرى التاريخ[٣].

ثمّ كتبت بنت الشاطئ معلِّقةً على آثار شهادة الإمام الحسين ﷺ قائلة: ثمّ سقوطُ الدولة الأُمويّة فيما بعد، وقيام الدولة العبّاسيّة.. ثمّ ظهورُ الدولة الفاطميّة بالمغرب، وما صاحَبَ هذا كلَّه وأعقَبَه من حوادث كَتَبَتْ تاريخَنا كلَّه منذُ مقتل الحسين، بل حَدَث هناك ما هو أهمُّ مِن هذا: وهو تأصُّلُ مذهبِ الشيعة، وكان له أثرٌ بعيد في الحياة السياسيّة والمذهبيّة في الشرق والإسلام، وزينب هي باعثةُ ذلك ومُثيرتُه.. لا أقول هذا مِن عندي تَزيُّداً، وإنّما هو قولُ التاريخ[٤].

وتَخـطُّ زينبُ للخلودِ سُطورَها ومِـدادُهـا تلك الـدمـوعُ الغالية

(١) الخصائص الزينبيّة للسيّد نور الله الجزائريّ: ١٩٩/ ٢٠١، الخصيصة الثانية والعشرون ـ في أنّها ﷺ المجاهدة المحتسبة.

(٢) العقيلة والفواطم: ٢١.

(٣) بطلة كربلاء: ١٥٣.

(٤) بطلة كربلاء: ١٤٤. ويُنظَر: حياة الإمام الحسين ﷺ: ٢٩٩.

وطـوَتْ يـدٌ بيضاءُ كـلَّ صحيفةٍ لأُمـيّـةٍ قـد سـوّدَتْهـا عاصية
هذا هو الفتحُ المبينُ.. بنُصرةِ الدْ ـدِينِ الحنيف..وتلك عُقبى الباقية[1]

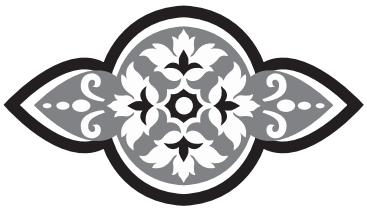

(١) مرقد العقيلة زينب عليها السلام: ٢٤١ ٢٤٢، من قصيدة للسيّد محمّد مهدي الخرسان النجفيّ في ٤٨ بيتاً.

بِنَفْسي مَن حَـوَتْ أسْمَى المَزايا ... وَمَـن لِلمَكْرُماتِ غَـدَتْ خَليلة
ومَـن يَسمُو الثناءُ بِها ويَحلُو ... وأجْـدرُ بالنُّعوتِ المُستطيلة
فإن كَثُرتْ مَدائحها وفاضَتْ ... تُـعَـدُّ بشأنِها الـسامي قليلة
هـيَ الحـوراءُ زينبُ في عُلاها ... لَـتَـقـصُرُ كـلُّ ذاتِ يـدٍ طويلة
سَـليـلـةُ أحمـدٍ مَـولَى المَـوالي ... ألا نِعمَتْ لأحمـدَ مِـن سَليلة!
بِـربِّـكَ مَـن كـزيـنـبَ في الـبَرايا ... لِـوَقْـعِ النائباتِ غَـدَت حَمولة؟!
فـيـا للهّ مـا لاقَـتْ وقـاسَـتْ ... مِـن الأشرار أربـابِ الـرذيـلة
أَتُحمَلُ فوقَ ظهرِ العُجْفِ قَسْراً ... وفِتيتُها عَـلَى الرَّمضا جَديلة!
فـأبـدَت بَعـدَ يـومِ الطفِّ حَزماً ... ومـا مِـنْ حُـرّةٍ أبـدَتْ مَثيلَه
وحِلماً لا يُقاسُ بثُقْلِ «رَضْـوى» ... مُحالُ بأنْ يَرى «رضوى» عَديلَه[1]

***

* الخصالُ الزينبيّة الشريفة صفاتٌ متقاربة متكاملة، بل ومتعاضدة.. وقد جاء عن الإمام عليٍّ عليه السلام قوله: «**إذا كان في رجلٍ خَلّةٌ رائقة، فانتظروا أخواتها**»[2]، كما جاء عن الإمام الصادق عليه السلام قوله: «**إنّ خِصالَ المكارم بعضُها مُقيَّدٌ ببعض، يقسمُها الله حيث**

(١) زينب الكبرى عليها السلام: ١٧٦، من قصيدة للشيخ حسين الحاجّ وهج، في ٢٩ بيتاً.
(٢) نهج البلاغة: الحكمة ٤٤٥.

**يشاء»** [١].

وقد اجتمع في العقيلة المكرَّمة زينبَ الكبرى: الصبرُ والحزم، والمعرفة والحِلْم، والإيمان والتقوى، والإباء والعَفاف، والرضى بقضاء الله والتسليمُ لأمر الله.. لذا شدّتِ الرحالَ مع أخيها الإمام الحسين ﷺ، وكانت السبّاقةَ في ذلك الركب الشريفِ الراحل إلى كربلاء، أرضِ الشهادة والفداء، ومَحَلِّ الكَرْب والبلاء.. كلُّ ذلك طاعةً للهّ تبارك وتعالى، وتلبيةً غيورةً للدفاع عن الإسلام الذي عاد في موضعِ الخطر من التشويه والتحريف، والناسُ في سَكْرةِ حبِّ الدنيا سادرون غافلون، فكان لابدّ من الدماء الزاكية، وقد قدّمها سيّدُ الشهداء أبو عبد الله الحسين صلوات الله عليه بسخاءٍ غريب، وكان لابدّ مِن الدموع الشريفة، وقد قدّمَتْها زينب مع حالاتٍ من التفجّع والحنين والوحشة والغربة والأسْرِ والسفر المُضني.. وكان ذلك هو الذي حَفِظ آثار النهضة الحسينيّة المباركة التي انبثقَتْ حفاظاً على الرسالة من تمزيقها بأيدي المحرِّفين والمنحرفين.

***

* لم تسافر زينبُ الكبرى إلّا أسفاراً مقدّسة، كان منها سفرُها مع أخيها الحسين سيّد شباب أهل الجنّة، صَحِبَتْه في سفره الخطير صُحبةَ مَن تقصدُ أن تُشاطرَه في إنقاذ الدِّين، وتُؤازرَه في ترويج الإسلام الحنيف، وتتحمّل المسؤليّاتِ العظمى بعناءٍ عظيم. وكان من أسفارها سلام الله عليها سفرُها إلى الكوفة، فدخَلَتْها أوّلَ مرّةٍ مع والدها أمير المؤمنين ﷺ في عهد خلافته في موكب المعالي مُحاطةً بهيبةِ البيت النبويّ الشريف.. ثمّ دخلَتْها بعد واقعة عاشوراء أسيرةً مُربّقةً هي ومَن معها بالحبال على جِمالٍ عُجْف، وهي حزينةُ القلب كسيرةُ الخاطر باكيةُ الطَّرْف هزيلة القُوى، بعد أن فارَقَت الأعزّة،

(١) أمالي الطوسّي: ٣٠١/ ح ٥٩٧.

وتكفّلت بالأطفال اليتامى والنساء الأرامل، والأيامى الثواكل، ولفيفٍ من الصغار يستغيثون من الجوع والعطش، ويلوذون بها من الوحشة والرعب واليُتْم، يُحيط بهم أجلافُ بني أُميّة لا يُعاملونهم إلّا بالقسوة والشتم والإرعاب.

***

أجلْ.. لم تكن أسفار العقيلة زينب عليها السلام إلّا في طاعة الله ومرضاته، مُتحمِّلةً كلَّ ما جرى عليها وعلى أهلها من البلاءات والشدائد.. فهي حين رأت أخاها الحسين عازماً على السفر من الحجاز إلى العراق استأذَنَت زوجَها عبدَ الله بنَ جعفر الطيّار في مصاحبةِ أخيها الحسين سلام الله عليه في سفره الإلهيّ ذاك، فأذِن لها زوجُها، ودَفَعَ ولدَيه بين يدَيها لِتُقدّمَهما مجاهدَين بين يَدَيِ الإمام الحسين.. فانتقلَتْ إلى بيت أخيها وتأهّبت للخروج معه.

وخرجَتْ زينبُ العقيلة.. ولمّا نزل الإمام الحسين عليه السلام الخُزَيميّة بقيَ فيها يوماً وليلة، فلمّا أصبح أقبلَتْ إليه أختُه المكرَّمة زينب تقول له: **يا أخي، ألا أُخبرك بشيءٍ سمِعتُه البارحة؟!** قال لها: **وما ذاك يا أُختاه؟!** قالت: **إنّي سمعتُ اللّيلةَ هاتفاً يقول:**

**ألا يا عينُ فاحتفِظي بِجُهدِ ومَن يبكي عَلَى الشهداءِ بَعْدي؟!**
**على قومٍ تَسوقُهمُ المَنايا بمقدارٍ إلى إنجازِ وَعْدِ**

فقال لها الحسين عليه السلام: «**يا أُختاه، كلُّ الذي قُضيَ فَهْو كائن**»[1].. فلمّا سَمِعَت زينبُ ذلك أيقنتْ بنزول البلاء، فاغرورقَتْ عيناها بالدموع، وأخذتْ تسكّنُ على نفسِها مخافةَ أن يُحِسَّ بذلك أحدٌ مِن العيال!

فسلامٌ على قلبِ زينبَ الصَّبور، ولسانِها الشَّكور، وسلامٌ على مَن تظافرَتْ عليها المصائبُ والكروب، وذاقَتْ مِن النوائبِ ما تَذوبُ منها القلوب.

(١) يُنظَر: مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٤٥، بحار الأنوار ٤٤ : ٣٧٢، العوالم: ٢٢٣، لواعج الأشجان: ٨٣.

تربّت زينبُ العقيلة ﷺ في بيتٍ يعيش أهلُه أعلى درجات الإيمان، لا يَخشَون أحداً إلّا الله تبارك وتعالى.. فبرزتِ الشجاعةُ عندَهم وسَرَت في ذرّيّتهم سجيّةً واضحة. وشجاعةُ أهل البيت ﷺ شجاعةٌ إيمانيّة حكيمة، مندفعةٌ بطاعة الله، وبالغَيرةِ على دِين الله، ومُتوخّيةٌ مرضاةَ الله، وناهضةٌ بإقامةِ حُكْمِ الله، ومراعيةٌ أوامرَ الله تعالى ونَواهيه.. وهي بعدُ شجاعةٌ لا مَثيلَ لها، فجاء عن الإمام عليّ ﷺ أنّه إذا حَمِيَ الوطيس لاذ المسلمون في المعركة برسول الله ﷺ، وكان يتقدّمُهم في القتال.. وأمّا أمير المؤمنين ﷺ فكان أكثرُ قتلى المشركين بيده وقد أعان على معظمهم، ولم يكن أحدٌ يَعْدوه في شجاعته وإقدامه.. واشترك الإمام الحسن ﷺ مع أبيه في معارك عديدة، وعُرِف بإقدامه وبسالته، ولولا تخاذلُ القوم لَحَقّق للمسلمين إبعادَ المنافقين وإزالتَهم عن حياة الأمّة. وأمّا الإمام الحسين ﷺ، فهو وريثُ النبيّ ﷺ وأميرِ المؤمنين ﷺ في الشجاعة والسُّؤدد، وقد أقدم على الشهادة لا يرى في ذلك إلّا مرضاةَ الله جلّ وعلا.

والعقيلةُ المكرّمة زينب صلوات الله عليها هي مِن هذا البيت الشجاع الأبيّ، وهي وريثته في الخصال الشريفة كلِّها، فماذا يُتَصوَّر فيها يا تُرى؟!

***

الشجاعة من المَلَكات الأخلاقيّة الشريفة، والصفات الإنسانيّة العالية، وهي من صفات الأنبياء والأولياء ﷺ، والمرادُ بها قوّةُ القلب وثباتُ الجَنان. وقد كان للسيّدة المكرَّمة زينب الكبرى سلام الله عليها هذه الخَصلةُ الحميدة، ظهرَتْ عندها جليّةً خلالَ

نهضة أخيها الإمام الحسين مرّاتٍ لمهامّ إنسانيّة، فتداركت أخاها الحسين في بعض المواقف الصعبة كما في وقوفه على ولده عليٍّ الأكبر بعد شهادته، وقَبِلَتْ مسؤولية الأهل والعيال والنساء والأطفال، وتكفّلَتْهم في مسيرة السَّبْي والأسر، مع كثرة الأعداء وقسوتهم وشدّة صلافتهم، فانتشَلَتِ الأطفالَ مِن بين حوافر الخيل المُهاجِمة، وحَفِظت العيال وأحاطتهم بين يديها، ممّا دلَّ على شجاعتها وشهامتها العاليتَينِ الفائقتين.

ثمّ كان من العقيلة أن حَمَت ابنَ أخيها الإمامَ عليَّ بن الحسين عليه السلام من القتل مرّاتٍ عديدة، منها بعد هجوم عسكر عُبيد الله بن زياد على مُخيَّم الإمام الحسين عليه السلام عصرَ يوم عاشوراء للسَّلْب والحرق، وقَتْلِ مَن بقيَ مِن الرجال، فحالت العقيلة زينبُ الكبرى وبشجاعةٍ فائقة دونَهم ودونَ ما يريدون، حتّى خلّصَتْه من القتل، وكذا أنقذَتْه من يد الطواغيت في قصر عبيد الله في الكوفة، ثمّ في قصر يزيد في الشام، وقد توجّهت النوايا الخبيثةُ إلى قتله عليه السلام؛ لقطع نسل رسول الله صلى الله عليه وآله.

***

ومِـن المواقف الشجاعة للسيّدة العقيلة زينب صلوات الله عليها أنّها جابهت الطغاةَ بالمنطق الرادع وهم في عُقْر ديارهم وزَهْو سلطانهم، فلمّا أن أراد عبيدُ الله بن زياد أن يُظهِر شماتتَه وفرحه وغروره بقتل الإمام الحسين عليه السلام فقال لها: الحمدُ للهّ الذي فَضَحَكُم وقَتَلَكم، وأكْذَبَ أُحدوثتَكُم! لم تُمْهِلْه العقيلةُ زينب حتّى أجابَتْه على الفور وبحزم: «**الحمدُ للهّ الذي أكرَمَنا بنبيّهِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله، وطهَّرَنا من الرجس تطهيراً، إنّما يفتضحُ الفاسقُ وَيكذِب الفاجر، وهو غيرُنا**»، أي أنتم الفَسَقة الكَذَبة، وأنتمُ المفضوحون.

فعاد ابنُ زياد يسألها: كيف رأيتِ فعلَ الله بأهلِ بيتِكِ؟ فانبَرَتِ العقيلة كاللّبوة تجيبُه وكلُّها عِزٌّ وإباء ورضىً بقضاء الله تعالى: «**ما رأيتُ إلّا جميلاً، هؤلاءِ قومٌ كَتبَ الله عليهمُ القتلَ فبرزوا إلى مضاجعهم**. ثمّ قالت له: **وسيجمع الله بينَك وبينهم فتُحاجَّ وتُخاصَم،**

**فانظرْ لِمَن الفَلَجُ يومئذٍ ثكلَتْك أمُّك يا ابنَ مَرجانة!!»** [١]، تُعيرّه بجَدّته المعروفة بذات الأعلام، فأخْزَتْه وفضحَتْه، حتّى غَضِب واستشاط من كلامها معه بهذه اللهجة التي لم يسمعها من أحدٍ قَبْلَها، وهو طاغيةُ يزيد ووالِيه على البصرةِ والكوفة، وقد أجابته بهذه الأجوبة في قصره وبين حاشيته في ذلك الحشد، فأراد قَتْلَها، فهدّأه عَمْرو بن حَرِيث بأنّها امرأة، ولا تُؤاخَذُ المرأة بشيءٍ من منطقها.

***

وفي الشام، بل وفي قصر الطاغية يزيد.. تنهضُ ابنةُ عليٍّ الكرّار فتُلقم يزيدَ بن معاوية أحجاراً تُذهله بين حشد حاشيته أيضاً، فتقول له: «**أمِنَ العدلِ يا ابنَ الطُّلَقاء!**» [٢] وتُذكّره بجاهليّته التي لم يخْلَعْها بعدُ، قائلة له: «**وتهتف بأشياخِك، وزعمتَ أنّك تُناديهم، فَلَتَرِدَنّ وشيكاً مَوردَهم، ولَتَودّنَ أنّك شُلِلْتَ وَبُكِمْت، ولم تكنْ قلتَ ما قلت، وفعلتَ ما فعَلْت... إنّي لأستصغرُ قَدْرَك، وأستعظمُ تقريعَك، وأستكثرُ توبيخَك**».. إلى أن تقول له: «**فكِدْ كيدَك، واسْعَ سعيَك، وناصِبْ جُهْدَك، فَوَ الله لا تمحو ذِكْرَنا، ولا تُميتُ وَحْيَنا، ولا تُدرِكُ أَمَدَنا، ولا يُرحَضُ عنك عارُها، وهل رأيُك إلّا فَنَد، وأيّامُك إلّا عدد، وجمعُك إلّا بَدَد، يوم ينادي المنادي: ألا لعنةُ الله علَى الظالمين!**» [٣].

تلك هي الشجاعة الموروثةُ في آل النبيّ، كانت من صفات العقيلة المكرَّمة زينب سلام الله عليها، مقرونةً بالمهابة وهي مأثورةٌ في سِماتها، مشفوعةٌ بثبات الجَنان في أيّام البؤس والمحنة والفاجعة، شَهِد بذلك المؤرّخون وأصحابُ السِّيَر، حتّى كتب الأُستاذ أحمد الشَّرباصيّ في (نفحات.. من سيرة زينب): وَرِثتْ عن أبيها البطلِ المغوار وسيفِ الله الغالب صفةَ الشجاعة والإقدام، بعد أن شَمِلها الله بجلالِ النبوّة ونورِ الحكمة،

(١) يُنظَر: الإرشاد ٢ : ١١٥، ولواعج الأشجان: ٢٠٩.
(٢) الاحتجاج ٢ : ٣٥، بحار الأنوار ٤٥ : ١٣٤، و١٥٨، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٤٠٣.
(٣) بحار الأنوار ٤٥ : ١٣٥.

وأرضَعَها لِبان الإسلام، وغذّاها بأكفِّ الحقّ [١]. كما كتب الأُستاذ محمّد علي المصريّ: السيّدة زينب رضي الله تعالى عنها ... هي مِن خِيَرةُ السيّدات الطاهرات، ومِن فُضلَياتِ النساء وجليلاتِ العقائل، التي فاقت الفوارسَ في الشجاعة! [٢]

فسلامٌ منّا على المرأة الصالحة، والمجاهدةِ الناصحة، والحُرّةِ الأبيّة، واللَّبوةِ الطالبيّة، والمعجزة المحمّديّة، والذخيرةِ الحيدريّة، والوديعة الفاطميّة.

(١) نفحات.. من سيرة السيّدة زينب: ٢١ عنه: زينب بنت الإمام أمير المؤمنين ﷺ لدخيّل:٨٤ / ٨٥.

(٢) زينب الكبرىٰ للنقديّ: ٤٩ ٥٠.

زَهِـدتْ بِدُنيانا وطِيبِ نعيمِها ... طلباً لمرضاةِ الكريمِ المُنعِمِ
وتجرّعَتْ رَنَقَ الحياةِ وكابدَتْ ... مِن دهرِها عَيشاً مَريرَ المَطعَمِ
فأثابَها ربُّ السماء كرامةً ... فيها سِوى أمثالِها لم يُكْرِمِ
فَلَها كما للشافعينَ شَفاعةٌ ... يومَ الجزاءِ بِها نجاةُ المُجرِمِ
بَلغَتْ مِن المجدِ المُؤثَّل مَوضعاً ... ما كانَ حتّى للبتولةِ مَريمِ
كلا ولا للطُّهْرِ حَوّا أو لآ ... سِيَةٍ.. وليس لأُخت مُوسى كَلْثُمِ
هذي النساءُ الفُضلَياتُ وفي العلى ... كلٌّ أقامَتْ في مَقامٍ قَيّمِ
فاقَتْ بهِ كلَّ النساء.. وربُّها ... في الخُلْدِ أكرَمَها عظيمَ المَغْنَمِ
لكنّ زينبَ في عُلاها قد سَمَتْ ... شرفاً.. تأخّر عنه كلُّ مُقَدَّمِ
في علمِها، وجلالِها، وكمالِها ... والفضلِ والنَّسَبِ الصريحِ الأفخَمِ

***

* كان من ألقاب السيّدة زينب عليها السلام «الزاهدة»، والزهد من الصفات الحميدة الحَسنة، والأخلاقِ الفاضلة، وقد استفاد البعض مِن إحدى كلمات أمير المؤمنين عليه السلام أنّ الزهد هو تركُ ثلاثة أشياء: الزاء والهاء والدال، الزاء رمزُ الزينة، والهاء رمز الهوى، والدال رمز الدنيا والتعلّق بها.. فمِن الزينة ما أشار إليه القرآنُ الكريم: ﴿**المالُ والبنونَ زِينةُ الحياةِ الدنيا**﴾، وقد قدّمَتْ زينبُ الكبرى كلَّ ما تملك من الزينة لله تعالى، فقُتِل في كربلاء أولادها وإخوتُها وأعزّتها، وعاشت حياةَ الحرمان تُواسي المساكين والبائسين.

ومن إشارات كتاب الله تعالى في أمر هوى النفس: ﴿**وأمّا مَن خافَ مَقامَ ربِّهِ ونَهَى النَّفْسَ عَنِ الهوى * فإنّ الجنّةَ هيَ المَأْوى**﴾، وقد تجرّدت زينبُ العقيلة عن كلّ هوىً حتّى كانت داخلة في إطارٍ مِن أُطُر العصمة المقدّسة، وإلّا لَمَا أُوكِلَت إليها تلك الوصايا والمسؤليّات الكبرى في فاجعة عاشوراء وبَعدَها. وأمّا في شأن الدنيا، فقد جاء قولُه تبارك وتعالى: ﴿**وَمَن أرادَ الآخرةَ وَسَعى لَهَا سَعْيَها وهُوَ مؤمنٌ فأُولئكَ كانَ سَعيُهم مَشْكُورا**﴾ [الإسراء: ١٩]، وزينبُ المكرّمة صلوات الله عليها كانت من المصاديق الكاملة لهذه الآية المباركة، فقد اتّجهَتْ نحوَ الآخرة وأرادَتْها، وسعَتْ لها سعيَها المخلصَ الصادق وهي مؤمنةٌ بما وعدَها الله عزّ شأنُه، وقد قطعَتْ عُلقتَها بالدنيا، فهاجرَتْ إلى كربلاء وهي تُريد الله جلّ وعلا.. ولسانُ حالها:

إلهي..

تـركـتُ الخَـلـقَ طُـرّاً في هَـواكـا وأَيـتَـمْـتُ الِـعـيـالَ لكي أَراكـا
فَـلَـو قطّعتَني في الحُـبِّ إرْبـاً لَمـا مـالَ الـفـؤادُ إلى سِـواكـا[1]

***

* عاشت زينب العقيلة سلامُ الله عليها في بيتِ عزٍّ وكرمٍ وسخاء، يطوف حول بيتها الفقراء والمحرومون وذَوُو الحاجات، فتُغدِق عليهم من بيت الكرم والجود والشرف الرفيع. وقد تركَتْ ذلك كلَّه لوجه الله جَلّ جلاله، وانقطعت عن علائق الدنيا الفانية في سبيل الله، وأعرضَتْ عن زَهرة الحياة الدنيا، لتصحَبَ أخاها في مسيرة الشهادة المقدَّسة، ولتنضمَّ إلى الركب الحسينيّ الشريف المُتَّجِهِ نحو كربلاء؛ ناصرةً لدين الله، باذلةً النَّفْسَ والنفيسَ بين يَديْ إمامِها وأخيها الحسين سيّدِ شباب أهل الجنّة

(١) ممّا اشتهر فيما أُنشِد على لسان حال الإمام الحسين عليه السلام. يُنظَر: ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: ١١٦.

صلوات الله عليه.

وبعد وقعة الطفّ.. عُرِضَتْ عليها أموال يزيد لتغضَّ طَرْفَها عن شهادة أخيها، فأبتْ واستنكَفَت، وزَهِدتْ بكلِّ شيء يُشغِلُها عن قضيّة الطفّ العظمى وعن دماء الشهداء الشريفة.. بل بذلَتْ مابقيَ ما عندها؛ إكراماً لِذكْر الإمام الحسين سيّد الشهداء، فأعطَتْ ما تملكه للدليل الذي بُعِث مع السبايا في رجوعهم إلى المدينة ومرورِهم على كربلاء ثانياً، معتذرةً عن قليل ما أعطت إذ لم تملكْ غيرَه.. حتّى جاء عن الإمام عليّ بن الحسين زينِ العابدين عليه السلام قولُه: «**مَا ادّخرَتْ شيئاً مِن يومها لِغَدِها أبداً**»[1].

هكذا كان زهد العقيلة المكرّمة زينب بنت سيّد الزاهدين عليٍّ أمير المؤمنين، متأسّيةً بجَدّها المصطفى وأبيها المرتضى وأمّها الصدّيقة الزهراء صلوات الله عليهم، فعوّضها الله تعالى بزهدها في الله تلك الكرامةَ السامقة والذِّكرَ الجميل والشرفَ السامي، فما أسمى مَقامَها، وأكثرَ كراماتِها على مدى العصور، حتّى شاع فَخْرُها بكلِّ زمانٍ ومكان، وتمجّدَ بِاسمِها لسانُ كلِّ إنسان.. وأصبحَ حَرَمُها مَوئلَ آمالِ الآملين، ومُلتقى وفودِ الزائرين، ويتمسّكُ بضريحِها جميعُ المحبّينَ والمحتاجين، وَيؤُمّ قبرَها الخلائقُ في كلِّ حين..

***

وتبقى زينبُ الطاهرة خالدةً في سماء التاريخ، تُغَضّ إلى مقامها الأبصار، ويُنظَر إلى شرفها الرفيع بالإجلال والإكبار، حيث امتازت بمحاسنها الكثيرة، وخصالها الجليلة الحميدة، وشِيَمِـها الفاضلة، وفضائلِها الطاهرة ومفاخرها الفريدة.. حتّى كانت في جلالها وعلمها وعصمتها وعفّتها وبهائها.. تاليةَ أُمِّها الزهراء ونائبتَها.. وليس عجَباً مِن زينبَ أن تكون كذلك، وهي فرعُ الشجرة النبويّة الطيّبة، والأُرومـةِ الهاشميّة

(١) رجال تركوا بصمات ...: ١٦٨، ومجموعة وفيات الأئمّة: ٤٤١.

الفاخرة، فكانت آيةً في الفهم وصفاء النفس وقوّة الجَنان وثَبات الفؤاد، في أروعِ صورة مِن صور الشجاعة والإباء والترفّع، وقد اتّخذَت طولَ حياتِها تقوى الله بضاعة، وذِكْرَ الله شاغلاً، وكانت تلك المرأةَ الغيورة، لا تسكتُ على باطل أو ظُلْم، حتّى خطبَتْ في الكوفة والشام، وفي المدينة حين عادتْ مِن مأساة كربلاء، فكتَبَ إلى يزيد واليهِ على المدينة عَمرُو ابن سعيد يُعْلِمُه بذلك، فأمر يزيد بإخراجها من المدينة، فأُخرِجَتْ عن وطنها ومدينة جَدِّها رسول الله ﷺ، مُبْعَدةً إلى الشام، وهنالك وقعَتْ عيناها الكئيبتانِ الحزينتان على آثارِ السَّبْي ومواضع رأس أخيها الحسين، فهاجت أحزانها بذكرياتٍ أليمة لم تُمهِلْها إلّا سُوَيعاتٍ قليلة، تركَتْها بعدَها جُثماناً رحلَتْ عنه روحُه، إذ لم تَبقَ بعد أخيها الحسين إلّا سنةً ونصفَ السنة، كابدت خلالَها فجائعَ طفِّ كربلاء، فدُفِنتْ في قرية تُدعى «الراوية»، يخاطبها الشاعر قائلاً:

أيا «راويهْ» طِبْتِ يا «راويهْ» ... دَعاكِ المُهيمنُ يا «راويهْ»
عَلَوتِ على هامِ بَدرِ الدُّجى ... هنيئاً لكِ الرتبةَ العالية
أتدرينَ مَن ضَمِنَتْها حشاكِ ... ومَن في رُباكِ غَدَتْ ثاوية!
ضَمِنْتِ العقيلةَ مِن هاشمٍ ... فبُورِكْتِ بالشامِ مِن ضاحية
أراويةَ الشامِ رِفقاً بِها ... فلا تُزعجي الجثّةَ الزاكية
فكم مِن خُطوبٍ ألمّتْ بِها ... وكم مِن جُروحٍ بها بالية
بكَتْكِ دماً يا ابنةَ المرتضى ... مَدامعُ شيعتِكِ الجارية
أتُسبَينَ في كربلا جَهرةً ... وما لكِ في نسوةٍ ثانية!
فللّهِ مِن صبرِ بنتِ البتول ... غداةَ اشْرَأبّتْ إلى الطاغية
وأين ابنةُ المرتضى والبتول ... وأين بها مَجلسُ اللاهية!
أيا بنتَ سيّدِنا المرتضى ... ويا خَفِراً بالقَضا راضية

رَزايـــاكِ قـد قـرّحـتْ للجفون فَـتَـبـكـيـكِ بـالأدمـعِ الـقـانـيـة
ومـا بَـرِحـتْ هـاطـلاتُ العيون بِـمَـثْـواكِ هـاطـلـةً هـامـيـة[1]

«فَقُتِلَ مَن قُتِل، وَ سُبِيَ مَن سُبِي، وَ أُقْصِيَ مَن أُقْصِي، وَ جَرَى الْقَضَاءُ لَهُمْ بِما يُرْجى لَهُ حُسْنُ الْمَثُوبَة، وَ كَانَتِ الأَرْضُ للهِ يُورِثُها مَنْ يَشاءُ مِن عِبادِهِ وَ الْعاقِبَةُ لِلْمُتَّقِين، وَ سُبْحانَ رَبِّنا إِنْ كانَ وَعْدُ رَبِّنا لَمَفْعُولاً، وَ لَن يُخْلِفَ اللهُ وَعْدَهُ وَ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيم، فَعَلَى الأَطائِبِ مِن أَهْلِ بَيْتِ مُحَمَّدٍ وَ عَلِيٍّ صَلَّى اللهُ عَلَيهِما وَ آلِهِما فَلْيَبْكِ الْباكُون، وَ إِيَّاهُم فَلْيَنْدُبِ النّادِبُون، ولِمِثْلِهِم فَلْتَدُرَّ الدُّمُوع، وَ لْيَصْرُخِ الصّارِخُون، و يَعِجَّ الْعاجُّون، أَينَ الْحَسَنُ أَينَ الْحُسَين، أَينَ أَبْنَاءُ الْحُسَين، صالِحٌ بَعْدَ صالِح، و صادِقٌ بَعْدَ صادِق، أَينَ السَّبِيلُ بَعْدَ السَّبِيل، أَينَ الْخِيَرَةُ بَعْدَ الْخِيَرَةِ، أَينَ الشُّمُوسُ الطّالِعَة، أَينَ الأَقْمَارُ الْمُنِيرة، أَينَ الأَنْجُمُ الزّاهِرة؟!»[2].

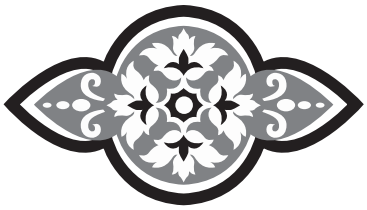

(١) أبيات مختارة من قصيدة في ٣٠ بيتاً لمحمّد حسنين السابقيّ، كما في كتابه (مرقد العقيلة زينب عليها السلام: ٢٤٢ ٢٤٣).

(٢) المزار الكبير: ٥٧٨.

رُكِّبَ السَّبَايَا

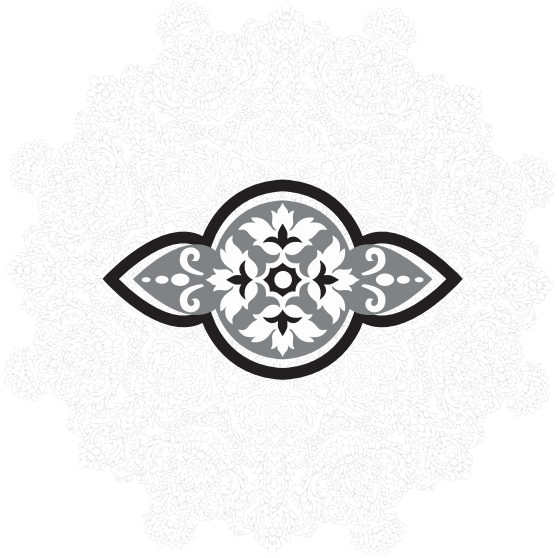

يـا وَيْحَـهُـمْ خـانُـوا الـنـبـيَّ وآلَـهُ ... كم مِن جِناياتٍ لَهُم وجرائمِ!
عَمَدوا لِهدمِ الدِّين بُغْضاً مِنهمُ ... لِلمصطفى.. ولحيدرٍ.. ولِفاطمِ
كم مِن دمٍ سَفَكوا، وكم مِن حُرمةٍ ... هَتَكُوا، كَذِي حَنَقٍ ونقمةِ ناقمِ
وبناتُ وَحْـيِ الله تُسبى بينَهُم ... مِـنْ ظـالمٍ تُهـدى لألـعـنِ ظـالمِ
وا لَهْـفَـتـاهُ لـزيـنـبٍ مَـسْـبِـيّـةً ... بينَ العِدى تَبكي بِدمعٍ ساجِمِ
وتَـرَى اليتامى والمُتونُ تَسَوّدَتْ ... بِسِياطِهِم ألَماً، ولا مِن راحِـمِ!
فإذابكَتْ ضُرِبَتْ، وتُشتَمُ إن شَكَتْ ... مِن ضاربٍ تشكو الهَوانَ وشاتمِ[1]

***

• مضَتْ تلك الساعاتُ العصيبة، والوقائع الرهيبة.. من نكبة عاشوراء، بمراراتها وغصصها التي لا تُوصف ولا تُتَصَّور، لتبدأ قصّةُ السَّبْيِ الأليمة بفصولها المريرة، بما لَمْ يَحْدُثْ في الإسلام ولن يحدث، إذ سُبيَ حريمُ الرسالة، وبناتُ النبوّة، ونساء الإسلام الطاهرات، أُخِـذْنَ أسرى من كربلاء إلى الكوفة ثمّ إلى الشام، بعد قتلِ أولادِهـنّ وأزواجِـهنّ، وإخوانِـهنّ وذَويهنّ من الركبِ الحسينيّ الشهيد. فرحلَتْ قافلةُ الأَسْر وسيّدُها الإمامُ عليُّ بن الحسين زينُ العابدين، وسيّدتُها العقيلة المكرّمة زينبُ الكبرى بنت الإمامِ عليٍّ أميرِ المؤمنين، وقد ضمّتْ تلك القافلةُ المُجلَّلة بالبهاء الإلهيّ جَمْعاً

(١) من قصيدة للخطيب السيّد مهدي السويج، أوردتها كرّاسةٌ في الزيارة الزينبيّة تحت عنوان (بداية الزيارة: ص ٢/ ٣) طبع مركز المعارف الدينيّة في لندن.

مِن النساء الأرامل والأطفال اليتامى من آل البيت النبويّ، ومن بيوتات الأصحاب والأُسَر الكريمة المخلصة لأهل بيت الوحي.. والكُلُّ في رعاية الأُمّ العطوف، والعمّة الرؤوف.. زينب، وما أدرانا مَنْ زينب صلوات ربّها عليها.

***

• في العام السادس الهجريّ وُلِدت العقيلةُ الطاهرةُ زينب في بيت النبوة والإمامة والقرآن، فعاشت أكثر من خمس سنوات في كنَفِ المصطفى صلى الله عليه وآله، وتنسّمت منه عطرَ الرسالة، ومن أبيها أمير المؤمنين نسائمَ الولاية، ومن أمّها عَبَقَ العبادة والعفاف واللطف والصبر.. وهي تَدْرج في ظلال القُدس ودار الوحي، وأجواء المَكْرُماتِ والفضائل بعد أن شَمِلها دعاءُ رسول الله صلى الله عليه وآله في أبَوَيها حينما زوّجهما قائلاً لهما: «**جَمَع اللهُ شملَكُما... وجَعَلَ نسلَكُما مفاتيحَ الرحمة، ومعادنَ الحكمة، وأمْنَ الأُمّة**»[1].

وشاء الله تبارك وتعالى أن يسكب مِن أنواره على العقيلةِ المكرّمةِ زينب عليها السلام، فتتجلّى فيها معاني العزّةِ والكرامة، فضلاً عن العلم والشرف والعبادة، والعقل والصبر والزهادة، والجلال والمهابة والسيادة.. فتعيش هذه المرأةُ في أهل بيتها تنصر الرسالة وتتحمّل المهامَّ العظمى، وتنصر أخاها الحسينَ إمامَ زمانها في نهضته الإلهية، بإيمانٍ راسخ، وبصيرةٍ نيّرة، وثباتٍ وعزيمة. ثمّ لتواصل مسيرتَه بعده في ثورةٍ أخرى تمتدّ إلى آخِر الدهر، تَروي لَوْحاتٍ من المكرمات والانتصارات الرساليّة التي هزّت قصور الظَّلَمة وعروشَ الطغاة.. وما تزال. وهي خلال ذلك ضمّت يداها الرحيمتان رعيلاً من الأيتام والأرامل الأَسرى، ترعاهم بحنانها ولطفها وأُمومتها.

هي زينبٌ.. لو كنتَ تَعْرِفُ زينبا ... شَأَتِ الورى أُمّاً، وبَزّتْهم أَبا
أُختُ الحسين.. ومَن أتمّتْ بَعدَهُ ... نَهْجَ الجهادِ.. وقارعَتْ نُوَبَ السِّبا
أَبْدَتْ جميلَ الصبرِ وهْيَ وَقورةٌ ... فكأنَّ ما لَقِيَتْهُ كان مُحَبَّبا

(١) ينابيع المودّة لذوي القربىٰ للقندوزيّ الحنفيّ ٢ : ٦٦ / ح٥٢ الباب ٥٥.

كَمْ شاهَدتْ شَجْواً، وعانَتْ مِحْنَةً يَعْيَى البيانُ لِهَولِها أن يُعْرِبا
رأتِ الحُماةَ مُجَزَّرينَ عَلَى الثَّرى وجُسُومُهم نَهْبُ الأَسنّةِ والظُّبا
رأتِ الرؤوسَ عَلَى الرماحِ مُشالةً والسَّوطُ يَقْرَعُ مَتنها إن تَنْحَبا
وَرَعَت يتامى صارِخينَ وما لَهُم مِنْ مُصْرِخٍ.. وحَمَتْ عليلاً مُتْعَبا[1]

* تجسّد الصبر شامخاً في العقيلة الكبرى زينب في ساحة كربلاء، حيث عاضدَتْ أخاها الحسين في شهادته، وتوجّهت به إلى الله جَلّ وعَلا بقلبٍ مفجوع: «إلهي تَقبّلْ مِنّا هذا القُربان». وكانت لها صرخةٌ في أوّل السَّبْي وقد مرّوا بركبِ الأُسارى على مصارع الشهداء، فنظَرْن النسوةُ إلى قتلاهنّ، فنادَتْ زينبُ بصوتٍ حزين وقلبٍ كئيب تنعى سيّد الشهداء: «**يا محمّداه، صلّى عليك مَليكُ السماء، هذا حسينُك مُرمَّلٌ بالدماء، مُقطّعُ الأعضاء، وبناتُك سبايا.. وذرّيّتُك مُقتّلَة، تَسْفي عليهم ريحُ الصَّبا.. بأبي من نَفْسي له الفداء، بأبي مَن شيبتُه تقطُر بالدماء، بأبي مَن هو سِبطُ نبيّ الهدى..**»[2].

وأمّا أمامَ طاغية الكوفة عُبيد الله بن زياد، فكانت زينب تلك اللّبوةَ الحيدريّة، إذْ لمّا سألَها شامتاً: كيف رأيتِ فِعْلَ الله بأهلِ بيتِكِ؟ إنبَرتْ إليه تُجيبُه، بل تَدمَغُه، قائلةً له: «**ما رأيتُ إلّا جميلاً، هؤلاءِ قومٌ كتبَ الله عليهمُ القتل، فبرزوا إلى مضاجعهم، وسيجمع الله بينك وبينهم فتُحاجَّ وتُخاصَم، فانظُرْ لِمَنِ الفَلَجُ يومئذٍ.. ثَكَلَتْكَ أُمُّك يا ابنَ مرجانة!**»[3].

وتلك خطبتُها في أهل الكوفة أردَتْهم آسِفين، حَسرى مَخْزِيّين، حتّى قال شيخٌ فيهم وقد اخضلّت لحيتُه بدموعه: بأبي وأمّي، كهولُهم خيرُ كهول، ونساؤُهم خيرُ نساء، وشبابُهم خيرُ شباب.

وفي الشام.. أذلّت يزيدَ بن معاوية في عرشه، وأَلْجَمتْه في خطبةٍ حيّرتْه ولم تَدَعْه إلّا

(١) من قصيدة للشيخ محمّد رضا آل صادق، اشتهرت في محافل الرثاء والعزاء، وأُدرجت في بعض كتب المصائب الحديثة.
(٢) لواعج الأشجان: ١٩٧/ ١٩٨.
(٣) مثير الأحزان: ٧١، وفيه «هَبَلَتك» بدلًا من «ثكلَتْك»، بحار الأنوار ٤٥ : ١١٦.

أن يقول مذهولاً من كلامها:

يـا صيـحةً تُحـمَـدُ مِـن صَـوائـحِ ما أهـونَ المـوتَ علَى النوائحِ![1]

***

وقضتْ زينبُ بعد واقعة طفّ كربلاء بسَنةٍ ونصف، لا أكثر.. وهي شهيدةُ الأحزان والفجائع، ليبقى التاريخ واقفاً لها بإجلال وإكبارٍ وإعظامٍ أنّها الصدّيقةُ الصغرى بعد أُمّها الزهراءِ الصدّيقة الكبرى، وأنّها وليّةُ الله، الراضيةُ بقضاءِ الله، الصابرةُ علَى ابتلاء الله، العابدة الشجاعة الفصيحة العاقلة الرشيدة، ربيبة المصطفى سيّد الأنبياء، ورضيعةُ سيّدة النساء.. ويبقى التاريخ في حيرةٍ وتساؤلٍ مُستغرِب:

ــ كيف جاز للقوم أن يَسْبُوا امرأةً مُكرَّمةً كـ «زينب»؟!

ــ ومِن أين ابتدعوا هذا الحُكْمَ الجاهليَّ ليُدخلوه في الإسلام، أن تُسبى الكرائم وحريمُ الرسالة وآلُ النبيّ؟! ثمّ يُطاف بهنّ في البلدان على مشاهد الملأ، ويُدخَلْن إلى قصور الطواغيت لِيتَشَمّتوا برسول الله ثأراً جاهليّاً عن بدرٍ وفتحِ مكّة! حتّى قال يزيدُهم:

نَعِبَ الغرابُ، فقلتُ: قُلْ أو لا تَقُلْ فلقَدْ قضيتُ من الرسولِ دُيوني[2]

وقال متبجّحاً:

قـد قتَلْنا الـقَـرْمَ مِـن سـاداتِهِـم وعَـدَلْـنـاه بِـبـدرٍ فـاعـتـدَلْ

لستُ مِـن خِـنْـدَفَ إنْ لم أنتقمْ مِـنْ بَني أحمـدَ مـا كـان فَـعَـلْ![3]

---

(١) الاحتجاج ٢ : ٣٧، ومثير الأحزان: ٨١، وبحار الأنوار ٤٥ : ١٣٥.

(٢) جواهر المطالب: ٥١، و ١٠٣، أعيان الشيعة ١ : ٥١٦. والبيت ليزيد بن معاوية مُعرباً فيه عن كفره، أنشده حين كان رأس النور والقداسة بين يديه.

(٣) يُنظَر: روضة الواعظين: ١٩١، والعوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٣٩٧، ولواعج الأشجان: ٢٢٦.

سِبطُ النبيِّ وشِبلُ الطُّهْرِ حيدرةٍ ... وابنُ البتولةِ مَن فاقَ الورى نَسَبا
فَهُدَّ ركنُ الهدى لمّا هوى وهوى ... نجمُ الفَخارِ وبدرُ السَّعْدِ قد غَرَبا
والمَكرُماتُ غَدَتْ تبكي دماً حُزُناً ... إذْ كان دونَ الورى أُمّاً لها وأبا
للهِ مِن فادحٍ أبكَى السماءَ دماً ... وزَلْزَلَ العرشَ بل قد هتّك الحُجُبا
وإن نَسِيتُ فلا أنسى حرائرَهُ ... مُستصرِخاتٍ لها جيشُ الضَّلالِ سَبى
أسرى سواغبَ قد أَودى بها ظَمَأٌ ... ونَوحُ أطفالِها قد زادَها وَصَبا [1]

***

* كان ذلك اليوم، يومُ عاشوراء، يوماً مَرُوعاً في حياة الدهر وتاريخ الإنسانيّة، أعقَبتْه ليلةٌ مُوحِشة يُسمَع فيها نحيبُ اليتامى وعويلُ الأيامى، أطفالٌ مَدْهوشون، ونساءٌ مذهولات، ودخانٌ يتصاعد مِن عند الخيام، إلّا خيمةً واحدةً تُرِكَت للسبايا مِن آل محمّد صلّى الله عليه وعليهم، وقدِ اختارَتْ أُسَرٌ نجيبة ونساءٌ نبيلات أن يَكُنّ مع حَرَم رسول الله ﷺ، يُشاركْنَ في السَّبي والأَسْر كما شارَكْن في تقديم الضحايا والقرابين في نُصرة أهل بيت المصطفى ومواساتهم.

وإذا كان الجميع في اضطرابٍ وحَيرة، فإنّ امرأة واحدةً منهنّ كانت هادئةً مستسلمة، مُلقاةً هناك على الأرض قريبةً من أجساد الشهداء، شهيدةً سعيدة بنصرتها، وبتضحيتها، وبشهادتها.. تلك كانت من بيت وَهبٍ الشهيد رضوانُ الله تعالى عليه.

(١) من قصيدة للشيخ عبد الحسين شكر، ينظر: رياض المدح والرثاء: ٣٣٣/ ٣٣٤.

* * *

* في أعلام النساء، يُذكَر أنّ أمّ وَهْبِ بن حَبابِ الكلبيّ كانت مِن ربّات الفُروسيّة والشجاعة والحميّة الإسلاميّة، وكانت مجاهدةً من المجاهدات، وقد حضرَتْ أرضَ كربلاء يومَ عاشوراء، وشَهِدَتْ ما جرى على آل الرسولِ مِن مصائبَ ومِحَن، وشاركَتْهم حين بَعَثَت ولَدَها وهبَ بنَ حَباب ليقاتلَ بين يَدَي إمامِه وسيّدِهِ ومولاه أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه، وكانت تُشجّعه وتحرّضُه على نصرة الحسين، ولا ترضى له دون الشهادة.. وهذه قصّتُها معه:

برز وهبُ بنُ حباب الكلبيّ فارساً مُرتجِزاً:

إنْ تُنكِروني فأنَا ابنُ الكلبي ... سوفَ تَرَوني وَتَرونَ ضَرْبي

ثمّ حمل عليهم.. ولم يزل يقاتل حتّى قَتَل جماعةً منهم، وكان عمره خمساً وعشرين سنة، وقد أسلم على يد الإمام الحسين قبل شهادته بعشرة أيّام، وكانت أمّه معه.. وقبل أن يبرز قالت له: قُمْ يا بُنَيَّ فانْصُرِ ابنَ بنتِ نبيّك، فأجابها: أفعلُ ذلك يا أُمّاهُ ولا أُقصّر.. فلمّا عاد بعد أن قَتَل جماعةً من قوم عمر بن سعد سألها: أَرضيتِ يا أُمّاه؟ فأجابَتْه: لا، حتّى تُقْتَلَ بين يَدَي مَولاكَ الحسين.

أمّا زوجة وهب، وقد كان مضى على عُرسها سبعة عَشَرَ يوماً فقط، فقد قالت له: أسألك بالله ألّا تفجَعَني في نفسِك. فقالت أمُّ وهب لولدها: لا تَقْبَلْ قولَها وارجعْ إلى مكانِك، وقاتِلْ بين يَدَي مولاك. فلمّا سَمِعتْ زوجتُه ذلك أقبلَتْ بزوجها إلى الحسين عليه السلام تقول له:

ــ يا ابنَ رسول الله، لي حاجتان: الأُولى أنّه إذا مضى عنّي وهب فأبقى بلا محامٍ ولا كفيل، فسلّمْني إلى أهل بيتِك، والثانية إذا قُتل وهب كان مع الحور العين فينساني، فجعلتُك يا مولاي شاهداً على ألّا ينساني. فلمّا سَمِع الحسينُ كلامها بكى بكاءً شديداً،

ثمّ أجاب سُؤلَها، وطيّب خاطرها.

وعاد وهب إلى القتال وهو يرتجز:

إنّي زعيمٌ لـكِ أمَّ وَهْـبِ بالطَّعنِ فيهم تارةً والضَّربِ
ضَرْبَ غلامٍ مؤمنٍ بالرَّبِّ حتّى يُذيقَ القومَ مُرَّ الحربِ

حَسبي إلهي مِن عليمٍ حَسْبي

فلم يزل يقاتل يميناً وشمالاً حتّى قتلَ تسعة عشَرَ فارساً واثنَي عَشَر راجلاً، فقُطِعتْ يمينه وشماله، فأخذتِ امرأتُه عموداً وأقبلَتْ نحوه تقول له: فداك أبي وأمّي، قاتلْ دونَ الطيّبينَ حَرَمِ رسول الله. فسألها: كنتِ نَهَيْتِني عن القتال، والآنَ جئتِ تُحرّضينني؟! أجابته: لا تَلُمْني يا وهب، فإنّي عفتُ الحياة منذُ سمعتُ نداء الحسين: **وا غُربتاه! وا قلّةَ ناصراه!** فقال لها وهب: اِرجِعي، فإنّ الجهاد مرفوعٌ عن النساء. قالت: لن أعود أو أموتَ معك. ثمّ أخَذَ ثوبَها بأسنانه لِيُرجعَها، فأفلتَتْ منه، فاستغاث بالحسين، فقال عليه السلام: «**جُزيتُم عن أهل بيتي خيراً، اِرجِعي إلى النساء بارك الله فيكِ؛ فإنّه ليس عليكنّ قتال.. يُصيبُك ما يُصيب أهل بيتي، وحالُكِ كحالِهم**».

***

ولحظات.. ويسقط وهب مثخَناً بالجراح، فتذهب زوجتُه إليه لِتمسحَ الدم عن وجهه، ومن بعيدٍ يُبصر بها شمر، فيأمر غلاماً له ليضربَها بعمودٍ شدَخَ بها رأسها فقَتَلها. وأُخِذَ وهب أسيراً، فأُتيَ به عمرَ بنَ سعدٍ فقال له: ما أشدَّ صَولتَك! ثمّ أمَرَ به فَضُرِبت عنقُه، ورُميَ برأسه نحو عسكر الحسين عليه السلام، فأخذتْ أمُّه الرأسَ وقبّلتْه وقالت له: الحمدُ للهّ الذي بيّض وجهي بشهادتك بين يَدَي أبي عبد الله.

ثمّ عَدَتْ على قاتله فقتلَتْه، وشدّت أمُّ وهب بعد ذلك بعمود الخيمة على القوم فقتلَتْ منهم رجلَينِ وهي تقول لهم: أشهدُ أنّ اليهود في بِيَعِها والنصارى في كنائسها

خيرٌ منكم. فناداها الحسين: **اِرجعي يا أُمَّ وهب**؛ فإنّ الجهاد مرفوعٌ عن النساء. فرجعت كئيبةً وهي تقول: إلهي لا تقطعْ رجائي. فقال لها الحسين عليه السلام: «**لا يقطعُ الله رجاءَكِ يا أمَّ وهب، أنتِ وولدُكِ مع رسول الله وذرّيّتِه في الجنّة**»[1].

ثمّ كانت مع آل رسول الله في السِّبا بعد يوم عاشوراء.

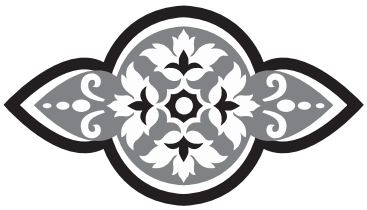

(١) يُنظَر: موسوعة شهادة المعصومين: ٢١١ / ٢١٢ / الرقم ١٢٤، بحار الأنوار ٤٥ : ١٧، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٢١٦.

فَصَبرتَ نفسَك حيث تلتهبُ الظُّبا ... ضرباً يُذيبُ فؤادَ كلِّ رَزينِ
والحربُ تَطحنُ شوسَها بِرَحاتِها ... والرعبُ يُلهِم حِلمَ كلِّ رَصينِ
والسُّمْرُ كالأضلاعِ فوقَكَ تَنْحني ... والبِيضُ تَنطبقُ انطباقَ جُفونِ
وقَضَيتَ نَحْبَك بينَ أظْهُرِ مَعْشرٍ ... حُمِلوا بأخبثِ أَظْهُرٍ وبُطونِ
وَأَجَلُّ يومٍ بعدَ يومِك حلَّ في الْـ ... إسلامِ منه يَشيبُ كلُّ جَنينِ
يومٌ سَرَتْ أسرى كما شاء العِدى ... فيه الفواطمُ مِن بَني ياسينِ
أُبرِزْنَ مِن حرمِ النبيّ، وإنّه ... حَرَمُ الإلهِ بواضحِ التبيينِ
مِن كلِّ مُحصَنةٍ هناك بِرغمِها ... أضحَتْ بلا خِدْرٍ ولا تَحصينِ
سُلِبَت وقد حَجَب النواظرَ نورُها ... عن حُرِّ وجهٍ بالعَفافِ مَصُونِ
قَذَفَت بِهِنّ يدُ الخُطوبِ بِقَفرةٍ ... هيماءَ صاليةِ الهَجيرِ شِطونِ
فَغَدَت بهاجرةِ الظهيرةِ بعدما ... كانت بِفَيّاحِ الظِّلالِ حَصينِ
حَرّى متى الْتَهَبَت حُشاشتُها ظَمأً ... طَفِقَت تُروِّحُ قلبَها بأنينِ
وحَدَت بها الأعداءُ فوقَ مَصاعبٍ ... تَرمي السهولَ من الفَلا بِحَزونِ[1]

***

* طلع فجرُ الحادي عشر من المحرّم بعدَ تلك الوقعة الرهيبة، يومَ قُتِل سيّد شبابِ

(١) ديوان السيّد حيدر الحلّيّ: ٤٥، من قصيدة في ٦٢ بيتاً يرثي فيها جدَّه الإمام الحسين عليه السلام ويندب الحجّة المنتظر عجل الله فرجه.

أهل الجنّة أبو عبدِ الله الحسين، وأهلُ بيته والخِيَرةُ من أصحابِه.. جاء أعوانُ عمر بن سعد بالإبل ليحملوا عليها كرائمَ الوحي ومُخدَّراتِ الرسالة إلى الكوفة، ولكنّهنّ طَلَبْن أن يُركِّبَ بعضُهنّ البعض، فسارَ بِهنّ الحادي من ساحة الطفّ، فشاهدَتْ بناتُ الرسالة، وفيهنّ فاطمةُ بنتُ الحسين، تلك الأبدانَ الزَّواكي على رمال كربلاءَ مقطّعةً متناثرة.. ثمّ سار ركْبُ الأسْرِ الحسينيُّ وفيه يتامى آل الرسول، وثواكلُ آل محمّدﷺ، مُتّجِهاً نحو الكوفة. أفيُعقَل ذلك؟! أجل، بذلك حدّثت كتبُ التاريخ ورواتُه وقالت: كان في الركب بنتٌ جليلة، هي فاطمة بنتُ الحسين.

***

* إنّ جلالةَ هذه العلويّةِ الطاهرة «فاطمةَ بنتِ الحسينِ بنِ عليٍّ ابنِ أبي طالب» وعِظَمَ شأنها، أوضحُ من أن يحتاج إلى بيان.. فهي عالمةٌ مُحدِّثة، تركَتْ آثاراً جليلةً في التاريخ الإسلاميّ، حتّى أنّها ساهمَتْ في نجاح ثورة أبيها الحسين صلوات الله عليه مع عمّتها زينب الكبرى وبقيّة أخواتها.

عُرفت بالعبادة والزهادة، وقد ضَرَبت خيمةً على قبر زوجها الحسنِ المثنّى بنِ الإمام الحسن المجتبى ﷺ، فكانت تصوم نهارَها وتقوم ليلَها إلى سنة. وكانت فاطمة بنت الإمام الحسين رضوانُ الله عليها من راويات عصرها.. قال ابنُ حَجَر العسقلانيّ في (تهذيب التهذيب): روَتْ عن: أبيها الحسين، وأخيها زينِ العابدين، وعمّتها زينبَ بنتِ عليّ، وجدّتِها فاطمة الزهراء، وابنِ عبّاس، وبلالِ المؤذّن، وأسماءَ بنتِ عُمَيس [1].

نعم، وكانت رواياتها على غايةٍ من الأهميّة.. ثمّ كان لها شرفُ إيداع الإمام الحسين وصيّتَه عندها.. كما جاء عن الإمام محمّدٍ الباقر ﷺ، «**أنّ الحسين سلام الله عليه لمّا حضره ما حضره، دعا ابنتَه الكبرى فاطمة فدفع إليها وصيّته في كتابٍ ملفوفٍ مُدْرَج، فلمّا**

(١) تهذيب التهذيب ١٢ : ٣١٢.

**استُشهد دفعَتْ ذلك إلى أخيها عليّ بن الحسين، ثمّ صار إلى آلِ البيت**عليهم السلام».. هكذا روى الكلينيُّ في (أصول الكافي)، وابنُ شهر آشوب في (مناقب آل أبي طالب) [1].

* * *

* وأمّا في شأنِ واقعة الطفّ الكبرى، فكانت فاطمةُ بنتُ الحسين قد خرَجَت مع أبيها إلى كربلاء، حتّى كان ما كان من البلاء والابتلاء، ودخَلَت الكوفة مع رَكْب السبايا، وكانت لها في قصر عُبيد الله بن زياد خُطبةٌ أذهلتِ العُتاةَ المَردة، افتَتَحتْ خطبتَها تلك بحمدِ الله تعالى والإقرارِ بالشهادتين، ثمّ عرضَتْ قصّةَ شهادةِ أبيها وإخوتها بأُسلوبٍ حكيمٍ وعباراتٍ رزينةٍ صوّرتْ فيها ألوانَ القتل والتمثيل، وترجمت خِلالَ ذلك أشجانَ القلوب، وأنّبت أهلَ الكوفة فخاطبتهم بقولها: أمّا بعدُ يا أهلَ الكوفة، يا أهلَ المَكْرِ والغَدْرِ وَالخُيَلاء! إنّا أهلُ بيتٍ ابتلانا الله بكم وابتلاكُم بنا، فجعل بلاءَنا حسَناً، وجَعَلَ عِـلْمَه عندَنا وفهمَه لدينا، فنحنُ عَيبةُ عِـلمِه، ووعاءُ فهمِهِ وحكمتِه، وحُجّتُه على الأرض في بلاده لعباده، أكرَمَنا الله بكرامته، وفضَّلَنا بنبيّهِ محمّدٍ صلى الله عليه وآله.. فكذّبتمونا، وكفّرتمونا، ورأيتُم قتالَنا حلالاً، وأموالَنا نهباً، كما قتلتُم جدَّنا بالأمس، وسيوفُكم تقطُر مِن دِمانا أهلَ البيت؛ لحقدٍ مُتقدِّم.. وَيْلَكُم! أتدرون أيّةُ يدٍ طاعنَتْنا منكم؟! وأيّةُ نَفْسٍ نزعَتْ إلى قتالنا؟! تبّاً لكم يا أهلَ الكوفة! أيُّ تِـراتٍ لرسول الله قِبَلَكم، وذُحولٍ له لديكم، ثمّ غدرتُم بأخيه عليٍّ بن أبي طالب عليه السلام جَدّي، وبَنيهِ عترةِ النبيّ الأخيار، وافتَخَر بذلك مُفتخِرُكم:

نحن قتَلْنا عليّاً وبني عليٍّ ... بسيوفٍ هِـنديّـةٍ ورِمـاحِ!
وَسَبَينا نساءَهم سَبْيَ تُرْكٍ ... ونَـطَـحْـنـاهُـمُ فـأيُّ نِـطـاحِ!

---

(١) يُنظَر: الكافي ١ : ٣٠٣ / ح ١ باب الإشارة والنصّ على عليّ بن الحسين صلوات الله عليهما، ومناقب آل أبي طالب ٣ : ٣٠٨.

حَسَدتُمونا ويـلاً لكم على ما فضَّلَنا الله تعالى!

فما ذَنْبُنا إنْ جاشَ دهرُ بُحورِنا وبحرُك ساجٍ لا يُواري الدَّعامِصا

﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾ (١)، ﴿وَمَنْ لَمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِنْ نُورٍ﴾ (٢).

عند ذلك ارتفعتِ الأصـواتُ بالبكاء والنحيب، وقالوا لها: حَسْبُكِ يا ابنةَ الطاهرين؛ فقد أحرقتِ قلوبَنا، وأنضَجْتِ نحورَنا، وأضرمتِ أجوافَنا!! فسكتَتْ (٣).

***

* ويُرحَّل ركبُ السبايا من الكوفة إلى الشام حتّى يُدخَلَ قصرَ الطاغية يزيد، ليشمت مِن رسول الله في قتل عترته، وقد وضع يزيدُ رأسَ الحسين في طستٍ من ذهب كما ذكَرَ اليافعيُّ في (مرآة الجِنان) وجاء في (الكامل) لابن الأثير أنّ النساء كنّ خَلْفَه، فقامت سكينةُ وفاطمةُ ابنتا الحسين تتطاولانِ للنظر إلى رأس أبيهما، فلمّا رأينه صرَخْن بالبكاء. وذكر الطبريُّ في (تاريخه) أنّ يزيد أخذ قضيباً، وجعل ينكتُ فمَ الحسين ويقول: يومٌ بيومِ بدر!

أمّا فاطمةُ بنتُ الحسين، فقد صرخت في القصر في وجه يزيد قائلةً له: أبَناتُ رسولِ الله سبايا يا يزيد؟! فبكى الناس، وبكى أهلُ داره، حتّى عَلَتِ الأصوات! (٤)

---

(١) سورة الحديد: ٢١.

(٢) سورة النور: ٤٠.

(٣) يُنظَر: الاحتجاج ٢ : ٢٧/ ٢٩، احتجاج فاطمة الصغرى على أهل الكوفة، ومثير الأحزان: ٦٧ / ٦٨.

(٤) يُنظَر: مجمع الزوائد ٩ : ١٩٥، والمعجم الكبير ٣ : ١٠٤/ ح١٠٦، وتاريخ مدينة دمشق ٧٠ : ١٤/ ١٥.

أبـا حَـسَـنٍ.. يا خـيرَ حـامٍ لِجـارِهِ أَبُـثُّ لك الشكوى بِدمعٍ مُرَقْرَقِ
فَناهِيكَ في رُزْءٍ تَـفـاقَـمَ وَقْـعُـهُ فأصبحَ فيه الدمعُ مِن بعضِ مَنْطِقي
فكَمْ لكَ في أرضِ الطُّفوفِ نَوادبٌ يَـنُـحْـنَ بِهـا نَـوحَ الحَـمامِ المُـطَـوَّقِ
وكـم طفلةٍ قد أرهَبُوها بِقسوةٍ وما عُوِّدتْ مِن قبلُ غيرَ التَّرَقْرُقِ
وكم حُرّةٍ حَسرى بَدَتْ مِن خِباً لَها وليس لَديها ساترٌ غيرُ مِرْفَقِ![1]

***

* ذواتُ النجابة والولاء من النساء المسلمات، لم يُطقْنَ أن يتركْنَ حرائرَ الوحيِ وكرائمَ الرسالة يَعِشْنَ المحنةَ العظمى في كربلاءَ لِوحْدِهنّ، فقد أقدَمْن على المواساة والتضحية، ثمّ دَخَلْن مع آل الله في مصيبة السَّبْيِ بعد أن دفَعْن بأزواجهنّ وأولادهنّ إلى ساحة الشهادة بين يَدَي إمامِ زمانهم أبي عبد الله الحسين ريحانة المصطفى ﷺ.

وكان مِن بينِ تلك المؤمناتِ المُواليات النجيبات.. أمُّ خَلَف زوجةُ مسلمِ بنِ عَوْسجة الشهيد السعيد الذي تشرّف بنصرة سيّدِ شباب أهل الجنّة الإمام الحسينِ بن عليّ، أولاً، ثمّ بالشهادة بين يديه، ثمّ بتأبينه، ثمّ بزيارة الإمام المهديّ صلوات الله عليه له، حيث خاطبه بقوله:

«**السلامُ على مُسلمِ بنِ عَوسجةَ الأسـديّ، القائلِ للحسين عليه السلام وقد أَذِنَ له في الانصراف ـ: أنحنُ نُخلّي عنك؟! وبِمَ نعتذرُ عند الله مِن أداءِ حقّك؟! لا واللهِ حتّى**

(١) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٣٨٤ السَّلْب!

**أكْسِرَ في صدورهم رُمحي هذا، وأضرِبَهُم بسيفي ما ثَبَت قائمُه في يدي، ولا أُفارقك، ولو لم يكن معي سلاحٌ أُقاتلُهم به لَقذفتُهم بالحجارة ولا أفارقُك حتّى أموتَ معك»**. ويواصل الإمامُ المهديُّ سلام الله عليه زيارته لمسلمِ بنِ عوسجة فيُخاطبه بالقول: «**و كنتَ أوّلَ مَن شَرى نفسَه، وأوّلَ شهيدٍ مِن شهداءِ الله قضى نَحْبَه** (أي من الأصحاب في كربلاء)، **فَفُزتَ وربِّ الكعبة، وشَكَر الله استقدامَكَ ومُواساتَك إمامَك، إذ مشى إليك** (أي الحسين عليه السلام) **وأنتَ صريعٌ فقال: يَرحمُك الله يا مسلمَ بنَ عوسجة. وقرأ: ﴿فَمِنْهُم مَنْ قضى نَحْبَه ومِنهُم مَن يَنتظرُ وما بَدّلُوا تبديلاً﴾. لعَنَ الله المشتركينَ في قتلك: عبدِ الله الضِّبابيّ، وعبدَ الله بنَ خُشْكارةَ البَجَلّي، ومسلمَ بنَ عبدِ الله الضِّبابيّ**»[١].

* * *

* وبرز مسلمُ بن عوسجة إلى ساحة كربلاء مُمتلئاً شجاعةً وبسالةً وغَيرة، وهو يرتجز قائلاً:

إن تسألوا عنّي فإنّي ذُو لَبَدْ  مِن فرعِ قومٍ مِن ذُرى بَني أَسَدْ
فَمَن بَغاني حائدٌ عنِ الرَّشَدْ  وكافرٌ بِدِينِ جبّارٍ صَمَدْ[٢]

وتابَعَه نافعُ بن هلال يعضده، فخرج رجلٌ مِن بني قطيعةَ قائلاً: أنا على دِينِ عثمان! فقال له نافع: أنت على دِين الشيطان! ثمّ حمل عليه نافع فقتله[٣]. فأخذ نافعٌ ومسلمُ بنُ عَوسجةَ يَجولانِ في مَيْمنةِ عسكر عمرِ بن سعد، فصاح عَمرُو بنُ الحجّاج: وَيْلكُم يا حمقى مهْلاً! أتَدرون مَن تُقاتلون؟! إنّما تقاتلون فُرسانَ المِصْر وأهلَ البصائر وقوماً مُسْتَميتين، لا يبرز منكم أحدٌ إلّا قتلوه على قلّتِهم![٤]

(١) يُنظَر: المزار الكبير: ٤٩١/ ٤٩٢، وإقبال الأعمال ٣ : ٧٦/ ٧٧، وبحار الأنوار ٤٥ : ٦٩/ ٧٠.
(٢) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٥١، كتاب الفتوح ٥ : ١٠٦، بحار الأنوار ٤٥ : ١٩.
(٣) يُنظَر: الإرشاد ٢ : ١٠٣، وبحار الأنوار ٤٥ : ١٩، وتاريخ الطبريّ ٤ : ٣٣١.
(٤) يُنظَر: تاريخ الطبريّ ٤ : ٣٣١، والكامل في التاريخ ٤ : ٦٧، وجواهر المطالب: ٢٨٦.

ثمّ حملَ عَمْرو بنُ الحجّاج نحو الفرات، فاقتتلُوا ساعة، وفيها قاتَلَ مسلمُ بن عوسجة، فشَدّ عليه جماعةٌ حتّى ثارت غُبرةٌ شديدة، ما انجلَتْ إلّا ومسلمٌ صريعٌ وبه رَمَق، فمشى إليه الحسين بنفسِه الطيّبة ومعه حبيبُ بن مظاهر وكان مسلم حتّى أنفاسِه الأخيرةِ ذلك المخلصَ الموالي الغيور، حيث دنا منه حبيبُ بن مظاهر فقال له: عَزّ عَلَيَّ مصرعُك يا مسلم، ولو لم أعلم أنّي في الأثر (أي على أثَرِك في الشهادة) لأحببتُ أن تُوصيَ إليّ بما أهمّك، فقال له مسلم: أُوصيك بهذا (وأشار إلى الحسين) أن تموتَ دونه، فقال حبيب: أفعلُ وربِّ الكعبة [1].

***

* وكانت لمسلمِ بنِ عوسجةَ زوجةٌ مؤمنة، مواليةٌ لأهل بيت العصمة، حضرَتْ معه في أرض كربلاء، وعاضَدَته في نُصرة سيّد الشهداء، حتّى صُرع مُخَضَّباً بدم الشهادة والكرامة.

كتب الشيخ ذبيحُ المحلاتيّ في (رياحين الشريعة) نقلاً عن عطاء الله الشافعيّ في (روضة الأحباب) أنّ زوجةَ مسلمِ بنِ عوسجة كان لها ابنٌ من زوجها مسلم يُسمّى «خَلَف»، لمّا سَمِع بمصرعِ أبيه وشهادته نهضَ كالأسد مندفعاً إلى ساحة المعركة، فاعترضه الحسين سلام الله عليه يمنعه ويُعْلِمُه أنّه إن قُتِل فستبقى أمُّه وحيدةً في هذه الرمضاء. فأراد خلَفُ الرجوع، وإذا بأُمِّه تعترضُه تتعجّلُ منعَه عن القعود، واقفةً في طريقه لتقول له: بُنَيّ، اِخْتَرْ نُصرةَ ابنِ بنتِ نبيّك على سلامة نفسِك، أمّا إذا اخترتَ سلامتَك فلن أرضى عنك أبداً! [2]

---

(١) أعيان الشيعة ٤ : ٥٥٥، تاريخ الطبريّ ٤ : ٣١١.

(٢) يُنظَر: موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: ٥٥٠/ ٥٥١/ الرقم ٤٤، عن الشيخ محمّد مهدي الحائريّ في (معالي السبطين ١ : ٣٨٠).

فبرز خلَفُ بنُ مسلمِ بنِ عوسجةَ للقوم، وحَمَل عليهم وهو يسمع أُمَّه تُناديه وتُشجّعه: أبْشِرْ يا ولدي، فإنّك ستُسقى مِن ماءِ الكوثرِ الساعةَ إن شاء الله تعالى. فقتلَ خلفٌ ثلاثينَ رجلاً، وبقيَ يقاتل ببسالةٍ وشهامةٍ حتّى نال شرف الشهادة، فلمّا سقط احتزّ اللُّؤماءُ رأسَه و رَمَوا به نحو أُمِّه، فتلقّتْه أمُّه واحتضَنَتْه وقبّلتْه، ثمّ بكتْ، وأبكَتْ مَن كان معها.. ثمّ دخلت في رَكْب السَّبايا مع حريم الرسالة بعد العاشر من المحرّم.

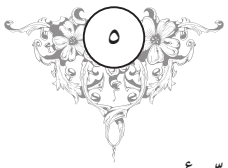


يـا حُـرمـةً هُـتِـكَـتْ لِـعـزّةِ أحمـدٍ فـيـهـا.. وعـــزّةُ ربِّـــهِ حُـرُمـاتُـهـا
أحُمـــاةَ دِيـــنِ الله كـيـفَ بناتُكُم ســاروا بهـا، والشامتونَ حُماتُها!
تطوي الفَلاةَ بها، وما ضاقَتْ على حربٍ بشُعْثِ خيولِكُم فَلَواتُها[1]

***

* كان من الصعوبة بمكانٍ أن يُصدَّق التاريخُ أنّ بنات الوحي وربائبَ بيت النبوّة تُسبى في كربلاء، وفيهنّ العقيلةُ زينب وأمُّ كُلثومَ ابنتا أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام! لكنْ هو ذلك الذي جرى وكان، فقد نهَضَت أُسرة الإمام الحسين عليه السلام في تكليفٍ إلهيٍّ خاصّ لِنصرة الدين وإنقاذه، وقد شاء الله تعالى أن يكنّ تلك النسوةُ العلويّاتُ المكرّماتُ سبايا؛ ليكون لهنّ دَورٌ خاصّ في نهضة عاشوراء، وقد كان ذلك، فجاء دَورُ أمِّ كلثومَ رضوان الله عليها معاضِداً لدَور أُختها العقيلةِ زينبَ الكبرى سلام الله عليها، بل ومتواصلاً مع الثورة الحسينيّة المباركة، مع شدّة الفاجعة وهَول المصيبة وعِظَمِ النكبة!

***

أمُّ كلثوم البنتُ الثانية للزهراء والمرتضى عليهما السلام، جَدُّها لأُمِّها رسولُ الله صلى الله عليه وآله، وجَدّتُها لأمِّها خديجةُ بنت خُوَيلد، وجدّتُها لأبيها فاطمةُ بنت أسد، وجَدُّها لأبيها حامي رسولِ

(١) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٤٩٧ المراثي. من قصيدة للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، في ١٦٢ بيتاً.

الله أبو طالب رضوانُ الله تعالى عليه وعليهنّ.

وُلدت أُمّ كلثوم في السنة السادسة من الهجرة النبويّة المباركة، فعاشت في كَنَف المصطفى أكثر من أربع سنوات، فلمّا نشأت في بيت الرسالة والإمامة تزوّجها عَوْنٌ ابن عمّها، ابن جعفرٍ الطيّار الشهيد رضوان الله عليه. شَهدت مأساة كربلاء وما تَبِعها من الأَسْر المرير، و رافقتها بوقائعها المفجعة من البداية إلى النهاية، ثمّ تُوفيّت في المدينة بعد عودتها من الشام بأربعة أشهر. وصَفَها أصحاب السِّير بأنّها كانت فهيمةً بليغة، جليلةَ القَدْر، ثقةً مِن فواضل نساء عصرها، وكانت ذاتَ زهدٍ وعبادةٍ وشَجاعةٍ وفصاحة، عظيمةَ المنزلة عند أهل البيت عليهم السلام. وتلك مواقفُها في وقائع النهضة الحسينيّة الشريفة ما زالت تُدوّي في أعماق التاريخ، شاهدةً لها بأنّها اللَّبوةُ العلويّة الغيورة.

أمُّ كلثوم ابنةُ أمير المؤمنين، وابنةُ سيّدة نساءِ العالمين، كانت قد حضرت أرضَ كربلاء تنصر إمامَ زمانها أبا عبدِ الله الحسين، فشَهِدتْ تلك الواقعةَ الرهيبة، وكلَّ ما جرى على إخوتها وأبنائِهم وأنصارهم، وكان لها مواقفُ بطوليّةٌ شامخة سجَدَ لها التاريخ.

* روى السيّد ابنُ طاووس في كتابه (اللهوف في قتلى الطُّفوف) أنّ أمَّ كلثوم نادَتْ حين وداعِ الحسين للعائلة قُبَيلَ شهادته: وا أحمداه، وا عليّاه، وا أُمّاه، وا أخاه، وا حُسيناه، وا ضَيعتَنا بعدك يا أبا عبد الله! فعزّاها أخوها الحسين: «**يا أُختاه، تَعَزَّي بعزاء الله..**»، وقال لها: «**أُوصيكِ يا أُخيّةُ بنفسي خيراً، وإنّي بارزٌ إلى هؤلاء**». وكان عليه السلام من وصاياه: «**يا أُختاه يا أُمَّ كُلثوم، وأنتِ يا زينب، وأنتِ يا فاطمة، وأنتِ يا رباب.. أُنظُرْنَ إذا أنا قُتِلتُ، فلا تَشْقُقْنَ عَلَيَّ جَيباً، ولا تَخْمِشنَ عَلَيَّ وجهاً، ولا تَقُلْنَ هُجْراً**»[1]. وسُوَيعة، وإذا بفرسِ الحسين يُقبِل إلى الخيام خَليّاً مِن فارسه، فوضعَتْ أُمُّ كلثوم يَدَيها على أُمّ رأسها ونادت: وا محمّداهُ وا جدّاه، وا أَبَتاهُ وا عليّاه، وا جعفراهُ وا حمزتاه، وا

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٤٩/ ٥٠.

حَسَناه! هذا حسينٌ بالعراء، صريعٌ بكربلاء، محزوزُ الرأسِ مِن القَفا، مسلوبُ العِمامةِ والرداء!! ثمّ غُشِيَ عليها [١].

***

* وفي الكوفة.. آهٍ من دخول الكوفة! في ذلك الأَسْرِ والرؤوسُ على الرماح الطويلة مُشالات، والأنظارُ مُتّجهة إلى السبايا.. مَن هؤلاء يا تُرى؟ أيُصدَّقُ أنّ مِثْلَ زينبَ أو أُمِّ كُلثوم وفاطمةَ بنتِ الحسينِ وسُكينة في ذلك الركْب؟! أمرٌ مُذهِلٌ حقّاً، وقد كانت الكوفة قُبَيل سنواتٍ قلائلَ عاصمةَ أبيهم أمير المؤمنين! فما الذي جرى، وكيف انقلب الناسُ على أعقابهم؟! تلك سبايا، وأولئك رؤوس الإخوة والأبناء وأبناء العمومة والأنصار، والناس يتفرّجون، فاشتدّ على أُمّ كلثوم وَجْدٌ ومُصاب، فصاحت بهم: يا أهلَ الكوفةِ سَوْأةً لكم، ما لَكم خَذلتُم حُسَيناً وقتلتموه، وانتَهَبْتم أموالَه ووَرِثتموه، وسَبَيتُم نساءَه ونَكبتموه؟! فَتَبّاً لكُم وسُحْقاً!

وَيْلَكُم! أتدرونَ أيُّ دَواهٍ دَهَتْكم، وأيَّ وُزْرٍ على ظهورِكم حَمَلتُم، وأيُّ دماءٍ سَفِكتُموها، وأيُّ كريمةٍ أَصبتُموها، وأيُّ صبيّةٍ سَلَبتُموها، وأيُّ أموالٍ انتهبتموها؟! قتلتُم خيرَ رجالاتٍ بعد النبيّ ﷺ، ونُزِعَتِ الرحمةُ مِن قلوبِكم، ألا إنّ حزبَ الله همُ الفائزون، وحزبَ الشيطانِ همُ الخاسرون!

ثمّ قالت:

قَتلتُم أخي ظلماً.. فوَيلٌ لأُمِّكُمْ ... ستُجْزَونَ ناراً.. حَرُّها يتوقَّدُ
سَفَكْتُم دماءً حَرَّم اللهُ سَفْكَها ... وحَرَّمها القرآنُ ثمّ مُحَمّدُ
ألا فابْشروا بالنارِ أنّكمُ غداً ... لَفي سَقَرٍ حقّاً يَقيناً تُخَلَّدوا
وإنّي لأبكي في حياتي على أخي ... على خيرِ مَن بَعدَ النبيِّ سَيُولَدُ

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ٦٠ في إحراق الخيام، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٣٠٤.

بدمعٍ غَـزيـرٍ مُستهِلٍّ مُكَفْكَفٍ عَـلَى الخَـدِّ منّي دائـماً ليس يَجمَدُ

قال الراوي: فضجّ الناس بالنَّوح والبكاء، ونَشرت نساءُ الكوفة شعورَهن تحت أقبيتهنّ، ووضَعْنَ الترابَ على رؤوسهنّ، وخَمَشْنَ وجوهَهنّ، ولطَمْنَ خدودَهُنّ، ودَعَونَ بالويل والثُّبور، وبكى الرجال، ولم يُرَ باكٍ ولا باكيةٌ أكثرَ مِن ذلك اليوم! (١)

«بِأَبِي أَنْتَ وَ أُمِّي يَا أَبَا عَبْدِ اللهَّ، لَعَنَ اللهُّ قَاتِلَك، وَ لَعَنَ اللهُّ خَاذِلَك، وَ لَعَنَ اللهُّ مَنْ سَمِعَ واعِيَتَكَ فَلَمْ يُجِبْكَ وَ لَمْ يَنْصُرْك، وَلَعَنَ اللهُّ مَنْ سَبى نِسَاءَك، أَنَا إِلَى اللهَّ مِنْهُمْ بَرِيء، وَ مِمَّنْ وَالاهُمْ وَ مَالأَهُمْ وَ أَعَانَهُمْ عَلَيْه» (٢).

(١) يُنظَر: بحار الأنوار ٤٥ : ١١٢.

(٢) جمال الأسبوع: ٢٩٨ عنه: بحار الأنوار ٩٤ : ٧٥/ ح ١ الصلاة على الحسين عليه السلام، وفيه: «ولَعَنَ اللهُ مَن سَمِع داعيتَك فَلَم يُجِبْك ولم يَنصُرْك».

وكم حُرّةٍ حَسرى بَدَتْ مِن خِباً لها ... وليس عليها ساترٌ غيرَ مِرفَقِ
هنالك لَو شاهدتَها تَنفثُ الشَّجى ... بقلبٍ مِن الوجدِ المبرِّح مُحْرَقِ
لَعزَّ أميرَ المؤمنينَ خروجُها ... عليك بحالٍ أحزَنَتْ كلَّ مُشْفِقِ[1]

***

* باتَ حريمُ رسول الله ﷺ ليلةَ الحادي عشر من المحرّم في أوحشِ حالٍ وأرهبِه، حيث الفاجعةُ العظمى بقتل وليِّ الله الحسين وأهل بيته وذويه وأصحابه، وها هي أبدانُهم الزاكية مقطّعةً متناثرةً تملأ صحراءَ كربلاء، وتلك أخبيةُ الركب الحسينيّ وخيامُه يتعالى منها دخانُ الحرائق، والقومُ كذئابٍ تُحيط بها مِن كلّ جانبٍ بعدَ غاراتٍ أُريدَ بها السَّلْب والنهب، فلا غَيرةَ تَردعُهم ولا إنسانيّةَ ولا حياء، بعد أن لم يكن لهم دِينٌ ولم يُؤمنوا بيوم المَعاد، ولم يُصبحوا أحراراً من شهواتِهمُ الدنيويّةِ الحيوانيّة.

وفي تلك اللّيلة، كان هنالك نسوةٌ مؤمنات صالحات، واسَينَ حُرَمَ النبيّ في مصيبتهنّ العظمى، فَلُذن بهنّ، وتجمَّعْنَ إليهنّ، وشاركنهنّ نكبتَهنّ، وإن خيّم عليهِنّ الرعبُ والاضطراب.. وكان مِن بينهنّ امرأةٌ نجيبةٌ لم يتعرّف عليها التاريخ إلّا كونَها عجوزاً أضعفَ قواها الزمنُ فعادت ضعيفةَ البدن، ومع ذاك كانت غيورةً تطفح شهامةً وعزّةً، وولاءً لأهل البيت عليهم السلام. فما قصّتُها تلك؟

***

(١) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٣٨٤/ ٣٨٥، السَّلْب!

* ذكَرَ أصحابُ المقاتل أنّ عجوزاً حضرتْ واقعةَ الطفّ يومَ عاشوراء مع الإمام الحسين عليه السلام، وذاك توفيقٌ لم يتسنَّ لكثيرٍ من الرجال، فشاهدتْ تلك العجوزُ بأُمِّ عينَيها ما جرى على آل الرسول صلى الله عليه وآله من المصائب والمحن، فشاركَتْهم في ذلك كلّه. وبعد شهادة زوجها بين يَدَي سيّده ومَولاهُ الحسينِ سلام الله عليه، نهضت العجوزُ رضوان الله عليها تُقدّم ولدَها وفلذةَ كَبِدِها؛ ليدافعَ عن إمام زمانِه أبي عبد الله الحسين عليه السلام وعن عياله الأطهار. وتلك قصّتُها يومَ عاشوراء:

* في كتابه (مقتل الحسين عليه السلام) كتب الخطيبُ الخوارزميّ الحنفيّ: ثمّ خرج مِن بعد ذلك شابٌّ قُتِلَ أبوه في المعركة، وكانت أُمُّه عندَه فقالت له: يا بُنَيَّ اخرُجْ وقاتِلْ بين يَدَي ابنِ رسول الله حتّى تُقتَل، فأجابَها ولدُها: أفْعَل. فخرج، فقال الإمام الحسين عليه السلام: «**هذا شابٌّ قُتِلَ أبوه، ولعلّ أُمَّه تَكره خروجَه**»، فقال الشابّ: أُمّي هي التي أمَرَتْني بذلك يا ابنَ رسول الله. فخرج وهو يقول:

أميري حسينٌ ونِعْمَ الأميرْ ... سُرورُ فـؤادِ البشيرِ النذيرْ
عـليٌّ وفـاطـمـةٌ والِـــداه ... فهَلْ تعلمونَ له مِن نظيرْ!

ثمّ قاتل رضوان الله عليه حتّى قُتِل، فاحتزّ القومُ رأسَه ورَمَوا به نحو عسكر الحسين، فأخذَتْه أُمُّه وخاطبَتْه بقولها: أحسنتَ يا بُنَيّ، يا قُرّةَ عيني وسُرورَ قلبي.. ثمّ قامَتْ فأخذَتْ عمودَ خيمة وحملَتْ على قوم عمرِ بن سعدٍ وهي تقول:

إنّي عجوزٌ في النسا ضعيفةْ ... بـالـيـةٌ.. خـاويـةٌ.. نحيفةْ
أَضرِبـكـم بـضربـةٍ عنيفةْ ... دونَ بَـني فـاطـمـةَ الشريفةْ

قال الراوي: فضَرَبَت رجلَينِ فقتلَتْهما، فأمَرَ الإمام الحسين عليه السلام بصرفها وإرجاعها إلى خيمتها، وقد دعا لها [1].

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام ٢ : ٢٥/ ٢٦، وبحار الأنوار ٤٥ : ٢٧/ ٢٨، في وصف القتال والحرب

عادت تلك العجوزُ إلى خيمتها، لكنّها في الحادي عشر من المحرّم أبَتْ إلّا أن تنضمّ إلى ركب السبايا مِن آل البيت عليهم السلام.

***

* ولم تزل كربلاءُ تُحدّثُنا عن المواقف الشامخة، مِن نساءٍ أخذَتْهُنّ الغَيْرةُ على كرائم الوحي و بنات الرسالة، ولو كان الأمرُ إليهنّ لقاتَلْنَ مِثْلَ الرجال، فاختَرْن الأسْر مع آل النبيّ على الحريّة مع أعدائهم.

* ذَكَر السيّد ابن طاووس في كتابه (اللهوف في قتلى الطفوف)، وكذا ابنُ نما في (مُثير الأحزان).. عن حُمَيد بن مسلم قال: رأيتُ امرأةً مِن بني بكرِ بن وائل، كانت مع زوجها في أصحابِ عمر بن سعد، فلمّا رأتِ القومَ أي بعد انتهاء المعركة قد اجتمعوا على نساء الحسين عليه السلام وفِسطاطِهنّ وهم يُسلّبوهنّ، أخذَتْ تلك المرأةُ سيفاً وأقبلَتْ نحو الفسطاط (أي المخيَّم) وصاحت: يا آلَ بكرِ بنِ وائل! أتُسلَبُ بناتُ رسولِ الله؟! لا حُكْمَ إلّا لله! يا لثاراتِ رسولِ الله! فأخذَها زوجُها وردّها إلى رَحْلِه [1].

* وفي (مقتل الحسين لأبي مخنف) و (تاريخ الطبري) و (تاريخ ابن كثير: البداية والنهاية) و (الكامل لابن الأثير).. أنّ رجلاً مِن بني عُلَيم اسمُه «عبدُ الله بن عُمَير» نزل الكوفة، فلمّا رأى الحسينَ قد جُعْجِع به نحو كربلاء قال: إنّي لأرجو ألّا يكونَ جهادُ هؤلاء الذين يغزونَ ابنَ بنت نبيّهم أيسرَ ثواباً عند الله من ثوابِه إيّايَ في جهاد المشركين. ثمّ أخبر زوجتَه بالأمر فقالت له: أصَبْتَ أصابَ اللهُ بك أرشَدَ أُمورِك، إفعَلْ وأخرِجْني معك. فخرج بِامرأتِه ليلاً حتّى أتَى الحسينَ فأقام معه [2].

---

وشهادة الشهداء ...، والعوالم: ٢٧١، ولواعج الأشجان: ١٦٤/ ١٦٥.

(١) اللهوف في قتلى الطفوف: ٧٧، مثير الأحزان: ٥٨/ ٥٩.

(٢) مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٢٣، تاريخ الطبريّ ٤ : ٣٢٦.

فلمّا كان القتال برز عبدُ الله بن عُمَير مستئذناً مولاه الحسينَ، فأذِن له قائلاً: «**إنّي لأحسَبُه للأقران قتّالاً**» (١). وإذا بامرأته ـ وتُدعى «أُمَّ وهب» تأخذ عموداً وتُقْبِل نحو زوجها تقول له: فداك أبي وأمّي، قاتِلْ دونَ الطيّبين مِن ذرّيّةِ محمّد. فأخذ يردّها نحو النساء وهي تجاذبُه ثوبَه وتقول له: لن أدَعَك دون أن أموتَ معك! فناداها الحسين عليه السلام: «**جُزِيتُم مِن أهل بيتٍ خيراً، اِرجِعي؛ فإنّه ليس على النساء قتال**». فانصَرَفت، ثمّ انضمَّت إلى نساء الحسين تندب الشهداء ومنهم زوجُها، ثمّ واصَلَت معهنّ مسيرَ رَكْبِ السِّبا (٢).

(١) البداية والنهاية ٨ : ١٩٦، مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٢٤.

(٢) يُنظَر: مقتل الحسين لأبي مخنف: ١٢٤، وتاريخ الطبريّ ٤ : ٣٢٧، والكامل في التاريخ ٤ : ٦٥ ٦٦، ولواعج الأشجان: ١٤٤.

وخيامُكم.. تلك التي أوتادُها شُهُبُ السماءِ وعرشُها داراتُها
بالنارِ أَضْرَمَها العدوُّ.. وأنتمُ أربابُها.. وحَريمُكم رَبّاتُها
فَرّتْ تَعادى في الفَلاةِ نَوائحاً حَيرى تُقطِّعُ قلبَها حَسَراتُها
حتّى إذا وقفَتْ على جُثثٍ لكُم طالَتْ عَلَيها للظُّبى وقفاتُها[1]

***

* كانت كربلاء امتحاناً كبيراً للمسلمين، ومَحَكّاً واضحاً لأهل الدين واليقين، ولأهل الجاهليّة والمرتدّين.. فقد تجرّأ القوم على قَتْل عترةِ رسول الله ﷺ، ثمّ عاجوا على أُسرتِه سلباً ونهباً وأسْراً مِن بلدٍ إلى بلدٍ باسمِ «الخوارج»، وإذا في السبايا: حفيدةُ المصطفى وابنةُ المرتضى وبضعةُ فاطمة الزهراء «زينب»، وجمعٌ من زوجاتِ أمير المؤمنين وخليفة المسلمين وحامي النبيّ «عليِّ بن أبي طالب»، كذا جمعٌ مِن بناتِه كرائم بيت الرسالة ومخدَّرات دار الوحي، وفيهنّ «أُمُّ هاني»، ومَن يا تُرى أمُّ هاني؟!

أمُّ هاني.. هي بنتُ أميرِ المؤمنين عليِّ بن أبي طالب سلام الله عليه، ذكَرَها: الشيخ الطبرسيّ في (تاج المواليد) و (إعلام الورى)، والمحدِّثُ الأمير جمالُ الدين الهرويّ في (الأربعين في فضائل أمير المؤمنين)، والشيخ رضيُّ الدين الحلّيّ في (العُدد القويّة).. تزوّجها ابنُ عمّها عبدُ الله الأكبرُ ابنُ عقيلِ بنِ أبي طالب، وهو الشهيد بأرض الطفّ

(١) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٤٩٨، والأبيات من قصيدة للشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء في ١٦٢ بيتاً.

في حملة آلِ أبي طالب بعد شهادة عبد الله ابن مسلم بن عقيل، حيث حملوا حملةً واحدة، فصاح بهمُ الحسين سلام الله عليه: «**صبراً علَى الموت يا بَني عُمومتي، واللهِ لا رأيتُم هَواناً بعدَ هذا اليوم**».

فوقَعَ فيهم عَونُ بن عبد الله بن جعفرٍ الطيّار وأمُّه العقيلةُ زينب ــ، وأخوه محمّدٌ وأمّه الخَوصاء ــ، وعبدُ الرحمنِ بنُ عقيلِ ابنِ أبي طالب وأخوه جعفرُ بن عقيل، ومحمّد بنُ مسلمِ بنِ عقيل رضوان الله تعالى عليهم [١].

***

هذا، وأمُّ هاني بنت أمير المؤمنين تنظرُ إلى الضحايا مِن بَني عمومتها يُقتَّلون ويُقطَّعون، فيتساقطون على رمال كربلاء، حتّى شاهدت ابنَ أخيها الحسنَ المثنّى ابنَ الإمام الحسنِ المجتبى وقد أصابتْه سيوفُ الأعداء بثماني عشَرَة جِراحة، وقُطِعت يدُه اليمنى، فتنحّى عن ساحة المعركة ولم يُستشهَد، وزوجته فاطمة ابنةُ عمّهِ الحسين عليه السلام، وكانت هي الأُخرى حاضرةً في كربلاء وقد شاهَدَت مع عمّتها أمِّ هاني تلك المشاهدَ المُروِّعة.

أمّا أمُّ هاني ابنةُ الإمام عليّ، فقد كانت تراقب تلك المعركةَ الدامية، وترى بأُمّ عينَيها كيف يُقتَّل آلُ أبي طالب الواحدَ تِلْوَ الآخر، حتّى خرج أخوها أبو بكرٍ ابنُ أمير المؤمنين واسمُه محمّد، فقتَلَه زَحْرُ بنُ بدر النَّخَعيّ.. بعده خرج ابنُ عمّها وزوجُها عبدُ الله ابنُ عقيلِ بنِ أبي طالب، فشاهدَتْه وهو يدافع عن حريم الإمامة، وينصر دينَه بغَيرةٍ وشهامة، فما زال يضربُ في القوم حتّى أُثخِن بالجراح، وإذا به يَهوي إلى الأرض، فيَجيئُه عثمانُ بن خالدٍ التميميّ لعنه الله فيقتله غدراً.

مِن شَيبةِ الحَمْدِ شُبّانٌ مشَتْ مَرَحاً  لِنُصرةِ الدين.. لا كِبْراً ولا تِيها

(١) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٣٢٨ حملة آل أبي طالب.

بَسّامةَ الثَّغْرِ والأبطالُ عابسةٌ تَفْترّ منها الثنايا عن لآليها
لو لم يكنْ همُّها نَيلَ السعادةِ ما أَبقَتْ علَى الأرضِ شخصاً مِن أعاديها[1]

***

* وهكذا كانت «أمُّ هاني ابنةُ عليِّ بنِ أبي طالب ﷺ»، تتلقّى تلك الفجائعَ بالصبرِ والرضى، ولم تنتهِ مصائبُها عند قتل زوجها وشهادته رضوان الله تعالى عليه، فقد ذكر الشيخُ الطبرسيّ، وكذا الشيخُ المجلسيّ، أنّ أُمَّ هاني وَلَدتْ من زوجِها عبدِ الله بنِ عقيل وَلَدين: أحدُهما عبد الرحمن، والآخر اسمُه محمّد كان قد استُشهِدَ يومَ عاشوراء في طفّ كربلاء مع خالِه أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه.. فتجرّعَتْ أُمُّه أُمُّ هاني غُصّةَ فراقه وهو شابٌّ يافع، أعقبَتْ ذلك غُصَصٌ لا تُوصَفُ ولا تُطاق، تلك كانت في سلسلة شهاداتٍ مقدّسةٍ تَقلَّدها أبو الفضل العبّاس أخوها من أبيها بعد شهادة إخوتها: عبدِ الله وعثمان وجعفر أولادِ أمير المؤمنين مِن أُمّ البنين رضوان الله عليهم أجمعين، وأمُّ هاني تنظر إليهم بقلبٍ كسيرٍ كئيبٍ وعينٍ غرقى، ثمّ جِيء لها بابن أخيها عبد الله الرضيع مذبوحاً في قماطِه من الوريد إلى الوريد، ثمّ كانت الفاجعةُ المذهلة العظمى بشهادة سيّد شباب أهل الجنّة أخيها أبي عبد الله الحسين، حيث ضجّت غُبرةٌ حمراءُ سوداء، وانقلبت العوالم، وكان ما كان من الوحشة والرعب، ثمّ الأسرُ المرير والسَّبْي إلى قصور الطواغيت العُتاة، في مسيرٍ شاقٍّ مع ركب السِّبا!

(١) مقتل الحسين ﷺ (حديث كربلاء): ٣٢٩/ ٣٣٠.

وفي السّبْيِ ممّا يَصطفي الخِدْرُ نِسْوةٌ ... يَعزُّ على فتيانِها أن تُسَيَّرا
حَمَتْ خِدْرَها يَقْظى ووَدَّتْ لِنَومِها ... تَرُدّ عليها جفنَها لا علَى الكَرى
مَشَى الدهرُ يومَ الطفِّ أعمى فَلَمْ يَدَعْ ... عِماداً لها إلا وفيه تَعَثّرا
وجشّمَها المَسْرَى بِبَيداءَ قَفْرةٍ ... ولم تَدْرِ قبلَ الطفِّ ما البِيدُ، ما السُّرى
ولم تَرَ حتّى عينُها ظِلَّ شخصِها ... إلى أن بَدَتْ في الغاضريّةِ حُسَّرا[1]

***

* قد لا يصدّق المرء وهو يمرّر نظراته على بعض أسطر التاريخ.. حين يقرأ أنّ أدعياءَ خلافة رسول الله يُجيزون لأنفسهم أن يُصْدِروا حُكْماً وضعيّاً ظالماً بأسرِ المسلمات الأرامل والأطفال اليتامى وسَبْيِهم، ومَن يا تُرى أُولئك السبايا؟! إنّهم أُسرةُ النبيّ وحُرَمه الشريفة، وذَراريه وأبناؤه الأطياب صلوات الله عليهم، جاؤوا ليأمروا بالمعروف ويَنْهَوا عن المنكر، وليُصلحوا شأنَ هذه الأُمّة التي انحرفتْ مع حكّامها المفسدين المحرِّفين! فإذا بالأمر ينجرّ إلى القتل والقتال، والمُثلةِ بالأجساد الزاكية، ورفعِ الرؤوسِ علَى الرماح، ثمّ سَبْيِ الأُسَرِ الكريمة مِن آل البيت وأشراف العرب وعوائل الإيمان والجهاد، وكان بينهنّ بناتُ خليفةِ المصطفى عليٍّ أمير المؤمنين: زينبُ وأمُّ كلثوم، وأُمُّ هاني.. والأُخرى رُقيّة، ومَن يا ترى تلك رقيّة؟

***

(١) ديوان السيّد حيدر الحلّيّ: ٣٣، من رثائيّته لجدّه الإمام الحسين عليه السلام في ٤٨ بيتاً.

* جاء في بعض التواريخ في ذِكْرِ أمير المؤمنين عليه السلام: أنّ مِن أبنائه: عُمَر و رُقيّة، وأمُّهما تَغلِبيّة أُمُّها الصهباءُ بنتُ ربيعة أمِّ حبيبِ بنِ عبّاد، مِن سَبِيّ اليمامة أو عَينِ تَمْر، إشتراها أمير المؤمنين عليه السلام فوَلَدتْ له عُمَرَ الأطرف و رُقيّة، وكانا توأمَين كما ذكر الشيخُ الطبرسيُّ في (تاج المواليد) وكذا في (إعلام الوَرى بأعلام الهدى) و ذكر الأمير جمالُ الدين المحدِّثُ الهرويّ في كتاب (الأربعين في فضائل الإمام أمير المؤمنين) أنّ عُمَر و رُقيّةَ كانا تَوْأَمينِ أمُّهما أمُّ حبيب بنتُ ربيعةَ التغلِبيّة [1]، وكان خالد ابن الوليد قد سباها ظُلماً في غارته على آلِ مالكِ بن نُوَيرة، فأخرجها أمير المؤمنين عليه السلام من الأَسْر وهي مسلمة، بأنِ اشتراها ثمّ تزوّجها، فكان له منها ابنتُه المكرَّمة رقيّةُ التي عاضدَتْ أخاها الحسينَ ورافقَتْه إلى كربلاء، وعاشت مِحَنَه المُمِضّةَ المَهُولة!

* * *

* ذَكَر جملةٌ من المؤرّخين والنسّابة، ومنهم: محمّدُ بن حبيب البغداديّ البصريّ في كتابه (المُحبَّر)، وأبو الفَرَج الأصفهانيّ في (مقاتل الطالبيّين)، وابنُ الأثير الجَزَريّ في تاريخه المعروف بـ (الكامل).. أنّ رقيّةَ ابنةَ عليّ بن أبي طالب رضوان الله عليها، تزوّجَتْ بابنِ عمِّها مسلمِ بن عقيل بن أبي طالب رضوان الله عليه، فكان لها منه ولدٌ يُدعى «عبدَ الله بنَ مسلم».

إذن، فرُقيّةُ بنتُ الإمام عليّ هي زوجةُ مسلم الشهيد، الذي اشتهَرتْ قصّتُه أنّه كان سفيرَ الإمام الحسينِ ومبعوثَه إلى أهل الكوفة، وقد بعثوا إليه بآلاف الرسائل أن أقدِمْ علينا فليس لنا إمام، فبعث عليه السلام إليهم بكتابه وفيه: «وأنا باعثٌ إليكُم أخي وابنَ عمّي،

(١) يُراجَع في تحقيق ذلك: سفير الحسين مسلم بن عقيل للشيخ عبد الواحد المظفّر: ١٤/ ١٥، والشهيد مسلم بن عقيل للسيّد عبد الرزّاق الموسويّ المقرّم: ١٥٧.

وثقتي مِن أهلِ بيتي، مسلمَ بنَ عقيل» [١]، لكنْ كان منهم الخذلانُ ثمّ الغدر، فحُوصرِ مسلم في بيت طوعة، وما هي إلّا ساعةٌ قاتَلَهم فيها بروحٍ علَويّةٍ غيورةٍ شامخة، كان فيها وقيعتُهم به بأمانٍ كاذبٍ غادر وحَفيرةِ خيانة، ثمّ قُتل بقطع الرأس ورميِ البدن الشريف مِن أعلى قصر الإمارة، ثمّ سُحِب في أسواق الكوفة وسِككِها.

هذا والإمامُ الحسين ﷺ يقطع طريقَه نحو كربلاء، وقد بلغ أحَدَ منازلِ سَفَرِه في منطقةٍ تُدعى «زَرُود»، فأتاه خبرُ مسلمِ بنِ عقيل هناك أنّه غُدِر به وقُتل، فاسترجع ﷺ كثيراً وترحّم عليه مراراً، وبكى، وبكى معه بنو هاشم، وكَثُر صراخُ النساء.. وبينهنّ زوجتُه وابنةُ عمّه رقيّةُ بنتُ أمير المؤمنين، حتّى ارتجّ الموضعُ لقتل مسلم، وسالتِ الدموعُ كلَّ مَسيل.

***

* يذكر المؤرّخون بعد هذا أمرين: الأوّل أنْ كان لمسلم بن عقيل طفلةٌ تُدعى «حَميدة»، مَسح الإمام الحسين وهو خالها على رأسها حين أتاه نَعْيُ أبيها مسلم، فأحسّت باليُتْم، فدعا ﷺ بناته وأُخته العقيلةَ زينب إلى احتضانها وتسليتها.[٢]

مَسَحَ الحسينُ برأسِها، فاستَشْعَرت ... باليُتْمِ، وهْيَ علامةٌ تكفيها
لم يُبْكِها عَدمُ الوثوقِ بعمِّها ... كلا، ولا الوَجْدُ المُبرِّحُ فيها
لكنّها تبكي مَخافةَ أنّها ... تُمسي يتيمةَ عَمِّها وأبيها [٢]

والأمر الثاني الذي يذكره المؤرّخون هو أنّ رقيّة كان لها ولدٌ مِن زوجها مسلمِ بن عقيل يُسمّى «عبدَ الله» قُتِل يومَ كربلاء، هكذا ذكر: ابنُ الأثير في (الكامل)، وأبو

(١) بحار الأنوار ٤٤: ٣٣٤، العوالم الإمام الحسين ﷺ: ١٨٤، لواعج الأشجان: ٣٦.

(٢) أبيات اشتهرت على ألسن الخطباء، ورشحت من أقلام أرباب المقاتل والمصائب ومن أفواه الأدباء، ولم تُنسَب، وقد ذُكِرَت كثيراً في بعض المؤلّفات، منها: ثمرات الأعواد للخطيب عليّ بن الحسين الهاشميّ النجفي ١ : ١٥١.

الفَرَج في (مقاتل الطالبيّين)، والطبريّ في (تاريخه)، والبلاذريُّ في (أنساب الأشراف).. وغيرُهم، أنّه بعد شهادةِ عليٍّ الأكبر سلام الله عليه خرج عبدُ الله بنُ مسلمِ ابن عقيل بنِ أبي طالب، وأُمُّه رقيةُ الكبرى بنتُ أمير المرمنين عليه السلام، وهو يقول:

اَلـيـومَ ألـقـى مُـسـلـماً وهْـوَ أبي وفِتْـيـةً بـادوا عـلى دِيـنِ النبي[٣]

فقَتَلَ جماعةً في ثلاث حَمَلات، حتّى رماه يزيدُ بن الرَّقّادِ الجُهَنيّ بسهمٍ فاتّقاه عبدُ الله بنُ مسلم بيده، فسُمِّرتْ إلى جبهته، فما استطاع رضوان الله عليه أن يَقلعَها عن جبهته، فتوجّه إلى الله تعالى بالدعاء: اَللّهمَّ إنّهمُ استَقلُّونا، واستَذَلُّونا، فاقتُلْهم كما قتلونا.

وبينما هو على هذه الحال، إذْ حَمَل عليه رجلٌ برمحه فطعَنَه في قلبه فاستُشهِد، فجاء إليه يزيدُ بن الرقّاد لعنه الله فأخرَجَ سهمَه طامعاً فيه من جبهةِ عبد الله، فاستلّه، إلّا أنّ نَصْلَ السهم بقيَ في جبهته فقضى شهيداً[٤].. ففُجِع به خالُه الإمامُ الحسين وبكاه، كما فُجِعتْ به أمُّه رقيّة وهي تشاهد تلك المشاهد الرهيبة، ومصارعَ الأحبّة والأعزّة على رمضاء كربلاء، تصبر وتصابر، وتحتسب ذلك في سبيل الله تعالى، حتّى رحلَتْ عن أرض الطفّ في ركب السّبا.

(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٥٤، العوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٢٧٥، لواعج الأشجان: ١٧١.

(٤) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٣٢٧/ ٣٢٨، عبد الله بن مسلم.

وأعظمُ ما يُشجي الغَيورَ حَرائرٌ تُضامُ.. وحاميها الوحيدُ مُقيَّدُ
فَمِن مُوثَقٍ يشكو التشدُّدَ مِن يدٍ ومُوثَقةٍ تبكي فتَلْطِمُها اليدُ
كأنّ رسولَ الله قالَ لِقومِهِ: خُذواوِتْرَكُممِنعترتيوتَشدَّدوا![1]

***

* كان من المشيئة الإلهية الحكيمة، أن يصطحبَ الإمامُ الحسين ﷺ وهو الوليُّ العارف أُسرتَه المكرَّمة إلى كربلاء، وكان في تلك الأُسرة الشريفة: أَخَواتُه.. وبناتُه.. وزوجاتُه، وجَمعٌ من النسوةِ الطاهرات من زوجات أهل بيته وأصحابه الأوفياء؛ ليَرى الجميعُ تلك المشاهدَ العاشورائيةَ الأليمة، فينقلوها إلى الناس ثمّ إلى الأجيال، كما وصلَتْنا نحن وكما ستصل إلى الأمم القادمة من البشريّة، وليتحمّلوا ذلك العناءَ المرير، فتعرفَ هذه الأمّة أنّ المتسلّطين على رِقابِهم مِن بني أُميّة قومٌ لم يُسْلموا قَطّ، بل لم تبرد قلوبُهُمُ الجاهليّة من الحقد على الرسول والرسالة، فكانوا يترقّبون.. حتّى جاءت واقعةُ كربلاء فكُشِفت أقنعتهم وسقطَتْ لِتظهرَ تلك الوجوهُ الكالحة التي تُقرأ في قَسَماتِها نزعاتُ الحميّةِ حميّةِ الجاهليّة الأُولى، فيَهجم القوم على آل الرسول قتلاً وتمثيلاً، وسلباً ونهباً، وأسْراً وسَبْياً، وكان مِن بين السبايا امرأةٌ جليلة مِن بني ثَقيف، تلك هي ليلى بنتُ أبي مُرّةَ عُروةَ بنِ مسعود، الثقفية، زوجةُ الإمام الحسين وأمُّ وَلَدِهِ عليٍّ الأكبر.

---

(١) مقتل الحسين ﷺ (حديث كربلاء): ٤٣٦، والأبيات من قصيدة للسيّد صالح مهدي بحر العلوم.

***

* كانت ليلى الثقفيّة رضوان الله عليها امرأةً عظيمةَ المنزلة، شاركَتْ آلَ البيت أحزانَهم، إذْ نالت من الإيمان والحَظْوةِ عند الله تبارك وتعالى حتّى وُفِّقتْ لأن تكون مع نساء أهل بيت النبوّة، تعيش في ظلالهم، وتشاطرُهم شؤونَ حياتهم.. فعُرِفت بالرُّشْد والجلالة والسموِّ وعُلُوِّ المكانة ورِفعةِ الشرف. وكيف لا وقدِ اقترنَتْ بسيّدِ شباب أهل الجنّة أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه، سبطِ المصطفى وثمرة فؤاد الصدّيقة الزهراء وحبيبِ المرتضى.

ثمّ كانت ليلى الثقفيّة وعاءً طاهراً وحِجْراً زاكياً لعليّ الأكبر فِلذّةِ كَبدِ الحسين، عكفَتْ عليه تُغذّيه من طِيبها وحنانها وحُنوِّها ولبنها.. حتّى نشأ غلاماً يافعاً يَدْرُج بين يَدَي أبيه وإمامه أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه، يُعاضدُه ويُطيعه ويُسلِّمُ له، حتّى نال من أبيه دعوةً مباركة إذْ قال له: «**جَزاك الله مِن وَلَدٍ خيرَ ما جَزى وَلَداً عن والدِه**»[1]. ثمّ قرأ ﷺ قوله تعالى: ﴿**ذُرِّيَّةً بَعْضُهَا مِنْ بَعْضٍ وَاللهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**﴾ (آل عمران: ٣٤).

***

* عاشت ليلى الثقفيّة في أجواءِ بيت الرسالة، وهي صابرةٌ مُحتسِبة، تتحمّل مع آل البيت ما وقع عليهم من ألوان الأسى والظُّلم، حتّى إذا أَعدّ الإمامُ الحسين صلوات الله عليه رَحْلَه إلى أرض الشهادة في طفّ كربلاء، نهضت ليلى أُمُّ عليّ الأكبر هي الأخرى مع وَلَدِها تجهّز عُدّةَ السفر الحسينيّ الذي ستعيش فيه نكباتِ فَقْدِ الأحبّة، ثمّ آلامَ السِّبا والأسْرِ المُمِضّ.. فواصلَتْ رحلتَها تعضُد زوجَها بذلك الوفاء المخلص، وهي تراه إمامَها المُطاع، تُواكبه وتخضع بين يديه، وكم خفق قلبُها في مواقفَ عصيبة، كان منها حين برز مهجةُ قلبها ولدُها عليّ الأكبر إلى ميدان القتال، وهو مرآةُ الجمال النبويّ، أشبهُ

(١) روضة الواعظين: ١٨٠، الإرشاد ٢ : ٨٢، بحار الأنوار ٤٤ : ٣٧٩/ ٣٨٠.

الناس بِجَدِّه المصطفى خَلْقاَ وخُلُقاَ ومنطقاً، حتّى كان إذا اشتاق المشتاقون إلى رسول الله نظروا إلى وجهِ عليّ الأكبر، فلمّا أراد توديع أخَواتِهِ وعمّاته تعلّقْنَ بأذياله وهُنّ يقلن له: اِرحمْ غُرْبَتَنا يا عليّ. وأمُّه ليلى حائرةٌ تودّعُه بعينَينِ مُغْرَورقتَين، ولا تكاد تستطيع أن تراه بين الأعداء، فتدخل الخيمة وتضرعُ إلى الله تعالى بالدعاء له، وتنظر في وجه الحسين لتقرأ في مُحيّاه المبارك علاماتٍ لعلّها تفهمُ منها سلامةَ ولدِها، فتراه لم يتمالكْ دون أن يُرْخيَ عينَيهِ بالدموع، وتسمعُه يدعو على قتَلَةِ ولده، وتشاهده يبكي على ظمأ حبيبه وليس لديه ما يَسقيه. وأخيراً.. تراه يَهرع إلى ولده ينكبّ عليه واضعاً خدَّه على خدِّه وهو يقول له: «**عَلَى الدُّنيا بَعدَك العَفا**» (١)، ثمّ لا يقوى على حْمَله، فيدعو فتيانَ بني هاشم إلى نقله إلى خيمته، وليلى تمنعها مَهابةُ الحسين أن تصرخ، فتلوذ وراء الخيمة، حتّى إذا فَزِعْنَ بناتُ الوحي إلى البدن المقطَّع المضرَّج الموزَّع، ألقَتْ ليلى نفسَها على ولَدِها عليّ الأكبر وغصّتْ بالنحيب وقد أحاطت بها العقيلةُ زينب وأُمُّ كلثوم، وسكينة وفاطمة ابنتا الحسين أخَواتُ عليّ الأكبر، وجمعُ نساءِ آل البيت، صارخاتٍ نادبات، والحسين يقول لهنّ: «**اسكُتْنَ إنّ البكاء أمامَكُنّ!**» (٢).

***

تلك هي ليلى الثقفيّة، امرأةٌ طاب منبتُها، وقدِ استمدّتْ كرامتَها من إيمانها وولايتها وانتسابها للأُسرة المحمّديّة الشريفة، وارتباطِها بوشائج الإمامة الحميمة، حتّى انغمرتْ في آلِ البيت مُخلِصةً وَفيّةً مُحِبّةً صادقة، تتحمّل معهم المصائبَ والنوائب، وتعيش معهم الفجائعَ والأحزان، فتفقد ولدَها الطيّبَ عليّاً الأكبر، ثمّ تُفجَع بزوجِها سيّد الشهداء، وتمضي في مسيرة السَّبي الأليم، لتقضيَ بعد ذلك عُمراً في لواعج الحزن وأشجانِ ذكرياتِ كربلاء.. أفمِثْلِ هذه المرأةِ الكريمةِ تُؤسَر، وتُساق في رَكْبِ السِّبا؟!

(١) مقاتل الطالبيّين: ٧٦، مناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٥٧، المزار الكبير: ٤٨٧.

(٢) ينابيع المودّة ٣ : ٧٨.

وحـائـراتٌ.. أطـارَ القومُ أعيُنَها رُعباً.. غَداةَ عليها خِدْرَها هَجَمُوا
فغُودِرتْ بين أيدي القومِ حاسرةً تُسبى.. وليس لها مَن فيه تَعتصِمُ
نَعَم لَـوَتْ جِيدَها بالعَتْبِ هاتفةً بقومِها.. وحَشاها مِلْؤُه ضَرَمُ![1]

***

* العَرَب.. حتّى في العُرْفِ الجاهليّ، كانوا يأبَون ويستنكفون من أَسْرِ المرأة وضربها، فليس ذلك من المروءة ولا الرجولة ولا البطولة في شيء؛ لذا ترفّعوا عن سَبْي النساء العاديّات، فكيف بالنسوة الكريمات؟! ولا ندري بعد ذلك أين بنو أُميّةَ من الأعراف القَبليّة، ثمّ أين هم من الأحكام الإسلاميّة، وقد سَبَوا حرائرَ الرسالة وكرائمَ العرب في كربلاء، لم يكن لهم دينٌ يمنعُهم عن ذلك ولا حياء، ولا شهامةٌ ولا إباء، ولا حتّى عروبةٌ ولا جاهليّة! وقد دعاهُم الإمام الحسين عليه السلام إلى خُلُقٍ إنسانيّ عَرفَتْه العرب قبل الإسلام؛ تَنَزُّلاً منه سلام الله عليه معهم، حين صاح بهم في ساحة كربلاء:

ـ «**يا شيعةَ آلِ أبي سفيان! إنْ لم يكن لكم دِين، وكنتُم لا تخافون المَعاد، فكونوا أحراراً في دُنياكُم، وارجِعُوا إلى أحسابِكُم إنْ كنتُم عُرُباً كما تَزعُمون**»[2].

***

* إنّ سبايا كربلاء صفوةٌ من نساءٍ فاضلات، عُرِفن بالجلالة والمنزلة الرفيعة في

(١) ديوان السيّد حيدر الحلّيّ: ٤٢، من قصيدة يرثي بها جدّه الإمام الحسين عليه السلام في ٦٥ بيتاً.
(٢) يُنظَر: عمدة الطالب: ٧، وبحار الأنوار ٤٥ : ٥١، والعوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٢٩٣.

المجتمع، وقد رافَقْنَ الإمامَ الحسين صلوات الله عليه في سفرهِ الإلهيِّ المقدّس إلى طفّ الشهادة بكربلاء، بعد أن ناصَرْن إمامَ زمانهنّ، وقدّمنَ فِلذّاتِ أكبادِهنّ، واخْتَرْنَ الأَسْرَ مع العقيلة الكبرى زينب وعائلةِ سيّد شباب أهل الجنّة.. إحداهنّ: كبشةُ أمُّ سليمان، مولاةُ الإمامِ الحسين، كانت رضوان الله عليها عالمةً فاضلة مِن ربّاتِ البِرّ والإحسان، اشتراها الإمامُ الحسين ﷺ بألف درهم وعاشت في بيت إحدى زوجاته، وهي أمُّ إسحاق بنتُ طلحةَ التَّميميّة، وقد تزوّج كبشةَ هذه أبو رَزين فوَلَدتْ سليمانَ الذي قدّمتْه بين يَدَي سيّده وإمامه ومولاه أبي عبد الله الحسين مجاهداً ثمّ شهيداً، وقد خصّه الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف بسلامٍ خاصّ في زيارته لشهداء كربلاء، فقال: «السلامُ على سليمان، مَولَى الحسينِ بنِ أميرِ المؤمنين، ولعَنَ الله قاتلَه سليمانَ بنَ عَوفِ الحَضْرميّ»[1].

وسليمانُ هذا هو الذي أرسله الإمامُ الحسين صلوات الله عليه بكُتُبٍ إلى رؤساء الأخماس والأشراف بالبصرة حين كان ﷺ ما يزال في مكّة قبل توجّهه إلى كربلاء.. هكذا ذكَرَ أربابُ السِّيَر والمقاتل، فجاء سليمانُ بالكتاب بنُسخةٍ واحدةٍ إلى جميع أشراف البصرة.. وقيل بأنّ مُنذرَ بن الجارود قدّمه إلى عبيدِ الله ابن زياد حينما كان والياً على البصرة، فأمَرَ بضرب عنُقِه. أمّا أمُّه كبشة فقد قَدِمَت مع الإمام الحسين ﷺ إلى كربلاء، وشاهَدَت كلَّ ما جرى على آلِ الرسولِ مِن مصائبَ ورزايا، وصبَرتْ واحتسَبتْ، وانضمّت إلى ركْبِ السِّبا مِن آل محمّدﷺ.

***

* وأما المرأة الأخرى فَهي فكيهة زوجةُ عبدِ الله بن أُرَيْقِط، كانت مُحِبّةً لأهل بيت الوحي والرسالة، فخدمَتْ زوجةَ الإمام الحسين «الرباب»، وقد ولَدَت مِن زوجِها عبدِ

(١) المزار الكبير: ٤٩١، إقبال الأعمال ٣ : ٧٦، بحار الأنوار ٤٥ : ٦٩.

الله غلاماً طيّباً يُدعى «قارِباً»، دفعَتْه أُمُّه فكيهةُ لأَنْ يُقاتِلَ بينَ يَدَي إمامِ زمانه الحسينِ بنِ عليّ، فتقدّم مبارزاً حتّى نال شرفَ الشهادة على أرض كربلاء، ثمّ نال الشرف الآخَر حين زاره الإمام الحجّةُ المهديّ (أرواحنا فداه) قائلاً: «**السلامُ على قارِبٍ مَولَى الحسينِ بنِ عليّ**» [١]. قال أصحابُ المقاتل:

خَرَج قارِبُ بنُ عبدِ الله الدُّؤَليّ مع الحسين مِن المدينة إلى مكّة، ثمّ إلى كربلاء، واستُشهِد في الحملةِ الأُولى قُبيلَ ظهيرةِ عاشوراءَ بساعة. أمّا أُمُّه فكيهة رضوان الله عليها، فقدِ انضمّتْ إلى ركبِ الأُسارى الذين بعَثَهم ابنُ زيادٍ إلى الشام، حيث واسَتْ هذه المرأةُ النجيبة عيالَ الحسين بما جرى عليهم من الأذى والضَّيم والأَسْر.

***

* وتلك جاريةٌ نبيلةٌ من جواري سيّد الشهداء، تُدعى «حَسَنيّة»، هي والدةُ مُنجِحِ بن سَهْم، وكان الإمام الحسين عليه السلام قدِ اشتراها مِن نَوفلَ بنِ الحارث بن عبد المطّلب، ثمّ زوّجها من «سهم» فولدَت منه غلاماً شَهْماً هو «مُنْجِح»، جاءَتْ به أُمُّه الكريمة المؤمنة إلى واقعة الطفّ بكربلاء، وشهِدَت معه تلك المشاهدَ المَهُولة، فدَعَتْه إلى نُصرة إمامه أبي عبد الله الحسين، فاستجاب لا يأمل إلّا الشرفَ الرفيع حتّى ناله.

قال أصحابُ المقاتل: خرَجَ مُنْجِحُ بنُ سَهْمٍ من المدينة مع وُلْدِ الإمامِ الحسن في صُحْبةِ الإمام الحسين عليه السلام، ولمّا تبارز الفريقانِ في كربلاء، قاتلَ مُنْجِحٌ قتالَ الأبرار، فعطفَ عليه حسّانُ بن بكرِ الحنظليُّ فقَتَله، وذلك في أوائل المعركة يومَ عاشوراء.. فأكرمه الإمام المهديّ المنتظر صلوات الله عليه بزيارته قائلاً: «**السلامُ على مُنْجِحٍ مَولَى الحسينِ بن عليّ.. السلامُ عليكُم يا خيرَ أنصار، السلامُ عليكُم بِما صَبَرتُم فنِعْمَ عُقبَى الدار، بَوّأَكمُ الله مُبَوَّأَ الأبرار**» [٢].

(١) المزار الكبير: ٤٩١، إقبال الأعمال ٣ : ٧٦، بحار الأنوار ٤٥ : ٦٩.

(٢) المزار الكبير: ٤٩١/ ٤٩٥، إقبال الأعمال ٣ : ٧٦ / ٨٠.

أمّا أُمُّ مُنْجِح «حسنيّة»، وهي المفجوعةُ بوَلَدِها، ثمّ بإمامها، فقد طوَتْ حياتها على الحزن بعد أن شَهِدَت تلك المصائبَ والمحن العظمى، وواسَتْ آلَ المصطفى فيما نزل بهم من البلاء العظيم، حيث كانت في السبايا إلى الكوفة ثمّ إلى الشام، حتّى عادَتْ مع الركب الحسينيِّ الشريف إلى المدينة، فعاشَتْ في بيت الإمام زين العابدين عليِّ بن الحسين سلام الله عليه.

***

* ومن بلاد فارس كما كان سلمانُ من أهلِ البيتِ كانت شَهْربانو زوجةً للإمام الحسين عليه السلام مُنْضمّة إلى أهل البيت، حضرَتْ معه أرضَ كربلاء، وعاشَتْ محنتَه الكبرى مع عيالاتِه المفجوعة، وكان لها طفلٌ فرّ من الخيمة حائراً خائفاً مرتعشاً، ينظر يميناً وشمالاً، فحَمَل عليه هاني بن ثُبَيتٍ فضرَبَه، فقتَلَه وهو بين يدَيِ الحسين، وهناك عند باب الخيمة أمُّه شَهْربانو وقفَتْ مدهوشةً لا تدري ماذا تفعل، فعاشت فجيعتَه، وضمّتْ صراخَها إلى صراخ أُسرة آل الرسول، ثمّ انضمّت إلى ركْب السِّبا في سفرِه الكئيب.

أَأُخَـيَّ ما لَكَ عَنْ بناتِك مُعْرِضاً والكلُّ مِنك بمَنظَرٍ وبِمَسْمَعِ؟!
أَأُخَــيَّ مـا عـوَّدْتَـنـي مِنك الجَفا فَعلى مَ تَجفوني وتَجفو مَن مَعي؟!
فأجابَها مِـن فـوقِ شاهقةِ القَنا: قُضِيَ القضاءُ بما جرى، فاستَرْجِعي
وتكفَّلي حـالَ اليتامى وانظُري ما كنتُ أصنعُ في حِماهُم فاصنعي[1]

***

* إنّ واقعة كربلاء كانتِ امتحاناً عظيماً امتاز فيه الناس، حتّى فُرزَ فيهم المرتدّون والمنافقون، والمستسلمون.. الذين لم يَدخُلِ الإيمانُ في قلوبِهم قطّ، وبَقَوا على نعراتِهمُ الجاهليّة، فظهَرتْ يومَ عاشوراء، وكان من صُورِها العجيبة سَبْيُ بنات الرسالة، ومنهنّ: سكينةُ بنتُ الإمام الحسينِ بن أمير المؤمنين عليِّ بنِ أبي طالب.

جَدُها الأعلى: رسولُ اللهﷺ، وجَدّتُها: فاطمةُ الزهراء سيّدةُ نساء العالمين، وعمُّها: الإمامُ الحسنُ المجتبى، وعمّتها: زينبُ عقيلةُ آلِ أبي طالب، وإخوتُها: الإمامُ زينُ العابدين، وعليٌّ الأكبر وعليٌّ الأصغر عبدُ الله الرضيع شهيدا كربلاء، صلوات الله عليهم أجمعين.

كانت سكينة مِن بعد عمّتها سيّدةَ نساء عصرها، عقيلةَ قريش، ذاتَ عقلٍ و رأيٍ وسيرةٍ مُثلى، وقد وصَفَها أبوها الإمامُ الحسين ﷺ بأنّ الغالبَ عليها الاستغراقُ مع الله

(١) من قصيدةٍ للشيخ محمّد بن شريف بن فلاح الكاظميّ، اشتهرت على ألسن الخطباء في مجالس العزاء والرثاء، وأُدرجت في بعض كتب المصائب.

تبارك وتعالى. وقد أحبَّها سلام الله عليه حبّاً خاصّاً، كما اعتزّ بأُمِّها «الربابِ القُضاعيّة» رضوان الله عليها، حتّى نُسِب إليه قولُه:

**لَعَمْرُك إنّني لأُحبُّ داراً تَحُلُّ بها سُكينةُ والرَّبابُ**
**أُحبُّهما.. وأَبذُلُ جُلَّ مالي وليس لِلائمي فيها عتابُ**
**ولستُ لهم وإن عَتَبُوا مُطيعاً حياتي، أو يُغَيِّبُني التُّرابُ**[1]

***

* رافقت سكينةُ سلام الله عليها أباها وإمامَها الحسينَ صلوات الله عليه في رحلته المُقدّسة إلى كربلاء؛ لتعيشَ هناك فجائعَ الطفِّ وواقعةَ عاشوراءَ المُذهلة، وهي تنظر إلى إخوتها وأعمامها وبني عمومتها وأصحاب أبيها الأوفياء، يُقتَّلون ويقطّعون، فتعيش مع أهل بيتها تلك الأحزانَ والفجائعَ المريرة.. ومنها أن تستقبلَ أخاها عبدَ الله الرضيع ذبيحاً من الوريد إلى الوريد بسهمٍ حرملة، ولم يكن له من العُمر إلّا ستّةُ أشهر، فتَذهَل حين تراه على تلك الحالة. فإذا سَمِعَت أباها عند باب الخيمة مودِّعاً: «**يا سكينةُ، يا فاطمةُ، يا أُمَّ كُلثوم، يا رقيةُ يا عاتكةُ يا صفيّة، عليكُنّ منّي السلام**»[2].. ارتفع منها النحيبُ والبكاء مع كرائم الوحي، فيضمُّها أبوها الحسينُ إلى صدره الشريف ويقبّلها، ويمسح دموعَ عينَيها بكُمِّه ويقول لها:

سيطولُ بعدي يا سكينةُ فاعلَمي مِنكِ البكاءُ إذا الحِمامُ دَهاني
لا تُحرقي قلبي بدمعِكِ حَسْرةً ما دامَ مِنّي الروحُ في جُثماني
فإذا قُتِلْتُ فأنتِ أَولى بالذي تأتينَهُ.. يا خِيرةَ النِّسوانِ[3]

(١) يُنظَر: تاريخ مدينة دمشق ٦٩ : ١٢٠، والمنتخب من ذيل المذيَّل: ٢٥، وإسعاف الراغبين لابن الصبّان المصريّ الشافعي بهامش: نور الأبصار: ٢١.
(٢) يُنظَر: ينابيع المودّة ٣ : ٧٩، وبحار الأنوار ٤٥ : ٤٧، والعوالم الإمام الحسين عليه السلام: ٢٨٩.
(٣) مناقب آل أبي طالب ٣ : ٧٩ و٢٥٧.

ثمّ كانت الدهشة بعد المصرعِ الفجيع، إذْ يُقبِل الجَواد إلى الخيام مُحَمْحِماً، فتخرج سكينةُ من خيمتها وَسطَ غُبرةٍ عاصفةٍ فتصرخ: وا قتيلاه! وا حُسَيناه! وا غُربتاه! وا كُربتاه! ويخرج باقي الحرم يلطمن ويَصِحْن: وا مُحمّداه!

ويكون الأسْرُ والسَّبْي، وتبدأ الرحلةُ الكئيبة ابتداءً من المرور على أرض المعركة، فترى سُكينةُ جسَدَ أبيها في تلك الهيئة التي لا تُوصَف على صعيد كربلاء، فلا تملك نفسها إلّا أن تَهويَ عليه تتزوّد من توديعه في غُصصٍ مُحتضِرة، ثمّ لا تُنحّى إلّا بالقَهْر والسياط اللّئيمة. فإذا انتهَت رحلةُ السّبا إلى المدينة، صاحَتْ سُكينة: يا جَدّاه! إليك المشتكى ممّا جرى علينا. ثمّ دخلت دارَ أبيها المُوحِشة لتُقيمَ فيها عزاءَها المديد مع نساء آل بيتها وهنّ متسربلاتٌ بسوادِ الحزن وذكريات النائبةِ العظمى.

***

* تلك سكينةُ ابنةُ سيّد شبابِ أهل الجنّة.. كانت في رَكْب السِّبا، وكانت أمُّها معها في تلك الرحلة الأليمة، وأمُّها هي الربابُ ابنةُ امرئِ القيسِ بنِ عَدِيّ، القُضاعيّةُ الكلبيّة، اقترنت بالإمام الحسينِ امرأةً مخلصة، وكانت كما وصَفَها أبو الفَرَج الأصفهانيّ من خيار النساءِ وأفضلِهِنّ، كما كانت ذاتَ عقلٍ وأدبٍ رفيعَين، فاعتزّ بها الإمامُ الحسين واعتزّتْ به، حتّى نهضتْ معه إلى أرض النكبات في كربلاء، لتعيش مع آل البيت مصائبَهم العظمى، ولتقدّم طفلَها الرضيع عبدَ الله بقماطه وهو ابنُ ستّة أشهر إلى أبيه عَلَّه يُسقى ماءً وقد تلظّى قلبُه ظمأً فأخذ يُحرّك شفتَيه يطلبُ قطراتٍ تُنقذه من الموت، فإذا بسهمٍ حرملةَ يذبحه من الوريد إلى الوريد، فتراه أمُّه الرباب.. فتَذهَل لِما ترى، ولا تكاد تصدّقُ عينَيها، وتضمُّه إلى صدرها تُقنع نفسها أنّه سيرتضع منها شيئاً يُفيق به، وقد أحاط بها نسوةُ آل البيت باكياتٍ نادبات، واجتمعن حولها حلقةً وقد ارتفعت أصواتُهنّ بالعويل.

ولهفي على أُمِّ الرضيعِ وقد دَجا عليهاالدُّجى..والدَّوحُ ناحَتْ حمائمُهْ
فمُذْ لاحَ سَهْمُ النَّحْرِ ودّتْ لَوَ انّها تُشاطِرُه سَهْمَ الرَّدى وتُساهِمُهْ
أقَلَّتْه بالكفَّيْنِ تَرشِفُ ثغرَهُ وتَلثِمُ نحْراً قَبلَها السهمُ لاثِمُهْ
بُنَيَّ لقد كنتَ الأنيسَ لِوحشتي وسَلْوايَ إذْيسطومِن الهَمِّ غاشِمُهْ[1]

وبعد الفاجعةِ العظمى بشهادة الإمام الحسين صلوات الله عليه، وجَدَتِ الربابُ عليه وَجْداً شديداً، حتّى رُويَ أنّها أقامت على قبره سنةً كاملة، وقيل إنّها أخذت الرأسَ الشريف ووضعَتْه في حِجْرها وقبّلَتْه، وخاطبَتْه بقولها:

وا حُسَيناً.. فلا نَسِيتُ حُسَيناً أقْصَدَتْه أسِنّةُ الأعداءِ
غادَروه بِكربلاءَ صريعاً لا سَقَى اللهُ جانبَيْ كربلاءِ[2]

وكانت قد واصلَتْ مع حَرَم آل البيت مسيرة السَّبْي، وهي في حزنٍ عميقٍ دائمٍ جفّت معه دموعُها من كثرة البكاء، فأعلَمتْها بعضُ النسوة أنّ السَّويق يُسيل الدمعة، فدَعَتْ أن يُصنَعَ لها السَّويق لاستدرار الدموع.. وكان من رثائها أبا عبد الله الحسين عليه الصلاة والسلام قولُها فيه:

إنّ الذي كان نوراً يُستضاءُ بهِ بكربلاءَ قتيلٌ غيرُ مَدفونِ
قد كنتَ لي جبلاً صعباً ألوذُ بهِ وكنتَ تَصحَبُنا بالرَّحْمِ والدِّينِ
مَن لليتامى.. ومَن للسائلين.. ومَن يُغني، ويَأْوي إليه كلُّ مِسكينِ؟!
واللهِ لا أَبتغي صِهْراً بصِهْرِكُمُ حتّى أُغيَّبَ بينَ الرَّمْلِ والطِّينِ[3]

---

(١) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٥١٩، من قصيدة للشيخ محمّد تقي عبد الرسول آل صاحب الجواهر في ٤٤ بيتاً.
(٢) لواعج الأشجان: ٢٢٣، أعيان الشيعة ١ : ٦٢٢.
(٣) أعيان الشيعة ٦ : ٤٤٩.

ومُـثيرُ الأشـجـانِ رُزْءُ الأَيـامـى مُذْ وعَت بالصَّهيلِ صوتَ الجوادِ
فـرأتْ في الصَّعيدِ مُلقىً حِماها هَشَّمتْ صـدرَه خُيولُ الأعـادي
فَدَعَتْ والجُفونُ قَرحى.. وفي القَلْـ ـبِ لهيبٌ مِـن الأسـى ذُو اتّقادِ
أجِمَـى الضائعاتِ بَـعَـدكَ ضِعْنا في يـدِ النائباتِ حَـسْرى بَـوادي
أوَ مـا تنظرُ الـفـواطـمَ في الأَسْـ ـرِ..وسِتْرُالوجوهِمنهاالأيادي؟![1]

***

* كان مِن بينِ كرائم الرسالة وحرائرِ الوحي وبناتِ آل الرسول الأكرمﷺ في أُسارى كربلاء، امرأةٌ جليلة هي فاطمةُ بنتُ الإمامِ الحسنِ الزكيّ بنِ الإمام أمير المؤمنين عليّعليه السلام، إذْ ذكَرَها الشيخ الطبرسيُّ في (إعلام الورى بأعلام الهدى) مع أخَوَيها: الحسينِ «الملقَّب بالأثرم» وطلحةَ ابنَيِ الإمام الحسن سلام الله عليه، وقال: أُمُّهم أمُّ إسحاق بنتُ طلحةَ التَّيميّ. وإلى هذا ذهب الشيخ المفيد في (الإرشاد)، وابن شَهْرآشوب في (مناقب آلِ أبي طالب).

وفاطمة.. هذه العلوية الطاهرة، تنتمي إلى أشرفِ حَسَبٍ ونَسَب، فَجدُّها الأعلى رسولُ الله، ثمّ أمير المؤمنين عليّ، وجدّتاها خديجةُ الكبرى ثمّ فاطمة الزهراء صلوات الله عليهم. أمّا أبوها فالحسنُ المجتبى وعمُّها الحسين، وهما سيّدا شبابِ أهل الجنّة. وأمّا

(١) الأبيات من قصيدة لعبد الحسين شكر، ذات أربعين بيتاً، وبداية مطلعها:غاب عنّي الكرى ... يُنظَر ديوانه: ٢١.

زوجُها فابنُ عمِّها الإمامُ عليّ بن الحسين زينُ العابدين سلام الله عليه، ومنها كان وَلَدُه الإمامُ محمّد الباقر عليه السلام.

وكانت فاطمةُ بنت الإمام الحسن ذاتَ علمٍ وفضلٍ وشرف، وحياءٍ وعفّةٍ عالية، وقد نُسِبت لها كرامات، كما يذكر الشيخ الكلينيّ في (أصول الكافي) عن ولدها الباقر عليه السلام أنّه قال: «**كانت أمّي قاعدةً عند جِدارٍ فتصدّع الجدار، وسَمِعْنا هِدّةً شديدة، فقالت بيدِها: لا وحقِّ المصطفى، ما أَذِنَ اللهُ لك في السقوط. فبقيَ معلَّقاً في الجوّ حتّى جازَتْه، فتصدّق أبي عنها بمئةِ دينار**». وفيها قال حفيدُها الإمام جعفرُ الصادق عليه السلام كما يروي الكلينيُّ أيضاً ـ: «**كانت صدِّيقةً لم تُدرَكْ في آلِ الحسنِ عليه السلام امرأةٌ مِثْلُها**» [١].

***

* حضرَتْ هذه العلويّة المكرَّمة فاطمةُ بنت الإمام الحسن مع عمّها الإمامِ الحسين عليهما السلام، إلى جَنْبِ زوجِها الإمام السجّادِ عليِّ بن الحسين وولدِها الإمامِ الباقر وكان عمرُه المبارك بين الثالثة والرابعة فعاشت المِحَن العظمى التي انصبّت على آل البيت، ومنها شهادةُ أخيها القاسمِ بن الحسن المجتبى وعمرُه ثلاث عَشْرةَ سنة ـ، وبقيّةُ الشهاداتِ المفجعة التي انتهَتْ بشهادة عمّها أبي عبد الله الحسين صلوات الله عليه. وقد توزّعَتْ حيرتُها بين مصائبَ عدّة، منها: مَرَضُ زوجِها السجّاد عليه السلام، وكان في الخيمةِ يُغمى عليه ساعةً بعدَ ساعة، حتّى إذا رأى أباه الحسينَ وحيداً غريباً نهض يتوكّأ على عصاه ويجرّ سيفَه، فصاح الإمام الحسين بأُخته أُمّ كلثوم: «**إحبسيهِ لئلا تَخْلُوَ الأرضُ مِن نسلِ آل محمّد**»، فأرجَعَتْه إلى فراشه [٢].

ثمّ رافقَتْه زوجتُه وابنةُ عمِّه فاطمةُ بنتُ الحسن في سَفْرِ الأسْرِ المرير تعالجه وتخدمه،

---

(١) الكافي ١ : ٤٦٩ / ح ١ باب: مولد أبي جعفر محمّد بن عليّ (الباقر) عليه السلام.

(٢) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٣٤٠ سيّد الشهداء عليه السلام في الميدان.

وترعى ولدَها الباقر، وتعيشُ الأحزانَ مع عمّتها زينب العقيلة وبقيّةِ أُسرةِ آل الرسول حتّى عودتها إلى المدينة، لتطويَ بقيّةَ حياتها في ذكرياتٍ كئيبةٍ جاءتْ بِها مِن كربلاء.

***

* وأمّا المرأةُ النجيبةُ الأخرى في ركبِ السّبا، فتلك كانت رَمْلة، وهي زوجةُ سيّدِ شبابِ أهلِ الجنّة الإمامِ الحسن المجتبى صلوات الله عليه وأُمُّ وَلَدِه القاسم الشهيد يومَ عاشوراء، جاءَتْ به مع الركبِ الحسينيِّ الشريف لتدفعَ به إلى ساحة الشرف والجهاد بين يَدَي عمِّه وإمامه أبي عبد الله الحسين سلام الله عليه. ويكفي هذه المرأةَ المكرَّمةَ فَخْراً وعِزّاً أنّها الزوجةُ المخلصة للإمام الحسنِ بن عليّ وكانت هي التي اختارتْه ـ، والأُمُّ الحنونُ التي ربّتْ ذلك الشابَّ الغيور حتّى شجّعَتْه على نُصرةِ إمامِ زمانهِ الحسين، ولم يكن القاسمُ قد بَلَغ الحُلُم، وكان وجهُه كفِلْقَةِ قمر، فلمّا نظر إليه عمُّه الحسين اعتنقَه وبكى حتّى غُشِيَ عليه، فاستأذنه في القتال فأَذِن له بعد إلحاحٍ عليه، وبعد أن أراه وصيّةَ أبيه الحسنِ في نُصرته.

فبرز القاسمُ بن الحسن على صِغَر سنّه يقاتل قتالَ الأبطال، حتّى غدَرَ به عَمْرُو بنُ نُفَيل الأَزْديّ بضربةٍ على حينِ غفلة، فنادى الغلام: يا عمّاه! فأتاه الحسينُ كاللَّيث الغضبان فقَتَل قاتلَه.. وانجَلتِ الغبرةُ.. وإذا بالحسين عند رأس القاسم وهو يفحصُ برِجْلَيه ويجود بنفسه المقدّسة، وعمُّه الحسين يقول له وقد اعتصر قلبَه الحزن: «**بُعْداً لقومٍ قتلوك، ومَن خصمُهم يومَ القيامةِ فيك جَدُّك!**»[1]. ثمّ حَمَلَه إلى الخيمة وقد ألصقَ صدرَه الشريف بصدر القاسم، والقاسمُ رِجْلاه تَخُطّانِ في الأرض، فجاء به الحسينُ ووضعه إلى جَنْب ابن عمِّه الشهيد عليٍّ الأكبر وقتلى أهل بيته.

---

(١) يُنظَر: الإرشاد ٢ : ١٠٨، ومناقب آل أبي طالب ٣ : ٢٥٦، والمزار الكبير: ٤٩٠، ومثير الأحزان: ٥٢.

وإذ بـهِ حـاضِـنٌ في صـدرِه قَمَراً يَـزيـنُ طلعتَه الـغَـرّاءَ داميها
وافى بـهِ حاملاً نحوَ المخيَّمِ والـ آمــاقُ في وجـهِـهِ حُمْـرٌ مَجانيها
تَخطُّ رِجْلاه في لوح الثَّرى صُحُفاً فالدمعُ مُنْقِطُها والقلبُ تاليها
آهٍ عـلى ذلـك الـبـدرِ المُـنـيرِ محَا بالخَسْفِ غُرّتَه الغَرّاءَ ماحيها[1]

***

هذا ورملة خلف الخيمة تنظر تلك المشاهدَ المُفجعةَ لقلبها، فيُوتى لها بفِلِذّةِ كَبِدِها القاسمِ وقد وزّعَتْ بدنَه الزاكي سيوفٌ ورماح، وغَفا مستسلماً للموت، وكانت تأمل أن تشهدَ زفافَ عُرسه، فرأَتْ زفافَ شهادته، وهو مُحَنّى بالدماءِ الزاكية بَذَلَها في سبيل الله.. فراحَتْ بعده تنضمُّ إلى ركْبِ السِّبا والأَسْر راحلةً عن كربلاء، تاركةً فيها حبيبَها القاسم طريحاً على رمال الطفّ بلا دَفنٍ إلى جَنْب تلك الأجسادِ الطاهرة: عمِّه الحسين، وأبناءِ عمّه وأهل بيته، وخِيَرةِ الأصحاب الأبرار.

فودّعَتْ ولدَها الطيّبَ البارّ وهي على ناقة الأَسْر في سفرها المُوحِشِ الكئيب؛ لتطويَ بقيّة عُمرِها باكيةً حزينةً على ما جرى على زوجها المجتبى سَميمِ آل أُميّة، وعلى ولدها القاسم ذبيحِ آل أبي سفيان، وصورُ كربلاء لا تُغادر خواطرَها الحزينة.

(١) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٣٣٣ القاسم وأخوه، من قصيدة في سبعة عشر بيتاً

ومُخَـــدَّراتٍ مِـن عـقـائـلِ أحمـدٍ هَجَمتْ عليها الخيلُ في أبياتِها
ويتيمةٍ فَـزِعـتْ لجسـمِ كفيلِها حَسرَى القَناعِ تَعُجُّ في أصواتِها
أهْوَتْ على جِسمِ الحسينِ وقلبُها الـ مَصْدوعُ كاد يَذوبُ مِن حَسَراتِها
تَرتاعُ مِن ضَربِ السِّياطِ فتَنثني تَـدعُـو سَرايـا قـومِـهـا وحُماتِهـا
أينَ الحِفاظُ.. وفي الطُّفوفِ دماؤُكُم سُفِكتْ بسيفِ أُميّةٍ وقَناتِها؟!
أيـنَ الحـفـاظُ.. وهـذهِ أشلاؤُكُـم بَقِيَت ثلاثاً في هَجيرِ فَلاتِها؟!
أيـنَ الحـفـاظُ.. وهـذهِ أبـنـاؤُكُـم ذُبِحتْ عُطاشى في ثَرى عَرَصاتِها؟!
أيـنَ الحـفـاظُ.. وهـذهِ فَتَياتُكُم حُمِلَتْ عَلَى الأقتابِ بينَ عِداتِها؟!
حُمِلتْ بِرغمِ الدِّينِ وهْيَ ثَواكلٌ عَـبرى تُـردِّدُ بالشَّجى زَفَراتِهـا
فَـمَـنِ الْمُـعـزّي بَـعـدَ أحمـدَ فاطماً في قتلِ أبناها وسَبْيِ بَـناتِهـا![1]

***

* أسدَلَ ليلُ الحادي عشر من المحرّم سُتُرَ ظلامِه، طاوياً يوماً رهيباً لا مثيلَ له في التاريخ.. أجسادٌ زاكيةٌ منتثرةٌ على الرمال وقد قُطِّعت تقطيعاً ومُثِّل بها، وبينها جَسَدُ ريحانةِ المصطفى وسبطِه سيّدِ شبابِ أهل الجنّة، وليِّ الله الصالح أبي عبد الله الحسين، وإلى مَقْرُبةٍ منه وَلَداه: عليُّ الأكبر وعبدُ الله الرضيع، وإخوتُه: العبّاس وجعفر وعثمان وعبد الله أولادُ أُمّ البنين، وهنا وهناك: القاسمُ ابنُ أخيهِ الإمامِ الحسنِ المجتبى، وبنو

(١) مقتل الحسين عليه السلام (حديث كربلاء): ٢٦٧ ـ ٢٦٨، من قصيدة في ستّة عشر بيتاً.

عمومته مِن آل أبي طالب، وجمعٌ من أبرار صحابتهِ وأوفيائهم.

ويلتفتُ التاريخ إلى الجهة المقابلة فيرى خياماً محروقةً سُلِب أهلُها ونُهِبوا، ولم تَبقَ إلّا خيمةٌ واحدةٌ استظلّ بها لفيفٌ من الأرامل النائحات، واليتيماتِ الصارخات، والأطفال الحيرى المذهولين، اجتمعوا هناك بعد أن فرّوا على وجوههم في الصحراء حين هجم القومُ عليهم هجمةً جاهليّةً غائرة، غادرة.. وقد قُتِل الحسين صلوات الله عليه!

وإذا أراد التاريخ أن يُحقّق مَن بقيَ في الخيمة وقد أُعِدُّوا للسَّبْيِ والأسْر والرحيلِ بهم غداً إلى قصور الطُّغاة، وبلدان الشامتين العتاة، فإنّه سيعرف أنّ المجتمِعِين هم أكثرُ من ثمانين، فيهم اثنتانِ وأربعون امرأةً، والباقي منهم أطفال يتامى.. أمّا النسوة فأغلبُهنّ يَنْتَمينَ إلى بيت النبوّة، فهُنّ كرائمُ الرسالة وحرائر دار الوحي و ذراري المصطفى الأكرم ﷺ وسلّم، ثمانٍ منهنّ زوجاتُ أمير المؤمنين عليٍّ عليه السلام، واثنتا عشرةَ امرأةً مِن بناته الطاهرات سيّدتُهنّ العقيلةُ المكرَّمة تاليةُ أمِّها الزهراء، زينبُ الكبرى سلام الله عليها، وخمسٌ مِن زوجات الإمام الحسن الزكيّ عليه السلام، وعددٌ من بنات الإمام الحسين سلام الله عليه و زوجاته، فضلاً عن تِسْعٍ مِن الإماء أَعرَفُهنّ فضّة خادمة فاطمة البتول، وهنالك مِن النسوةِ النجيبات الفاضلات بينهنّ زوجةُ عليٍّ بن مظاهر أخي حبيب بنِ مظاهر الأسديّ الشهيد في طفّ كربلاء وهو في سنّ الكهولة.. فهَلْ كان في القوم الآسِرين حياءٌ أو غَيرةٌ أو سموّ، أو نخوة إنسانيّة، أو عربيّة، أو حتّى جاهليّة.. تمنعُهم عن سَبْي تلك النساء؟!

وعليكِ خِزيٌ يا أُمَيّةُ دائمٌ ... يَبقى.. كما في النارِ دام بَقاكِ
أفَهَل يَدٌ سلبَتْ إماءَكِ مِثْلَما ... سلَبتْ كريماتِ الحسينِ يَداكِ؟!
أَمْ هَل برزْنَ بفتحِ مكّةَ حُسَّراً ... كنسائِهِ يومَ الطفوفِ نِساكِ؟!

يـا أُمّــةً بــاءتْ بقـتـلِ هُـداتِهـا شُـلّـتْ يـداكِ ومـا بَـلَـغْـتِ مُناكِ
بـئـسَ الجــزاءُ لأحمــدٍ في آلِــهِ وبَنيهِ يـومَ الطفِّ كـان جَـزاكِ[1]

***

بعد الزوال من يوم الحادي عشر من المحرّم، تبدأ مسيرة السَّبْي للركب الحسينيّ الشريف على أقتاب الجِمال نحو الكوفة، وفي الرَّكْب إمامان مُوثَقانِ بِوَثاق الأَسْر: الإمام عليُّ بنُ الحسين زينُ العابدين، وولدُه محمّد الباقر.. ويجتمع أهلُ الكوفة للنظر إلى السبايا، وتُشْرِف امرأةٌ من الكوفيّات تسألهنّ: مِنْ أيِّ الأُسارى أنتم؟ فتُجاب: نحن أُسارى آلِ محمّد! ثمّ يُدمَغُ أهلُ الكوفةِ الغَدَرةُ بخُطبةٍ زينبيّة دَوّتْ وما تزال في سمع التاريخ، أعقَبَتْها خُطبةٌ فاطميّة لبنتٍ من بنات الإمام الحسين، وخطبةٌ أخرى لأُمّ كلثوم، تَلَتْها خطبةٌ شريفة للإمام السجّاد عليِّ بن الحسين سلام الله عليهم أجمعين، أردَتِ المنافقين، والغَدَرةَ والمتخاذلين. ثمّ كانت المواجهةُ من الإمام السجّاد وعمّته زينب مع العاتي عُبيدِ الله بن زياد في قصره، فاستشاط غضباً، ثمّ خذله الله سبحانه.

ويمضي ركبُ السِّبا إلى الشام في رحلةٍ عصيبةٍ قاسية، وقد اصطحَبَتْه رؤوسُ الأحبّة مُشالاتٍ على رؤوس الرماح، تنكيلاً وتشفّياً من رسول الله كما صرّح بذلك يزيدُ وذيولُه.

وفي الشام.. في قصر يزيدَ بنِ معاوية، كانت الدمغةُ الزينبيّة الصاعقة على رأس هذا الطاغية الأَشِرِ البَطِر، فَذُهل! وكانت للإمام السجاد ﷺ خطبةٌ أخرى في القصر عَرّفَتْ بِما جرى على آلِ النبيِّ في كربلاء، كما عرّفَتْ بالسَّبايا، ففرّ يزيدُ إلى مُؤذّنِه المستأجَرِ أن يصرخ بالأذان ليقطع على الإمام السجادِ خُطبتَه! فكانت منه ﷺ أخرى وأخرى على نحوٍ آخَر!

---

(١) الدّر النضيد: ٢٤٠/ ٢٤١، من قصيدة للشيخ علي الشفهينيّ الحلّيّ.

* * *

وأيّامٌ مُرّةٌ أخرى يقضيها ركبُ أَسرى آلِ الله في خَرِبةِ الشام، ثمّ يبدأ رحيلُ العودة، لِيمرَّ على الأحبّة بكربلاء، كما أَمَرَتْ زينبُ الكبرى، فيكون المُلتقى بهم يومَ الأربعين، أربعينَ الشهادات المفجعة، والذكرياتِ الحزينةِ الكئيبةِ المَلأى حَسَرات، و زفرات، و آهات.. هي إلى حالة الاحتضار والموت أقربُ منها إلى حالة الحياة.

وأخيراً.. وبعد أيّامٍ قلائلَ في طفّ كربلاء؛ تجديداً للعهد، وعقداً للقلب على الحزنِ المقدّس إلى آخِرِ العُمر، يعود ركبُ السبايا إلى المدينة، ليدخلَ في هيئةٍ تقلب الأجواء إلى صراخٍ وعزاءٍ مَهيب، فتُسمَع زينب وقد تغيّرت فلم تُعرَف قائلةً:

مَـديـنـةَ جَـدِّنـا لا تَـقْـبَـلـيـنـا فَـبِـالحـسَراتِ والأحـــزانِ جينا

خـرَجْـنـا مـنـكِ بـالأهـلـينَ جمعاً رجَـعْـنـا لا رجـالَ ولا بَنينا[1]

وتُقام المآتم في دُور آل المصطفى، وفي الدار الموحشة المستوحشة لأهلها، دارِ الإمام الحسين عليه السلام، وتقوم أُمُّ البنين كأنّها الأمُّ الثكلى بسيّد الشهداء الحسين، ويُقام العزاء ولا ينتهي، ولركْبِ السِّبا دَوْرٌ عظيمٌ في إثارة فاجعة الطفِّ العظمى، وإثارةِ العواطف والأحزان بنقل الوقائع والمشاهد العاشورائيّة الرهيبة.. الكئيبة.

ثمّ تأتي زياراتُ الأئمّة الهُداة مِن ذُريّة الإمام الحسين صلوات الله عليه وعليهم، فترسم صوراً ولائيّةً جليلة، تنقل الأجيالَ إلى ساحة الطفّ وذكريات كربلاء..

فنقرأ آثارَ الغَدْرةِ الظالمة في إحدى الزيارات:

«ورَخَّصَتْ لأهلِ الشُّبْهةِ في قَتْلِ أهلِ بيتِ الصَّفْوة، وإبادةِ نَسْلِه (أي نسل النبيّ صلى الله عليه وآله)، واستيصالِ شَأْفتِه، وسَبْيِ حَرَمِه، وقَتْلِ أنصارِه.. يا مَوالِيَّ فَلَو عايَنكُمُ المصطفى وسِهامُ الأُمّةِ مُغرَقةٌ في أكبادِكُم، ورماحُهُم مُشرَعةٌ في نُحورِكم، وسيوفُهُم مُولَعَةٌ في دمائِكُم..

(١) بحار الأنوار ٤٥ : ١٩٨، ينابيع المودّة ٣ : ٩٤، مجموعة وفيات الأئمّة: ٤٦٢.

وأنتُمْ بينَ صَريعٍ في المِحراب قَد فَلَقَ السيفُ هامَتَه، وشهيدٍ فوقَ الجَنازةِ قد شُكَّتْ أكفانُه بالسِّهام، وقتيلٍ بالعراءِ قد رُفِعَ فَوقَ القَناةِ رأسُه، ومُكبَّلٍ في السجن قد رُضّتْ بالحديدِ أعضاؤُه، ومَسمومٍ قد قُطِّعَتْ بِجُرَعِ السَّمِّ أمعاؤُه.. فَهلِ المِحَنُ يا سادَتي إلّا التي لَزِمَتْكُم، والمصائبُ إلّا التي عَمّتْكُم، والفجائعُ إلّا التي خَصّتْكُم، والقوارعُ إلّا التي طَرَقَتْكُم، صلواتُ الله عليكُم، وعلى أرواحِكُم وأجسادِكُم، ورحمةُ اللهِ وبركاتُه»[1].

(١) المزار الكبير: ٢٩٨/ ٢٩٩، زيارة جامعة لسائر الأئمّة عليهم السلام.

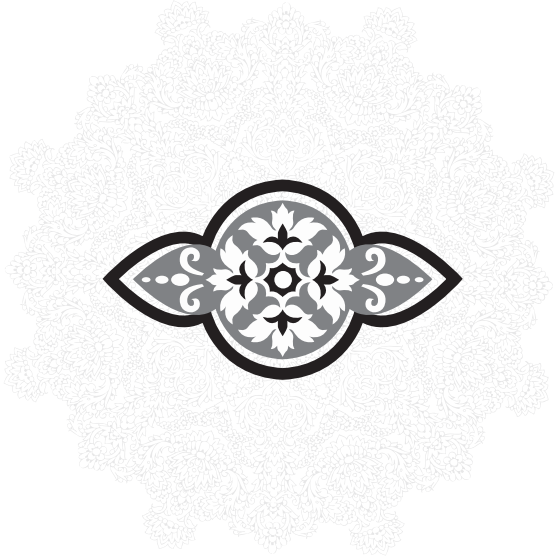

# خاتمة

كان ذلك سفراً قطَعَه القلبُ المُوالي في رحلةٍ تاريخيّةٍ ولائيّة، واكبَتِ الركبَ الحسينيَّ الشريف من المدينة ذَهاباً.. وإلى المدينة إياباً، جالت فيها الخواطرُ والعواطف في الوقائع والحوادث، فمرّت على مصائبَ دونَها الوصف، ونكباتٍ دونها البيان، وأحزانٍ دونها اللِّسان! لكنّ القلمَ بقيَ معذَّبَ الحال إلّا أن يكتبَ صفحاتٍ يخرج بها مِن لائمةِ نفسه وتأنيبِ ضميره، إذ قَرُب شعورُه من شعور الشاعر الذي خاطب الشهداء في أرض الحسين عليه السلام:

تَبتلُّ مِنْكم كربلا بـدمٍ ولا  تَبتلُّ منّي بالدُّموعِ الجاريَة؟!

وإذا كان للمآقي أحياناً دموعٌ ساخنة، فإنّ للأقلام أحياناً دموعاً تغلي حُزناً وشوقاً، فتسطّر كما سطّر هذا القلم الألكن، وأين له أن يكتب حولَ سيّد الشهداء، أو عن مصائبِ كربلاء، أو عن أهوال يوم عاشوراء!!

لكنْ.. معذرةً إلى أبي عبد الله الحسين صلواتُ الله عليه، فقد تجرّأ هذا القلمُ بعد أن طفَحَت منه لواعجُ الأشجان وغَيرةُ الولاية والولاء، فكانت منه هذه الصفحاتُ تُواسي أحزانَ شهيدة الأحزان عقيلةِ آلِ الله «زينب الكبرى» صلوات الله عليها، وذلك أقلُّ القليل، وهو يرجو قبول هذه الأسطر، ثمّ قبول عذره واعتذاره.

والعُذرُ عندَ كِرامِ الناسِ مقبولُ

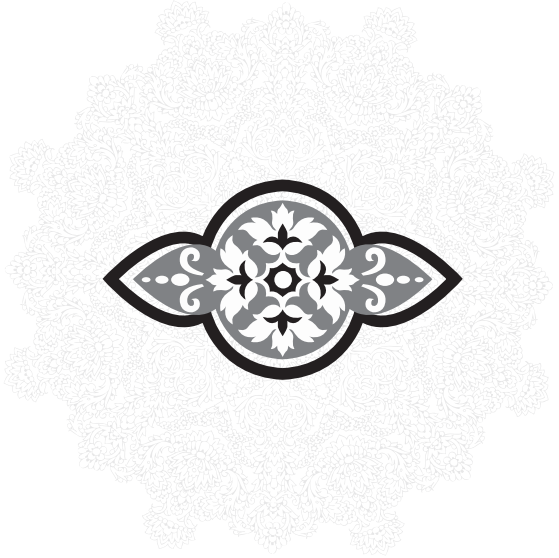

# المصادر

أ

* الآحاد والمثاني: أحمد بن عمرو بن الضحّاك بن أبي عاصم (ت ٢٨٧ هـ)، تحقيق: باسم فيصل أحمد الجوابرة، دار الراية الرياض، ط ١ سنة ١٤١١ هـ / ١٩٩١م.

* آراء علماء السنّة في الوهّابيّة: السيّد مرتضى الرضويّ.

* أبناء الرسول في كربلاء: خالد محمّد خالد، دار ثابت القاهرة، ط ٥ سنة ١٤٠٦هـ.

* الاحتجاج: أحمد بن عليّ بن أبي طالب الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، تحقيق: السيّد محمّد باقر الموسويّ الخرسان، دار النعمان النجف الأشرف، ١٣٨٦ هـ / ١٩٦٦م.

* الإرشاد في معرفة حجج الله على العباد: الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: مؤسّسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث، نشر دار المفيد، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ.

* أزمة الخلافة والإمامة وآثارها المعاصرة: أسعد وحيد القاسم، نشر: الغدير للطباعة والنشر والتوزيع بيروت، ط ١ سنة ١٤١٨هـ.

* الاستذكار: ابن عبد البَرّ القرطبيّ المالكي (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: سالم محمّد عطا ومحمّد علي معوض، دار الكتب العلميّة بيروت، ط ١.

* الاستيعاب في معرفة الأصحاب: ابن عبد البرّ النمريّ القرطبيّ المالكيّ (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: علي محمّد البجاويّ، دار الجيل بيروت، ط ١ سنة ١٤١٢هـ.

* أُسد الغابة في معرفة الصحابة: عليّ بن أبي الكرم محمّد الشيبانيّ، ابن الأثير (ت

٦٣٠ هـ)، دار الكتاب العربيّ بيروت.

* إسعاف الراغبين: محمّد بن عليّ الصبّان المصريّ الشافعيّ (ت ١٢٠٦ هـ)، مطبوع في هامش: نور الأبصار للشبلنجيّ الشافعيّ (ت ١٣٠٨ هـ)، نشر: دار إحياء التراث العربيّ بيروت.

* أعلام النساء: علي محمّد دخيّل، مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام بيروت، ط ١ سنة ١٣٩٩ هـ / ١٩٧٩م.

* أعيان الشيعة: السيّد محسن الأمين، تحقيق: حسن الأمين، دار التعارف للمطبوعات بيروت، سنة ١٤٠٣ هـ / ١٩٨٣م.

* الإقبال بالأعمال الحسنة فيما يُعمَل مرّةً في السنة: السيّد عليّ بن موسى بن جعفر بن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيّوميّ الأصفهانيّ، مكتب الإعلام الإسلاميّ، ط ١ سنة ١٤١٦هـ.

* الأمالي: محمّد بن عليّ بن الحسين بن موسى بن بابويه القمّيّ، المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة البعثة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٧هـ.

* الأمالي: محمّد بن الحسن الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: مؤسّسة البعثة قمّ المقدّسة، نشر دار الثقافة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٤هـ.

* الأمالي: محمّد بن محمّد النعمان العكبريّ البغداديّ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: أُستاذ ولي وعلي أكبر الغفّاريّ، دار المفيد بيروت، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ.

* الانتصار (مناظرات الشيعة على شبكات الإنترنت): العامليّ، دار السيرة بيروت، ط ١ سنة ١٤٢٢هـ.

* أنساب الأشراف: أحمد بن يحيى البلاذريّ (ت ٢٧٩ هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحموديّ، مؤسّسة الأعلميّ بيروت، ط ١ سنة ١٣٩٤ هـ.

* الأنوار القدسيّة: نظم الشيخ محمّد حسين الأصفهانيّ، تصحيح وتعليق: الشيخ علي النهاونديّ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٥هـ.

ب

* البداية والنهاية: أبو الفداء إسماعيل بن كثير الدمشقيّ (ت٧٧٤ هـ)، تحقيق: علي شيري، دار إحياء التراث العربي بيروت، ط ١.

* بحار الأنوار: محمّد باقر المجلسيّ (ت ١١١١ هـ)، دار الكتب الإسلاميّة طهران، طبعات متعدّدة.

* بشارة المصطفى لشيعة المرتضى: أبو جعفر محمّد بن أبي القاسم محمّد بن عليّ الطبريّ الإماميّ (ت ٥٢٥ هـ)، تحقيق: جواد القيّوميّ الأصفهانيّ، مؤسسة النشر الإسلاميّ قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤٢٠هـ.

* بلاغة الإمام عليّ بن الحسين عليه السلام: جعفر عبّاس الحائريّ، دار الحديث قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤٢٠هـ.

* بيت الأحزان: المحدّث الشيخ عبّاس القمّيّ (ت ١٣٥٩ هـ)، دار الحكمة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٢هـ.

ت

* تاريخ الإسلام: محمّد بن أحمد بن عثمان الذهبيّ الشافعيّ (ت ٧٤٨ هـ)، تحقيق: الدكتور عمر عبد السلام تدمري، دار الكتاب العربيّ بيروت، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ.

* تاريخ بغداد: أبو بكر أحمد بن عليّ، الخطيب البغداديّ (ت ٤٦٣ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلميّة بيروت، ط ١ سنة ١٤١٧هـ.

* تاريخ الطبريّ (تاريخ الأُمم والملوك): محمّد بن جرير الطبريّ (ت ٣١٠ هـ)، مؤسّسة الأعلميّ بيروت.

* تاريخ مدينة دمشق: ابن عساكر الدمشقيّ الشافعيّ (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الفكر بيروت، سنة ١٤١٥هـ.

* تاريخ اليعقوبيّ: أحمد بن أبي يعقوب بن جعفر بن وهب بن واضح، الكاتب العبّاسيّ المعروف باليعقوبيّ (ت ٢٨٤ هـ)، دار صادر بيروت.

* ترجمة الإمام الحسين عليه السلام (من: تاريخ دمشق): ابن عساكر الدمشقيّ الشافعيّ (ت ٥٧١ هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة قمّ المقدّسة، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ.

* تنقيح المقال في أحوال الرجال: الشيخ عبد الله المامقانيّ (ت ١٣٥١ هـ)، المطبعة المرتضويّة النجف الأشرف، الطبعة الحجريّة سنة ١٣٥٢هـ.

* تهذيب الأحكام: الشيخ الطوسيّ (ت ٤٦٠ هـ)، تحقيق: السيّد حسن الخرسان، دار الكتب الإسلاميّة طهران، ط ٤ سنة ١٩٨٤م.

* تهذيب التهذيب: ابن حجر العسقلانيّ الشافعيّ (ت ٨٥٢ هـ)، دار الفكر بيروت، سنة ١٤٠٤ هـ/ ١٩٨٤م.

ث

* ثواب الأعمال: الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، منشورات الرضيّ قمّ المقدّسة، ط ٢ سنة ١٤٠٧هـ.

ج

* جمال الأسبوع بكمال العمل المشروع: السيّد رضيّ الدين عليّ ابن موسى بن طاووس الحسنيّ الحسينيّ (ت ٦٦٤ هـ)، تحقيق: جواد القيّوميّ الأصفهانيّ، نشر: مؤسّسة الآفاق إيران، ط ١ سنة ١٤١٢هـ.

* جواهر المطالب في فضائل الإمام عليّ عليه السلام: محمّد بن أحمد الدمشقيّ الباعونيّ

الشافعيّ (ت ٨٧١ هـ)، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة قمّ المقدسة، ط ١ سنة ١٤١٦هـ.

ح

* حياة الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ باقر شريف القرشيّ، مطبعة الآداب النجف الأشرف، ط ١ سنة ١٣٩٥هـ.

خ

* الخصائص الزينبيّة: السيّد نور الدين الجزائريّ، انتشارات الشريف الرضيّ قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٨ هـ / ١٩٩٨م.

د

* دائرة معارف القرن العشرين: محمّد فريد وجدي (ت ١٣٧٣ هـ)، دار المعارفة، ط ٣ سنة ١٩٧١م.

* الدرّ النضيد في مراثي السبط الشهيد: السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، ط سنة ١٣٦٥ هـ / ١٩٤٦م.

* الدرّ النظيم: يوسف بن حاتم بن فوز بن مهنّد الشاميّ المشغريّ العامليّ (ت ٦٦٤ هـ)، مؤسّسة النشر الإسلاميّ قمّ المقدّسة.

* دلائل الإمامة: محمّد بن جرير بن رستم الطبريّ الإماميّ (من أعلام القرن الرابع الهجريّ)، تحقيق: مؤسّسة البعثة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٣هـ.

* ديوان دعبل بن عليّ الخزاعيّ (ت ٢٤٦ هـ): جمعه وقدّم له وحقّقه: عبد الصاحب عمران الدجيليّ، دار الكتاب اللبنانيّ بيروت، ط ٢ سنة ١٩٧٢م.

* ديوان السيّد حيدر الحلّيّ (ت ١٣٠٤ هـ): تحقيق: علي الخاقانيّ.

* ديوان السيّد رضا الموسويّ الهنديّ (ت ١٣٦٢ هـ): جمعه: السيّد موسى

الموسويّ، دار الأضواء بيروت، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ.

ذ

* ذخائر العقبى في مناقب ذوي القربى: أحمد بن عبد الله، المحبّ الطبريّ الشافعيّ (ت ٦٩٤ هـ)، مكتبة القدسيّ القاهرة، سنة ١٣٥٦هـ.

* ذكرى الشيعة في أحكام الشريعة: محمّد بن جمال الدين مكّي العامليّ الجزّينيّ، المعروف بالشهيد الأوّل (ش ٧٨٦ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت (عليهم السلام) لإحياء التراث قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٩هـ.

ر

* رجال تركوا بصمات على قسمات التاريخ: السيّد لطيف القَزوينيّ، عن: معجم مكتبة أهل البيت عليهم السلام.

* روضة الواعظين: الشهيد محمّد بن الحسن بن عليّ الفتّال النَّيسابوريّ (ش ٥٠٨ هـ)، منشورات الرضيّ قمّ المقدّسة.

* رياض السالكين في شرح صحيفة سيّد الساجدين عليه السلام: السيّد علي خان المدنيّ الشيرازيّ (ت ١١٢٠ هـ)، تحقيق: السيّد محسن الحسينيّ الأمينيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ قمّ المقدّسة، ط ٤ سنة ١٤١٥هـ.

* رياض المدح والرثاء: الشيخ حسين علي آل الشيخ سليمان البلاديّ البحرانيّ، تصحيح وتعليق: حسن عبد الأمير محمّد، المكتبة الحيدريّة قمّ المقدّسة.

ز

* زينب بنت الإمام أمير المؤمنين عليه السلام: (من سلسلة أعلام النساء: ٦): علي محمّد علي دخيّل، نشر: مؤسّسة أهل البيت عليهم السلام بيروت، ط ١ سنة ١٣٩٩ هـ/ ١٩٧٩م.

* زينب الكبرى عليها السلام بنت الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: الشيخ جعفر

الرِّبْعيّ المعروف بالنَّقْديّ، نشر: مؤسّسة الإمام الحسين ﷺ قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١١هـ.

س

* سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد: محمّد بن يوسف الصالحيّ الشاميّ (ت ٩٤٢ هـ)، تحقيق: الشيخ عادل أحمد عبد الموجود، دار الكتب العلميّة بيروت، ط ١ سنة ١٤١٤هـ.

* سفير الحسين مسلم بن عقيل: الشيخ عبد الواحد أحمد المظفّر، نشر: مؤسّسة آل البيت ﷺ قمّ المقدّسة، بالأُوفيست عن طبعة مطبعة الآداب في النجف الأشرف سنة ١٣٨٨ هـ / ١٩٦٨م.

* سنن ابن ماجة: محمّد بن يزيد القزويني، المشهور بابن ماجة (ت ٢٧٣ هـ)، تحقيق: محمّد فؤاد عبد الباقي، دار الفكر بيروت.

* سنن النَّسائيّ: أحمد بن شعيب بن عليّ النَّسائيّ (ت ٣٠٣ هـ)، دار الفكر بيروت، ط ١ سنة ١٣٤٨هـ.

* السيرة النبويّة: ابن كثير القرشيّ الدمشقيّ الشافعيّ (ت ٧٧٤ هـ)، تحقيق: مصطفى عبد الواحد، دار المعرفة بيروت، ط ١ سنة ١٣٩٦هـ.

ش

* شجرة طُوبى: الشيخ محمّد مهدي الحائريّ، المكتبة الحيدريّة النجف الأشرف، ط ٥ سنة ١٣٨٥هـ.

* شرح الأخبار في فضائل الأئمة الأطهار ﷺ: القاضي النعمان بن محمّد التميميّ المغربيّ (ت ٣٦٣ هـ)، تحقيق: السيّد محمّد الحسينيّ الجلاليّ، نشر: مطبعة سيّد الشهداء (ﷺ) قمّ المشرّفة.

* شرح نهج البلاغة: ابن أبي الحديد (ت ٦٥٦ هـ)، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، منشورات مكتبة السيّد المرعشيّ النجفيّ قمّ المقدّسة، ط ٢ سنة ١٣٨٧هـ.

* الشهيد مسلم بن عقيل (عليه السلام): السيّد عبد الرزّاق الموسويّ المقرّم، نشر: قسم الدراسات الإسلاميّة في مؤسّسة البعثة طهران، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ.

ص

* صحيح مسلم: مسلم بن الحجّاج بن مسلم القُشَيريّ النيشابوريّ (ت ٢٦١ هـ)، دار الفكر بيروت.

* الصوارم المهرقة في جواب الصواعق المحرقة: القاضي الشهيد السيّد نور الله التستري (ش ١٠١٩ هـ)، تحقيق: السيّد جلال الدين المحدِّث، سنة ١٤٠٦هـ.

* الصواعق المحرقة: أحمد بن حجر الهيتميّ المكّيّ الشافعيّ (ت ٩٧٤ هـ)، تحقيق: عبد الوهّاب عبد اللطيف، مكتبة القاهرة القاهرة، ط ٢ سنة ١٣٨٥هـ.

ع

* العقيلة والفواطم: حسين الشاكريّ، الناشر: المؤلِّف.

* علل الشرائع: محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابوَيه القمّيّ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: السيّد محمّد صادق بحر العلوم، منشورات المكتبة الحيدريّة النجف الأشرف، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٦م.

* العمدة: ابن البطريق الأسديّ الحلّيّ (ت٦٠٠ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ.

* عمدة الطالب في أنساب أبي طالب: جمال الدين أحمد بن عليّ الحسنيّ، المعروف بابن عنبة (ت ٨٢٨ هـ)، منشورات المطبعة الحيدريّة النجف الأشرف، ط ٢ سنة ١٣٨٠هـ.

* العوالم، الإمام الحسين عليه السلام: الشيخ عبد الله البحرانيّ، تحقيق ونشر: مدرسة الإمام المهديّ عجّل الله تعالى فرجه الشريف، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ.

* عيون الأثر: ابن سيّد الناس (ت ٧٣٤ هـ)، مؤسّسة عزّ الدين، سنة ١٤٠٦هـ.

* عيون الحِكَم والمواعظ: عليّ بن محمّد الليثيّ الواسطيّ (من أعلام القرن السادس الهجريّ)، تحقيق: حسين الحسنيّ البيرجنديّ، دار الحديث قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٣٧٦هـ.

غ

* الغدير: الشيخ عبد الحسين الأمينيّ، دار الكتاب العربيّ بيروت، ط ٤ سنة ١٣٩٧هـ.

* غوالي اللآلي: ابن أبي جمهور الأحسائيّ (ت ٨٨٠ هـ)، تحقيق: مجتبى العراقيّ، الناشر: المحقِّق، ط ١ سنة ١٤٠٤هـ.

ف

* الفَرَج بعد الشدّة: القاضي الحسن بن أبي القاسم التنوخيّ (ت ٣٨٤ هـ)، منشورات الشريف الرضيّ قمّ المقدّسة، ط ٢ سنة ١٤٠٣هـ.

* فرحة الغريّ في تعيين قبر أمير المؤمنين عليّ عليه السلام: السيّد عبد الكريم بن طاووس الحسنيّ (ت ٦٩٣ هـ)، تحقيق: السيّد تحسين آل شبيب الموسويّ، نشر: مركز الغدير للدراسات الإسلاميّة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٩هـ.

* الفصول المختارة: محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: السيّد علي مير شريفي، دار المفيد بيروت، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ.

* الفصول المهمّة في أُصول الأئمّة: الشيخ محمّد بن الحسن، الحرّ العامليّ (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق: محمّد بن محمّد الحسين القائينيّ، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة المتشرّفة

باسم الإمام رضا عليه السلام قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٨هـ.

ق

* قرب الإسناد: الشيخ أبو العبّاس عبد الله الحِمْيَريّ (من أعلام القرن الثالث الهجريّ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٣هـ.

ك

* الكافي: الشيخ الكلينيّ (ت ٣٢٩ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، دار الكتب الإسلاميّة طهران، ط ٢ سنة ١٣٨٩هـ.

* كامل الزيارات: جعفر بن محمّد بن قُولويه القمّيّ (ت ٣٦٨ هـ)، تحقيق: الشيخ جواد القيّوميّ، مؤسّسة نشر الفقاهة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٧هـ.

* الكامل في التاريخ: عزّ الدين أبو الحسن عليّ بن أبي الكرَم محمّد بن محمّد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيبانيّ، المعروف بابن الأثير (ت ٦٣٠ هـ)، دار صادر ودار بيروت بيروت، سنة ١٣٨٥ هـ / ١٩٦٥ م.

* كتاب الفتوح: أحمد بن أعثم الكوفيّ (ت ٣١٤ هـ)، تحقيق: علي شيري، دار الأضواء بيروت، ط ١ سنة ١٤١١هـ.

* كربلاء، الثورة والمأساة: أحمد حسين يعقوب، الغدير بيروت، ط ١ سنة ١٤١٨هـ.

* كشف الارتياب في اتباع محمّد بن عبد الوهّاب: السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١)، تحقيق: السيّد حسن الأمين، مكتبة الحرمين قمّ المقدّسة، ط ٢ سنة ١٣٨٢هـ.

* كشف الغمّة في معرفة الأئمّة: عليّ بن عيسى بن أبي الفتح الإربلّيّ (ت٦٩٣ هـ)، دار الأضواء بيروت، ط ٢ سنة ١٤٠٥هـ.

* كفاية الأثر في النصّ على الأئمّة الاثني عشر: عليّ بن محمّد ابن عليّ الخزّاز القمّيّ الرازيّ (ت ق ٤ هـ)، تحقيق: السيّد عبد اللطيف الحسينيّ الكُوهْكَمَريّ الخوئيّ، انتشارات بيدار قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠١هـ.

* كمال الدين وتمام النعمة: محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، المعروف بالشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٥هـ.

* الكنىٰ والألقاب: المحدّث الشيخ عبّاس القمّيّ (ت ١٣٥٩ هـ)، نشر: المطبعة الحيدريّة النجف الأشرف، سنة ١٣٧٦ هـ / ١٩٥٦م.

* كنز العمّال في سنن الأقوال والأفعال: علاء الدين عليّ المتّقي ابن حسام الدين الهنديّ البرهان فوري (ت ٩٧٥ هـ)، مؤسّسة الرسالة بيروت، سنة ١٤٠٩ هـ / ١٩٨٩م.

ل

* اللمعة البيضاء في شرح خطبة الزهراء ﷺ: المولى محمّد علي بن أحمد القراچه داغي التبريزيّ الأنصاريّ، تحقيق: السيّد هاشم الميلانيّ، مؤسّسة الهادي قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٨هـ.

* اللهوف في قتلى الطفوف: عليّ بن موسى بن جعفر بن محمّد ابن طاووس (ت ٦٦٤ هـ)، انتشارات أنوار الهدى قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٧هـ.

* لواعج الأشجان في مقتل الحسين ﷺ: السيّد محسن الأمين (ت ١٣٧١ هـ)، مكتبة بصيرتي قمّ المقدّسة.

* ليلة عاشوراء في الحديث والأدب: الشيخ عبد الله الحسن، الناشر: المؤلِّف، ط ١ سنة ١٤١٨هـ.

م

* مثير الأحزان: ابن نما الحلّيّ (ت ٦٤٥ هـ)، المكتبة الحيدريّة النجف الأشرف، سنة ١٣٦٩ هـ / ١٩٥٠م.

* المجالس الفاخرة في مآتم العترة الطاهرة: السيّد عبد الحسين شرف الدين الموسويّ (ت ١٣٧٧ هـ)، تحقيق: محمود البدري، مؤسّسة المعارف الإسلاميّة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤٢١هـ.

* مجمع الزوائد ومنبع الفوائد: عليّ بن أبي بكر الهيثميّ الشافعيّ (ت ٨٠٧ هـ)، دار الكتب العلميّة بيروت، سنة ١٤٠٨ هـ / ١٩٨٨م.

* مجموعة وَفَيات الأئمّة: مجموعة من العلماء، دار البلاغة بيروت، ط ١ سنة ١٤١٢هـ.

* المحتضر: حسن بن سليمان الحلّيّ (من أعلام القرن التاسع الهجريّ)، منشورات المطبعة الحيدريّة النجف الأشرف، ط ١ سنة ١٣٧٠ هـ.

* مرقد العقيلة زينب في ميزان الدراسة والتحقيق والتحليل: محمّد حسنين السابقيّ، مؤسّسة الأعلميّ بيروت، ط ١ سنة ١٣٩٩هـ.

* المزار (مناسك المزار): محمّد بن محمّد بن النعمان العكبريّ البغداديّ، الشيخ المفيد (ت ٤١٣ هـ)، تحقيق: السيّد محمّد باقر الأبطحيّ، دار المفيد بيروت، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ.

* المزار الكبير: الشيخ محمّد بن المشهديّ (م ٥١٠ هـ)، تحقيق: جواد القيّوميّ الأصفهانيّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٩هـ.

* مسالك الأفهام في شرح شرائع الإسلام: زين الدين عليّ بن أحمد العامليّ الجبعيّ،

المعروف بالشهيد الثاني (ش ٩٦٥ هـ)، مؤسسة المعارف الإسلاميّة قمّ المقدّسة، ط ١ ١٤١٣هـ.

* المستدرك على الصحيحين: أبو عبد الله الحاكم النَّيسابوريّ الشافعيّ (ت ٤٠٥ هـ)، إشراف: يوسف عبد الرحمن المرعَشْليّ، دار المعرفة بيروت.

* مسكِّن الفؤاد عند فقد الأحبّة والأولاد: زين الدين عليّ بن أحمد الجبعيّ العامليّ، المعروف بالشهيد الثاني (ش ٩٦٥ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤٠٧هـ.

* مسند أحمد بن حنبل: أحمد بن عبد الله بن حنبل (ت ٢٤١ هـ)، دار صادر بيروت.

* مسند زيد بن عليّ الشهيد: زيد بن عليّ بن الحسين بن عليّ عليهم السلام (ش ١٢٢ هـ)، منشورات دار مكتبة الحياة بيروت.

* المصنَّف: ابن أبي شيبة الكوفيّ (ت ٢٣٥ هـ)، تحقيق: سعيد محمّد اللحّام، دار الفكر بيروت، ط ١ سنة ١٤٠٩هـ.

* معالي السبطَين: الشيخ محمّد مهدي الحائريّ، منشورات الشريف الرضيّ قمّ المقدّسة، سنة ١٤٠٩هـ.

* المعجم الكبير: سليمان بن أحمد الطبرانيّ (ت ٣٦٠ هـ)، تحقيق: حمدي عبد المجيد السلفيّ، دار إحياء التراث العربيّ بيروت، ط ٢ سنة ١٤٠٤هـ.

* مغني المحتاج إلى معرفة معاني ألفاظ المنهاج: الشيخ محمّد الشربينيّ الخطيب (ت ٩٧٧ هـ)، دار إحياء التراث العربيّ بيروت، سنة ١٣٧٧ هـ / ١٩٥٨م.

* مقاتل الطالبيّين: أبو الفرج الأصفهانيّ (ت ٣٥٦ هـ)، منشورات المكتبة الحيدريّة النجف الأشرف، ط ٢ سنة ١٣٨٥هـ.

* المقبولة الحسينيّة: الشيخ هادي كاشف الغطاء (ت ١٣٦١ هـ)، تصحيح

وتعليق: السيّد محمّد السيّد حسين المعلّم، انتشارات المكتبة الحيدريّة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤٣١هـ.

* مقتل الحسين عليه السلام: لوط بن يحيى بن سعيد بن مِخنَف ابن مسلم الأسديّ الغامديّ (ت ١٥٧ هـ)، تحقيق: الحاجّ ميرزا حسن الغفّاريّ، نشر: المكتبة العامّة للسيّد شهاب الدين المرعشيّ النجفيّ قمّ المقدّسة.

* مقتل الحسين عليه السلام (أو: حديث كربلاء): السيّد عبد الرزّاق الموسويّ المقرّم، مكتبة بصيرتي قمّ المقدّسة، ط ٥ سنة ١٣٩٤هـ.

* مكارم الأخلاق: رضيّ الدين أبو نصر الحسن بن الفضل الطبرسيّ (ت ٥٤٨ هـ)، منشورات الشريف الرضيّ قمّ المقدّسة، ط ٦ سنة ١٣٩٢هـ.

* مناقب آل أبي طالب: محمّد بن عليّ بن شهرآشوب السرويّ المازندرانيّ (ت ٥٨٨ هـ)، نشر: المكتبة الحيدريّة النجف الأشرف، سنة ١٣٧٦هـ.

* مناقب الإمام أمير المؤمنين عليّ بن أبي طالب عليه السلام: محمّد بن سليمان الكوفيّ القاضي (من أعلام القرن الثالث الهجريّ)، تحقيق: الشيخ محمّد باقر المحموديّ، مجمع إحياء الثقافة الإسلاميّة قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٢هـ.

* المنتخب من ذيل المذيَّل من تاريخ الصحابة والتابعين: محمّد ابن جرير الطبريّ (ت ٣١٠ هـ)، مؤسّسة الأعلميّ بيروت.

* منتهى المطلب: جمال الدين الحسن بن يوسف بن عليّ المطهَّر الحلّيّ، المشهور بالعلامة الحلّيّ (ت ٧٢٦ هـ)، الناشر: الحاجّ أحمد تبريز، سنة ١٣٣٣هـ.

* مَن لا يحضره الفقيه: محمّد بن عليّ بن الحسين بن بابويه القمّيّ، الشيخ الصدوق (ت ٣٨١ هـ)، تحقيق: علي أكبر الغفّاريّ، مؤسّسة النشر الإسلاميّ التابعة لجماعة المدرّسين قمّ المقدّسة.

* موسوعة كلمات الإمام الحسين عليه السلام: لجنة الحديث في معهد باقر العلوم عليه السلام، دار المعروف، ط ٣ سنة ١٤١٦هـ.

ن

* نظم درر السمطَين في فضائل المصطفى والمرتضى والبتول والسبطَين: محمّد بن يوسف بن الحسن بن محمّد الزرنديّ الحنفيّ المدنيّ (ت ٧٥٠ هـ)، مكتبة الإمام أمير المؤمنين عليه السلام العامّة النجف الأشرف، ط ١ سنة ١٣٧٧هـ.

* نقض فتاوى الوهـّابيّة: الشيخ محمّد حسين كاشف الغطاء، تحقيق: السيّد غياث طُعمة، نشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٦هـ.

* نهج البلاغة: خطب أمير المؤمنين عليه السلام، تحقيق: محمّد عبده، دار المعرفة بيروت.

هـ

* هذي هي الوهـّابيّة: محمّد جواد مُغنية، دار الجواد بيروت، ط ٢ سنة ١٤٠٢ هـ / ١٩٨٢م.

و

* وسائل الشيعة إلى تحصيل مسائل الشريعة: محمّد بن الحسين الحرّ العامليّ (ت ١١٠٤ هـ)، تحقيق ونشر: مؤسّسة آل البيت عليهم السلام لإحياء التراث قمّ المقدّسة، ط ٢ سنة ١٤١٤هـ.

ي

* ينابيع المودّة لذوي القربى: سليمان بن إبراهيم القندوزيّ الحنفيّ (ت ١٢٩٤ هـ)، تحقيق: السيّد علي جمال أشرف الحسينيّ، دار الأُسوة للطباعة والنشر قمّ المقدّسة، ط ١ سنة ١٤١٦هـ.

# الفهرس


| | |
|---|---|
| التقديم | ٥ |
| مع القافلة الحسينية | ٩ |
| أحزان زينبية | ٨٣ |
| في ركب السبايا | ١٥٣ |
| خاتمة | ٢٠٧ |
| المصادر | ٢٠٩ |